دار الثقافة

دكتور القس
إكرام لمعي

الوجه الآخر للكنيسة



الوجه الآخر للكنيسة

تأليف

د. القس / إكرام لمعي



طبعة أولى

الوجه الآخر للكنيسة

صدر عن دار الثقافة - ص. ب ١٢٩٨ - القاهرة

١٠ / ٧ [illegible] ٧ ط١ / ١-٣ / ١٩٩٧

رقم الإيداع بدار الكتاب: ٧٤٩١ / ٩٧

I.S.B.N 977 - 213 - 385 -7

جمع وطبع بمطبعة سيوبرس

تصميم الغلاف: سها ناجي

مقدمـــة الدار

أطلق أحد اللاهوتيين تعبير (المجتمع المسئول) ليصف به الكنيسة، والمعنى أن الكنيسة مجتمع مسئول أوكله الله لتغيير العالم وإعلان حقيقة الله ومُلكه والطريق إليه. فإذا كانت الكنيسة مجتمعاً مسئولاً فهل لديها رؤية واضحة تسير بمقتضاها حتى تؤدي هذا الدور؟ وهل هي قادرة على استخدام مفردات عصرها كما استخدم المسيح والرسل مفردات عصرهم بقوة واقتدار؟

ماذا يعني الصليب بالنسبة للكنيسة؟ هل هو مجرد صراع داخلي للذات مع الخطية، أم أنه ثمن تدفعه لتحقيق رؤية الحياة الأفضل للعالم؟

أم أن الكنيسة (تسير) دون أن تعرف إلى أين (تذهب)، (وتتألم) دون أن تفهم سبباً للآلام، (وترجو) دون أن تعرف ما هو الرجاء، وتكون نتيجة كل ذلك أن تتوارى الكنيسة خلف أبواب الروحيات والغيبيات.

دار الثقافة

إلى

كنيستي

كنيسة مصر

المحتويات

مقدّمة :

لا شك أن السيطرة على العالم شيء في منتهى الأهمية والخطورة، ولذلك نرى ونقرأ ونسمع عن ذلك الصراع الناشب بين الله والشيطان على مُلك هذا العالم . ونسمع عن ما يسمى بحزب الله وأيضاً حزب الشيطان . إلا أن هذا الصراع على العالم لا يظهر إلا من خلال الإنسان، فالإنسان هو الذي يحاول أن يملك على العالم فيعطي لنفسه الحق بأن يدعي أنه من حزب الله مقابل أولئك الذين يصفهم بحزب الشيطان. ولم يتوقّف الأمر عند هذا الحد، فلقد تصارعت الأنظمة السياسية والاقتصادية على مُلك هذا العالم، وانقسم العالم إلى معسكرين غربي وشرقي، واستمر الصراع على هذا المُلك حوالي سبعين عاماً، وفي نهايتها انهار المعسكر الشرقي الشيوعي أمام المعسكر الرأسمالي، وهنا خرج علينا المفكر الأمريكي فوكوياما الياباني الأصل بنظرية نهاية التاريخ ليعلن أن الرأسمالية الديمقراطية قد انتصرت ولن يعود هنالك أي نوع من الصراع على ملك العالم، إلا أن الواقع أثبت غير ذلك فبدأ الصراع بين الشمال الغني والجنوب الفقير، وظهرت كتل أخرى تصارع العملاق الرأسمالي مثل الكتلة الأوربية، والكتلة الآسيوية، والعالم الإسلامي، وهنا ظهرت نظرية تصادم الحضارات وهى النظرية التي تبنّاها المفكر السياسي الأمريكي المعروف صموئيل هنتجنون والداعية إلى أن الحضارات لابد وأن تتصادم معاً لكي تنتصر واحدة منها في النهاية، وإذا كانت الحضارة الشيوعية الشرقية قد سقطت أمام الحضارة الغربية المسيحية فقد بات واضحاً أنه لابد وأن يحدث تصادماً بين الحضارة الإسلامية والحضارة

المسيحية الرأسمالية لكي تملك إحداهما على العالم .

إلا أن هذه النظرية توارت الآن أمام نظرية التواصل أو التكامل بين الحضارات وأهمية الحوار، ذلك لأن العالم أصبح قرية كونية واحدة تحتاج الحضارات فيها إلى حوار مستمر بدلاً من التصادم الذي سيؤدي في النهاية إلى القتل والدمار. والحاجة الآن إلى حضارة إنسانية تسع كل الحضارات وكل الأديان وكل الفلسفات، لكن يأتي السؤال : من يملك ؟ من الذي ستكون له النصرة النهائية ؟ وهنا لابد من العودة إلى الصراع، والمشكلة ليست في صراع الأنظمة بقدر ما هي في صراع الفلسفات والأديان، والتي تخرج علينا كل يوم بجديد، فنسمع اليوم عن من يتنبأ بنهاية العالم. وقد رأينا نهاية حركة دافيد قورش الذي جمع من حوله الأتباع منتظراً نهاية العالم. ولم يكن هنالك بد من اقتحام المقرّ الذي تحصن فيه ليُقتل هو والذين معه، هذا فضلاً عن أولئك الذين يعبدون الطبيعة أو التاريخ ويأتون إلى الأهرامات كل عام ويمارسون طقوساً معينة . وفي الوقت الذي فيه ينكبّ مدّعو الدين على تحديد نهاية العالم، ورصد الأحداث، وتغير النبوات والأحلام، والتركيز على المعجزات نرى العلماء والباحثين يصلون إلى علاج الأمراض المستعصية واستخدام الهندسة الوراثية في الوقاية من الأمراض كثيرة يمكن أن تصيب الإنسان ورسم خريطة الإنسان قبل ولادته، حتى مماته، وصعوده إلى الفضاء الخارجي ومحاولات لجعل الحياة أكثر سرعة وأكثر فائدة . ونأتي في النهاية لنقول : أين نحن من كل هذا ؟ نحن نقول إن الله هو الملك وهو

الحل، وأن الله سوف يملك، والسؤال هو : هل الله يملك أم سيملك ؟ وما معنى مُلك الله ؟ وهل يوجد مُلك حقيقي أم لا ؟ وهل مُلك الله بدأ بالمجيء الأول للمسيح أم كان سابقاً له أم سوف يبدأ بالمجيء الثاني للمسيح ؟ هل هناك مفهوم حقيقي وصحيح لحكم الله للأرض أو على الأرض ؟ وإذ كان يوجد فما علاقة هذا المُلك بالملوك والأنبياء والرؤساء والمصلحين، وبالعوامل التي تعضّد الشر والأخرى التي تساند الخير ؟ وهل أسّس المسيح مجتمعاً مسئولاً *١(الكنيسة) يغيّر به العالم ويظهر من خلاله مُلكه ومبادئه وأخلاقياته ؟ وإذا كانت الإجابة بنعم فهل نجح هذا المجتمع فيما أرسل اليه ؟

سوف نحاول في هذا الكتاب أن نتحدث عن الوجه الآخر للكنيسة أو المجتمع المسئول والذي أوكله الله لتغيير العالم لكي يعلن حقيقة الله ومُلكه والطريق إليه .

والفكرة من إطلاق تعبير المجتمع المسئول على الكنيسة تأتي من طلب يسوع في صلاته *الشفاعية* " *لست أسأل أن تأخذهم من العالم بل أن تحفظهم من الشرير* " إنجيل يوحنا ١٧ : ١٥ *وأيضاً* " *كما أرسلتني إلى العالم أرسلتهم أنا إلى العالم* " إنجيل يوحنا ١٧ : ١٨ ففي هذين التعبيرين

---

*١ تعبير المجتمع المسئول أطلقه اللاهوتي (ج . هـ . أولوهام) على الكنيسة في كتابه " فوضى الإنسان وهدف الله "

واستخدم التعبير بعد ذلك جون ديور في كتابه " سياسة المسيح " الذي تُرجم بعنوان المسيح والسياسة من دار الثقافة .

تتضح رؤية يسوع من نحو الكنيسة، فهو لم يرد أن يفصلهم عن العالم المادي والاجتماعي والسياسي في الوقت الذي فيه يحفظهم من الشرير. والمعنى هنا هو تغيير العالم من خلال هذه الجماعة التي أرسلها يسوع كما أرسله الآب، ولذلك نرى أن تعبير المجتمع المسئول من أنسب التعبيرات التي أُطلقت على الكنيسة معّبراً عن دورها .

وفي هذا الكتاب سوف نبدأ الحديث عن ميلاد الكنيسة أو المجتمع المسئول، ثم نتحدث عن نوعيته هل هو مجتمع روحي أم مادي وبعد ذلك سوف نتحدث عن العلاقات المتشابكة لهذا المجتمع المسئول سواء في العلاقات العامة معاً أو الخاصة مثل الزوج والزوجة الأب والأولاد ... الخ، ثم نتحدث بعد ذلك عن ظاهرة التغريب في الكنيسة والتجمّد وإمكانية التجدّد، وأخيراً سوف ندرس معاً علاقة الكنيسة في مصر بالمجتمع –وخاصة الكنيسة الإنجيلية– وهل من ضرورة لوجودها، وإن كانت هنالك ضرورة فكيف ستواجه المستقبل في القرن الحادي والعشرين.

الباب الأول

أصل ومصدر الكنيسة

أو كيف وُلدت الكنيسة ؟

كل القصص التي وصلت إلينا عن بداية التاريخ تتحدث عن الله الخالق، فسفر التكوين يتحدث عن أرض خربة وخاوية مغطاة بالمياه، والخراب يعني وجود قوة شريرة تمنع الحياة أو حتى مجرد بزوغها، ومن الصورة التي يضعها أمامنا سفر التكوين نتوقف أمام كلمة المياه، فهذه المياه خرّبت وتخرّب. ولقد سماها البعض المياه *الكونية* " *في البدء خلق الله السموات والأرض، وكانت الأرض خربة وخالية وعلى وجه الغمر ظلمة وروح الله يرف على وجه المياه* " [1] ولكي يخلق الله العالم كان لابد وأن يصارع مع هذه المياه الكونية فيفصل بين مياه ومياه لكي تظهر الأرض، وبعد هذا الفصل ظهرت الأرض والجَلَد " *وقال الله ليكن جلد في وسط المياه، وليكن فاصلاً بين مياه ومياه، فعمل الله الجَلَد وفصل بين المياه التي تحت الجلد والمياه التي فوق الجَلَد، وكان كذلك، ودعا الله الجلد سماءً، وكان مساء وكان صباح يوماً ثانياً* "[2]

وبقوّة الله ولمساته تحوّل الخراب إلى نظام والدمار إلى بنيان، والموت إلى حياة، وعلى طول الكتاب المقدس نستطيع أن نرصد ذلك

---

[1] سفر التكوين ١ : ١ – ٢

[2] سفر التكوين ١ : ٦– ٨

الصراع بين الله والمياه الكونية؛ فعندما ازداد شر الإنسان طلب الله من نوح أن يبني له فلكاً، ذلك لأنه بزيادة الشّر أصبحت المياه الكونية لها القدرة على العودة والتخريب، وأدخل نوح -بأمر الله- أسرته وزوجين من كل الخليقة إلى الفلك، وعندما جاءت المياه الكونية لتدمّر الكون وتعيده خراباً كان الفلك الذي صنعه نوح يحمل خليقة الله لينقذها من الخراب ويعيد خلقها بقوّته، وفي سفر الخروج يتحدث عن شعب الله عندما خرج من مصر وفي قيادة الله لهم عبر البحر الأحمر يقول " *أبصرتك المياه يا الله أبصرتك المياه ففرغت، ارتعدت أيضاً اللجج* "[1] هنا الصورة كأن الله يصارع جيشاً حياً وقد أصابه الفزع عندما رأى الله يقود شعبه وأفسح له الطريق، بل وكانت المياه كنّد لله" *شق البحر فعبرهم ونصب المياه كندّ* "[2] وفي مزمور ٤٦ نرى صورةً واضحةً لهذا الأمر عندما يقول" *الله لنا ملجأ وقوة، عوناً في الضيقات وُجد شديداً، لذلك لا نخشى ولو تزحزحت الأرض ولو انقلبت الجبال إلى قلب البحار*"[3] والصورة هنا عودة إلى فوضى ما قبل الخليقة، فالأرض تتزحزح والجبال تنقلب في قلب البحار وتعود المياه لتغطي العالم وتعيده للخراب، لكن هنالك من هو أقوى، هنالك السيد والملجأ والقوة، وهنالك الملك المتحكم، لذلك عندما يتحدث سفر الرؤيا عن نهاية التاريخ يقول في

---

[1] سفر المزامير ٧٧ : ١٦

[2] سفر المزامير ٧٨ : ١٣

[3] سفر المزامير ٤٦: ١ -٢

تعبير بليغ " والبحر لن يكون فيما بعد "[1] وهذا تعبير عن الانتصار النهائي لله على الشر واختفاء الشّر إلى الأبد، وفي مقابل هذه المياه الكونية نجد المياه التي تنبع من الجنة في أربعة أنهار لتروي الجّنة، أنها نفس المياه التي تنبع في سفر الرؤيا من عرش الله والخروف، وهى نفس المياه التي انسكبت من جنب المسيح مع الدم لكي تصل إلى قلب الإنسان الذي ينبع إلى حياة أبدية، هذه الخريطة التي بدأت من عرش الله إلى الأرض من خلال آدم الأول ثم آدم الثاني تعلن أن الله يملك من الأزل وإلى الأبد، وإذا كنا قد تتبّعنا هذا الفكر مع الله الملك المتحكّم في خليقته، فيمكن بسهولة أكثر أن نتبعه في علاقته بالإنسان، فعندما خلق الله الإنسان خلقه على صورته كشبهه، إلا أن قوى الشر رفضت أن تترك الإنسان هكذا، وكان السقوط العظيم للإنسان عندما استخدم حريته التي هى أغلى ما يملك لكي يكون كالله، وبدأ الصراع بين الإنسان والشّر إلا أن الله كملك رفض أن يترك الإنسان بدون تدبير خلاص له، أو باب للنجاة من خلاله .

وهكذا نستطيع أن نرى ونكتشف أن مُلك الله للعالم منذ الأزل وإلى الأبد، وأن ما نراه وما نسمعه إنما هو تجليات لهذا المُلك بطرق مختلفة ومتنوعة علينا أن نرصدها وندركها، وعندئذ سوف تتعقد ألسنتنا عن الكلام " كفّوا وأعلموا إني أنا الله، أتعالى بين الأمم أتعالى في الأرض "[2]، ومن أعظم تجلّيات الله في الخليقة هو الكنيسة والتى اختارها

---

[1] سفر الرؤيا ٢١ : ١

[2] سفر المزامير ٤٦ : ١٠

الله ليعلن خلاصه وتدبّره للبشر من خلالها، وهنا سوف نتحدث عن ميلاد المجتمع المسئول أو الكنيسة أو جماعة الرب وكلها مترادفات .

الكنيسة والميلاد (أو كيف ظهر هذا المجتمع المسئول للوجود ؟)

يستخدم الكتاب المقدس مصطلح الميلاد ليعبّر عن مفهوم إعطاء الحياة أو بداية الحياة، وبنظرة متعمّقة نرى فكرة ميلاد الكون ككل في حركة متكاملة لتكوينه وخروجه للوجود، وهذه الحركة دائمة ومستمرة، وهذا يعنى أن عملية الميلاد الدائمة والمتكررة للعالم تعطي مفهوماً جديداً لعملية الخلق والحياة والمُلك على مستوى الفرد كما على مستوى الجماعة .

ولكي ندرك هذا المفهوم عن الميلاد وعلاقته بالمُلك والحياة علينا أن نرى هنا في أربعة أفكار :

الفكر الأول : *أن الميلاد على المستوى الفرذي هبة لها مدلول إلهي*

على الرغم من أن البركة الأولى في الخليقة لآدم وحواء هى أن الزوجين قد أخذا القدرة على إنشاء النسل، إلا أن استكمال أو مواصلة التناسل أصبح هبةً لها مدلول إعطاء الحياة والمُلك، ويتضح هذا المعنى للميلاد من قصة سارة زوجة إبراهيم عندما قالت " هوذا الرب قد أمسكني عن الولادة "[1] فلقد اعتبرت سارة أن هذا حرمانا من الله لها عن أن تملك في إبراهيم ونسله ومملكته، لذلك طلبت سارة من ابرام أن يدخل على هاجر، وكما هي العادة في تلك الأيام عندما تلد الأمة على جسد السيدة، ينتمي

---

[1] سفر التكوين ١٦ : ٢

الطفل إلى جسد السيدة التي تلقّته لا الجسد الذي أخرجه، ولقد كان تدخّل الله في قصة هاجر عجيباً رغم أن الطفل كان من ابرام بالطريقة الطبيعية، وفي ولادة يوحنا المعمدان نجد تشابهاً مع ولادة اسحق الذي ولده إبراهيم في شيخوخته، وهذان الميلادان كانا من والدين طعنا في السن، وكذلك جاء ميلاد صموئيل من حنّة العاقر، وهؤلاء الأولاد جاءوا أنبياء وقادة، منهم من أسّس حركة كيوحنا المعمدان وتنبأ بمجيء المسيح، ومنهم من قاد شعبه كملك ونبي كصموئيل، ومنهم من كان رئيساً لعائلة كإسحق، وكل هؤلاء في إطار مُلك الله يظهرون كتجلّيات لهذا الملك، وكل هذا يختلف عن الميلاد العذراوي الذى فيه لم تكن الأم عاقراً أو طاعنةً في السن كسارة واليصابات لكنه ميلاد يتحدث عن نوعية جديدة من النسل لا من مشيئة رجل بل من الله، إنها خليقة جديدة، فهنا لا يعطي الله الحياة، لكنه يأتي ليصنع لنفسه نسلاً " فيُسمَّون أولاد الله " وهو تجلّي للملك والملكوت غير مسبوق .

ولا شك أن كل شخص مدعو من الله لكي يكون مسئولاً في ملكوته يستطيع أن يستشعر أن هذه الدعوة كانت بالنسبة له بمثابة الخروج من رحم عاقر، فإدراك الدعوة وفهمها وتحديدها تشبه الخروج من الرحم، وهؤلاء الذين تأكدوا من دعوتهم استطاعوا أن يصنعوا ملكوت الله في خدمتهم من خلال طرق جديدة ابتكروها للخدمة، أو أفكار مضيئة أضاءت لآخرين، أو بذل واضح للذات حيث أصبحت أسماء محددة تعني ملكوتاً جديداً. وفي الخدمة مثلاً نرى بللي جراهام وجون ستوت ومولتمان

وجيمي كارتر والأم تريزا ... الخ، وفي مصر عندنا الكثير، والقائمة لا تنتهي من أولئك الذين خرجوا من الرحم العاقر ليصنعوا ملكوتاً مثل إبراهيم سعيد، ولليان تراشر، ومتّى المسكين وهؤلاء جميعاً وغيرهم الكثير هم الذين يُطلق عليهم المجتمع المسئول عن تثبيت وتأكيد ملكوت الله .

الفكر الثاني : *أن الميلاد على المستوى الجماعي إعادة للخلق*

يقول أشعياء عن دينونة بابل "*ولولوا لأن يوم الرب قريب، قادم كخراب من القادر على كل شئ، لذلك ترتخي كل الأيادي ويذوب قلب كل إنسان فيرتاعون، تأخذهم أوجاع ومخاض يتلوون كوالدة، يبهتون بعضهم إلى بعض، وجوههم وجوه لهيب* "[1] فبابل التي وقفت كعدو لله الملك ستخرب، وفي خرابها تكون كامرأة تتلوى في ولادتها، وقد عاصر النبي تحقيق هذه الرؤيا وسجّلها في أصحاح ٢١ واختبر بنفسه الآلام فيقول في عدد ٣ " لذلك امتلأت حقواي وجعاً وأخذني مخاض الوالدة . تلوّيت حتى لا أسمع . اندهشت حتى لا أنظر " ولم يكن هذا الألم هو نهاية بابل بل كان إعادة لخلقها، فقد تألمت إلى أن قاربت الموت لكنها عاشت بعد ذلك . وهو نفس ما حدث لأورشليم كما يقول ميخا النبي في القرن الثامن ق . م . أي قبل استخدام أشعياء لنفس المفهوم، وقد استخدم ميخا هذا المفهوم عن الميلاد ليعلن هزيمة إسرائيل وسبي شعبها، وفي هذا التحطيم والسبي كان الألم الذى قارب الموت والذي فيه سوف تجد

---

[1] سفر أشعياء ١٣ : ٦ ، ٧

أورشليم حياة جديدة " الآن لماذا تصرخين صراخاً أليس فيك ملك أو هلك مشيرك حتى أخذك وجع كالوالدة . تلوّي ادفعي يا بنت صهيون كالوالدة لأنك تخرجين من المدينة وتسكنين في البرية وتأتين إلى بابل . هناك تُنقذين . هناك يفديك الرب من يد أعدائك "[1]

وهنا صورة رحيل شعب إسرائيل من أورشليم المدينة المقدسة مكان الألم " الأم "، وبرحيلهم سيشعر الشعب بمدى الخطر الذي ستتعرّض له المدينة " الأم "، والخطر الذي سيتعرّضون هم له كطفل مولود حديثاً " الطفل " ونتيجة لذلك سيظهر الله لهم ويحميهم . ونرى في هذه الكلمات أن مفهوم الميلاد قد تطور فلم يقف عند أوجاع الميلاد بل تعدّاه إلى خروج الطفل إلى العالم يقول أشعياء " *من سمع مثل هذا ومن رأت مثل هذه هل تمخض بلاد في يوم واحد أو تولد أمّة دفعة واحدة . فقد مخضت صهيون بل ولدت بنيها، هل أنا أمخض ولا أولد يقول الرب، أما أنا المولود، هل أغلق الرحم قال إلهك* "[2] وهنا نرى ولادة أمّة ومجتمع جديد من خلال الألم، وهو نفس ما حدث في عام ١٩٨٧ فقد كان هناك مخاض ولادة لبلدان أوروبا الشرقية، وقد تمخّضت هذه البلاد كوالدة تتألم حتى ولدت وكان الطفل المولود مملكة جديدة هي ألمانيا الموحّدة، وبولندا المؤمنة، وفي عام ١٩٩١ تمخّض الاتحاد السوفيتي وولد أطفالاً جدد، وفي عام ١٩٧٨ كانت مبادرة السلام في الشرق الأوسط، ثم حرب الخليج عام

[1] سفر ميخا ٤ : ٩ ، ١٠

[2] سفر أشعياء ٦٦ : ٨ ، ٩

١٩٩٠، ثم معاهدات السلام مع إسرائيل مع معظم الأطراف، ومازال الشرق الأوسط يتمخّض ليلد -شرق أوسط- بمبادئ جديدة وأحلام جديدة وملكوت جديد، لم تظهر معالمه بعد وإن كنا نرجو أن يكون للأفضل. ومصر التي تعاني من الآم المخاض سواء من الإرهاب أو الأزمة الاقتصادية مع السلام مع إسرائيل والتحدّيات المختلفة من تخلّف وأميّة سوف تنتهي آخر الأمر إلى ولادة مصر من جديد كملكوت يمتلئ بالحرية والمساواة والعدل .

عندما تحدث المسيح قديماً عن خراب أورشليم عام ٧٠ ميلادية استخدم تعبير (مبتدأ الأوجاع) وقال " ولكن الذي يصبر إلى المنتهى فهذا يخلص " والصورة هنا لامرأة تتماسك في الألم، وإذا صبرت إلى المنتهى فسوف تخلص. ونفس التعبيرات لنا اليوم كشعب مصر، فالذي يتماسك في الألم ويصبر إلى المنتهى دون الهروب إلى العنف والإرهاب أو إلى المخدرات أو إلى الأخرويات والمعجزات فسوف يخلص .

الفكر الثالث : *الكنيسة والميلاد*

ونأتي معاً لنرى كيف وُلدت الكنيسة كمجتمع مسئول وكيف تقوم بالولادة، ونرى هذا جلياً في منتصف الأصحاح السادس عشر من الإنجيل الرابع حيث يظهر مفهوم المرأة المتوجّعة بوضوح في قلب يسوع، وهنا نجد نقطة تحوُّل في خطاب يسوع الوداعي لقد قال لتلاميذه " تأتي ساعة يظن فيها كل من يقتلكم أنه يقدم خدمة لله "[١]، وكان تركيز التلاميذ على

---

[١] إنجيل يوحنا ١٦ : ٢

كلمة " ساعة " فهذه الساعة تشبه ساعة المخاض. وفي عدد ١٦ يقول يسوع " بعد قليل لا تبصرونني ثم بعد قليل ترونني " وفكرة عجز التلاميذ عن رؤية يسوع " بعد قليل لا تبصرونني " أعطاهم بعد ذلك قدرةً ونوعية جديدة على الرؤية والإبصار " ثم بعد قليل ترونني " والفعل اليوناني يختلف في طبيعة النظرة نفسها. إذاً ما هي طبيعة التغيير ونوعيته هنا ؟ في عدديّ ١٧، ١٨ يوضّح أن التلاميذ لم يفهموا، وكان تركيزهم على كلمة " قليل " فقال قوم من تلاميذه بعضهم لبعض ما هذا الذي يقوله لنا بعد قليل لا تبصرونني ثم بعد قليل أيضاً ترونني لأني ذاهب إلى الآب" فقالوا ما هذا القليل الذي يقول عنه ؟ لسنا نعلم بماذا يتكلم. وعلم يسوع هذا وأراد أن يشرح لهم فقال " أنكم ستبكون وتنوحون والعالم يفرح أنتم ستحزنون ولكن حزنكم يتحول إلى فرح ". والمعنى هنا أن الوقت الذي فيه يشتد حزنهم بسبب غياب يسوع عنهم فإن هذا الغياب سيكون سبب فرح للعالم. ثم يوضّح ذلك بالقول " *المرأة وهي تلد تحزن لأن ساعتها قد جاءت، ولكن متى ولدت الطفل لا تعود تذكر الشدة بسبب الفرح لأنه قد وُلد إنسان في العالم* " عدد ٢١. فحزن وبكاء التلاميذ هو الوقت الذي تتوجع فيه المرأة عند الولادة، لحظة انفصال الطفل عن المرأة، لحظة موت، إنه اختبار موت غير مرئي. والمراة عندما تأتيها آلام الولادة تكون قريبة جداً للموت بل وتختبره، لكن تفتُّح الحياة في طفل جاء إلى العالم يحّول هذا الألم إلى فرح. وماذا كانت نتيجة آلام التلاميذ ؟ لقد وُلدت إنسانية جديدة وهذه الإنسانية الجديدة تظهر من خلالهم، فكلمة إنسان التي استخدمها يسوع " تفرح لأنه قد وُلد إنسان في العالم " هي نفس الكلمة

التي جاءت في سفر التكوين ٤ : ١ " وقالت اقتنيت رجلاً " أو إنساناً وكلمة الشدّة هي نفس الكلمة التي جاءت في سفر التكوين ٣ : ١٦ " بالوجع تلدين أولاداً " فغياب المسيح المادي -أي بالجسد عن الكنيسة وحضوره بالروح- وآلام الكنيسة لهذا الغياب هي آلام مخاض لميلاد شعب جديد وملكوت جديد له، فألم الكنيسة يأتي في ولادة الأولاد. ومن الجميل هنا أن نركز على كلمات الرب يسوع في عدد ٢٢ يقول" *ولكني سأراكم أيضاً فتفرح قلوبكم ولا ينزع أحد فرحكم منكم*" ولنلاحظ هنا قول يسوع سأراكم بدلاً من سترونني، وهنا اطمأن التلاميذ أن يسوع سيراهم بحبه وفرحه الذي لايستطيع أحد أن ينزعه منهم، وهذا الفرح هو شكل للقدرة الجديدة على رؤية يسوع . أما الإنسانية الجديدة التي ستولد من خلال التلاميذ فلها ثلاثة امتيازات :

الامتياز الأول : أن الفرح الذي ستتمتع به لن يستطيع أحد أن ينزعه لأنه من عمل يسوع، ولن يستطيع آلام العالم وضيقاته أن يحرم التلاميذ من هذا الفرح عدد ٢٢ ب " فتفرح قلوبكم ولا ينزع أحد فرحكم منكم " .

أما الامتياز الثاني : فسوف يستمتع أفراد هذه الإنسانية الجديدة بعقول مستنيرة ومتفتحة قادرة على فهم كل شيء. يقول يسوع " في ذلك اليوم لا تسألونني شيئاً "[1] عدد ٢٣

---

[1] والسؤال هنا لا يعني الطلب في الصلاة لكن يعني الاستفهام عن شيء غير مفهوم

أما الامتياز الأخير : فهو القدرة على الدخول إلى الآب مباشرة " الحق الحق أقول لكم أن كل ما طلبتم من الآب باسمي يعطيكم " عدد ٢٣ ب

والسؤال الآن عن آلام الكنيسة في الشرق الأوسط، فهل الكنيسة اليوم تتألّم آلام ولادة خاصة وهي تستشرف القرن الحادي والعشرين ؟ يتحدث أشعياء في الأصحاح السادس والعشرين والأعداد السابع عشر والثامن عشر عن آلام بلا ولادة فيقول " كما أن الحبلى التي تقارب الولادة تتلوّى وتصرخ في مخاضها، هكذا كنا قدامك يا رب . حبلنا . تلوّينا . وكأننا ولدنا ريحاً لم نصنع خلاصاً في الأرض ولم يسقط سكان المسكونة " .

فالآلام بدون رؤيا واضحة ورسالة متميزة آلام غير مثمرة، وكم من شعوب تألمت لأن ظروفها أوقعتها في هذا الألم أو تألمت لأجل حماقات ارتكبتها قياداتها. والحقيقة أن هذه الآلام لا يمكن أن تلد أو تثمر جديداً، فمن خلال آلام الكنيسة يجب عليها أن تكون قادرةَ على تُبين بزوغ الحياة الجديدة، فعلامات الآلام وسماته ليست دليلاً دائماً على الحياة.

الفكر الرابع : *العالم والميلاد الجديد*

وهنا علينا أن نعود إلى رسالة رومية والأصحاح الثامن والعددين الثاني والعشرين والثالث والعشرين، يقول بولس الرسول " فإننا نعلم أن

كل الخليقة تئن وتتمخّض معاً إلى الآن وليس هكذا فقط بل نحن الذين لنا باكورة الروح نحن أنفسنا أيضاً نئن في أنفسنا متوقّعين التبنّي فداء أجسادنا " وهنا نرى بولس الرسول يحتوي العالم كله في مفهوم آلام الميلاد، فالطبيعة مُحاطة بالألم بسبب الخطية والإثم والشرور وفي هذه الكلمات يذكّر بولس قرّاءه بأن الشيء المشترك الذي يربط العالم كله هو الأنين، ولقد دُعيت البشرية للحرية في الإيمان ومجد أولاد الله، فالخليقة المادية من حيوان وطير تشارك الإنسان نفس الآلام، وتحاول البشرية الخروج من هذه الآلام بطرق كثيرة ومتنوعة مثل استخدام الهندسة الوراثية للوقاية من الأمراض الوراثية، واكتشاف الأدوية المخفّفة للألم، واكتشاف الفضاء وأعماق المحيطات، وزيادة قدرة الإنسان العقلية من خلال الحاسبات الآلية، وزيادة قدرة الإبصار لديه من خلال التلسكوبات العملاقة ... وهكذا .

وما نراه اليوم من صراع بين الكونية والقومية والحضارة الإنسانية الواحدة والحضارات المتعدّدة ما هو إلا مخاض لولادة عالم جديد. والميلاد في مفهومه كإعادة الخلق إنما هو دليل على حب الله للجنس البشري، ونحن نرى على امتداد الكتاب المقدس وعبر تاريخ الإنسان اتجاه العالم نحو ملء " الميلاد " العظيم الذي سوف يلد ملكوت الله الأبدي، فالله يستخدم الإنسانية المتألّمة لكي تلد الملكوت الذي لا يفنى ولا يتدنّس ولا يضمحل، فمنذ ميلاد أول طفل جاء إلى العالم في سفر التكوين " قايين "، إلى ولادة شعب لله " إسرائيل المادي "، إلى ميلاد

يسوع والذي بآلامه ولد الخليقة الجديدة، وإلى ميلاد الكنيسة كشعب مسئول يتكاثر في العالم ويتألم لأجل ولادة جديدة للعالم ككل يكون فيه كل بشر مولود من الله برؤيا عامة لمجد الله، من خلال الخليقة الجديدة التي هى عمل ونتيجة آلام المسيح والتي تتألم وتشهد باستمرار من خلال تشجيعها لكل ما هو علمي ومستنير وأخلاقي لكي تحوّل العالم كله من خلال تكوينه في رحمها وخروجه للوجود إلى ملكوت جديد أبدي، بلا ألم، أو دموع، بلا فقر أو تخلُّف.

والآن بعد أن أدركنا ميلاد الكنيسة وعرفنا المسئولية الموضوعة على عاتقها، تُرى ما هي طبيعة العلاقة بين هذا المجتمع الكنسي وملكوت الله في عموميته ؟ وما هى حقائق هذا الملكوت ؟ وما هي الوسيلة التي أعطيت للكنيسة لتملك من خلالها ؟ وما هي نوعية هذا المجتمع هل هو روحي أم مادي أم ماذا ؟

هذا ما سوف نتحدث عنه في الباب الثاني

الباب الثاني

الكنيسة والملكوت

أو كيف يملك الله من خلال الكنيسة ؟

لا شكّ أن الهدف من وجود الكنيسة في العالم هو إعلان ملك الله على العالم. لكن المشكلة أن ملكوت الله أسبق وأوسع من الكنيسة، فما هي علاقة الكنيسة بهذا الملكوت ؟ وما هي حقائق ملكوت الله وأسراره ؟ ثم ما هي نوعية مجتمع الكنيسة هل هو مادي أم روحي أم سياسي ؟ علينا أولاً أن نكتشف بعض الحقائق العامة عن هذا الملكوت أو ما أطلق يسوع عليها أسرار الملكوت، وكان سبب إعلان هذه الحقائق أن يسوع تحدث إلى الجموع باستخدام الأمثال، وعندئذ سأله التلاميذ قائلين لماذا تكلّمهم بأمثال فأجاب وقال لهم " لأنه أُعطي لكم أن تعرفوا أسرار ملكوت السموات، وأما أولئك فلم يُعط "[1] وقبل أن نتحدث عن هذه الأسرار لابد أن نعرف العلاقة بين الكنيسة وملكوت الله الذي هو أشمل وأكبر وأوسع من الكنيسة، فملكوت الله يشمل الكون ككل، ويشمل كل من يؤمن به، أما الكنيسة فهى الجماعة المسئولة عن هذا الملكوت وانتشاره وتثبيته. بحلول الروح القدس على التلاميذ بدأت رسالة الكنيسة المتعلقة بالملكوت، ومن ثم فالكنيسة ليست مطابقة للملكوت و ليست هي الملكوت، وإنما الكنيسة

---

[1] إنجيل متى ١٣ : ١١

هـي خادمـة الملكـوت علـى الأرض، فهـي الوجـه المرئـي للملكـوت غـير المرئـي، والملكـوت فـي الأنـاجيل يعنـي أيضـاً ملكـوت السـموات ونـهايـة الأزمنة، غير أن هذا الملكـوت حـالٌ علـى الأرض بيـن المؤمنيـن " لتكـن مشـيئتك كما في السـماء كذلك على الأرض " و" ها ملكـوت اللـه داخلكـم "[1] أما بولس فيتحدث عن الكنيسة الصاعدة قائلاً " الذي أنقذنا مـن سـلطان الظلمة ونقلنا إلى ملكوت ابن محبته وإن كنتم قد قمتم مع المسـيح فـاطلبوا ما فوق حيث المسيح جالس "[2] وهكذا نجد اتجـاهين متكـاملين عـن علاقـة الكنيسة بالملكوت[3] : الأول هـو حضـور الملكـوت وتحقيقـه فـي الكنيسـة، وهذا الاتجاه من أعلى إلى أسفل ثم الاتجاه العكسي مـن أسـفل إلـى أعلـى وهو وجود الكنيسة في السماء وهي على الأرض. والآن وبعـد أن عرفنـا العلاقة بين الكنيسة والملكوت دعونا نتعرّف معاً على حقائق ملكوت اللـه وأسراره .

الحقيقة الأولى : صعوبة فهم الملكوت

ولقد أطلـق يسـوع كلمـة أسـرار علـى حقـائق الملكـوت " *لقـد أعطـيلكم أن تعرفوا أسرار الملكوت وأما لأولئك فلـم يُعـط* "[4] ذلـك لأنـها

---

[1] إنجيل لوقا ١٧ : ٢١

[2] رسالة بولس إلى كولوسي ٤ : ١

[3] فاضل سيدراوس . من أنت أيتها الكنيسة . دار الشرق . بيروت ١٩٩٣ ص٢٠، ٢١

[4] إنجيل متى ١٣ : ١١

حقائق صعبة الفهم لمن هم من خارج دائرة التلاميذ (نواة الكنيسة)، ولذلك سأله التلاميذ لماذا تكلمهم بأمثال ؟ وكلمة مثل في الأصل العبري تعني وضع شيء مفهوم أو مُدرك بجوار آخر غير واضح لكي يبينه ويشرحه، أي أن هناك فكرة غامضة نريد إيضاحها فنأتي بفكرة موازية لها توضّحها، وتعبيراً عن هذا المعنى استخدم يسوع كلمة " يشبه " ففي إنجيل متّى ١٣ : ١٣ يقول " يشبه ملكوت السموات خميرة أخذتها امرأة وخبّأتها في ثلاث أكيال دقيق حتى اختمر الجميع ". فتعبير ملكوت السموات هنا غير مفهوم للمستمع، أما الفكرة الموازية المألوفة فهي الخميرة والدقيق. وقال أيضاً " يشبه ملكوت السموات كنزاً مُخفى في حقل وجده إنسان فأخفاه ومن فرحه مضى وباع كل ماله واشترى ذلك الحقل"[1] وغير هذا كثير من الأمثلة التوضيحية للفكرة .

وكلمة مَثَل أيضاً في اللغة اليونانية تعني أن هنالك شيئاً خارقاً أو فوق الفهم وصعب الاستيعاب، فنأتي ونغلّفه من الخارج بأفكار مألوفة وحوادث يومية- أي شيء مفهوم حتى يدركه السامع- وكلمة مَثَل لا تعني رمزاً لمرموز بمعنى أنه عندما يقول يسوع " يشبه ملكوت السموات كنزاً مُخفى في حقل ... " ليس الهدف هنا أن نفسّر إلى ماذا يرمز الحقل وإلى ماذا يرمز الإنسان ثم الكنز والمال وهكذا، فإذا فعلنا هذا ضاع الهدف من المَثَل وأخطأنا التفسير، بل وأوقعنا أنفسنا في أخطاء نحاول بعد ذلك تبريرها. فمثلاً في مَثَل وكيل الظلم عندما نقول أن السيد كان يأخذ أكثر

[1] إنجيل متى ١٣ : ٤٤

من حقه وهو راضٍ على ذلك، بل أنه أُعجب بالتواء الوكيل ووافقه فيما فعل بدلاً من طرده فيفقد هو شعبيته بين الناس، إذن فالسيد هنا ليس أفضل من الوكيل، أو عندما يتحدث يسوع عن مجيئه كلص لا يمكن أن نأخذ الرمز كاملاً، لكننا نأخذه فقط من جانب المفاجأة، وهذا ليس رمزاً فالرمز لابد وأن يتطابق مع المرموز إليه بصورة لا تقبل اللّبس، لذلك فإن استخدام المثل هو لهدف واحد يوضّحه وهو البحث عن لماذا قيل المثل ؟ فمثلاً مثل السامري الصالح والذي جاء رداً على سؤال من هو قريبي ؟ ويحكي عن الرجل الذي وقع بين اللصوص، ومر عليه كاهن ثم لاوي ولم يعيراه اهتماماً حتى مرّ عليه عدو سامري وضمّده وحمله إلى الفندق، ثم التعليق الذي في نهاية المثل وفيه يضع يسوع -أو الكاتب بالروح القدس- المعنى من وراء المثل بالقول: فأي هؤلاء الثلاثة تُرى صار قريباً للذي وقع بين اللصوص ؟

ولأن يسوع قد جاء لكي يعرفنا من هو الله ؟ وما هو الله ؟ فكان من الصعب إدراك ما يقوله بسهولة، فلقد أعلن الله من قبل أن طرقه ليست كطرقنا ولا أفكاره كأفكارنا وبالتالي فملكوته ليس شيئاً يُفهم بل من المستحيل أن نفهم عنه شيئاً دون نعمة الله، فأمام الإعلانات الصعبة مثل خلق العالم من أجل هدف واضح ومحدد، وأن الله أعلن ذاته للبشرية في يسوع الذي وُلد كطفل من امرأة، وكان ينمو في النعمة والقامة، وأعلن ذاته للعالم كمؤسس لملكوت الله في معناه الجديد، وكرأس لهذا المجتمع الكنسي المسئول عن تغيير العالم، ومات على الصليب، وفي اليوم الثالث قام لكي يحقّق هذا العمل العظيم ويتمّمه ... أمام هذه الإعلانات إما أن

تدركنا نعمة اللــه فنستنير ونفهـم، أو نُحـرم منهــا فنهلـك كمـا يذكـر فـي العدد الحادي عشر " *لأنه قد أعطي لكم أن تعرفوا أسرار الملكوت وأما لأولئك فلم يُعط* " فكلمة (أعطى) تعني نعمة، وكلمة لم يُعط تعنـي حرمـان من عطيـة أو نعمـة، فقد أعطـى لأفـراد هذا المجتمـع أن يعرفـوا أسـرار ملكوت السموات. وفي رسالة بولس الرسول الأولى إلـى أهـل كورنثـوس الأصحاح الثاني وفي العددين السادس والسابع يقول " *لكننـا نتكلـم بحكمـة بين الكاملين ولكن بحكمة ليست من هذا الدهر ولا من عظماء هذا الدهـر الذين يبطلون، بل نتكلم بحكمة الله في سر، الحكمة المكتومـة التـي سبق الله فعيّنها قبل الدهور لمجدنا* " ولـم يكـن لبولـس أو لـغيره مـن المؤمنيـن إدراك هذه الحكمة بدون نعمة خاصة من الله .

الحقيقة الثانية : حقيقة وجود عائلة للملكوت (الكنيسة)

وعائلة الملكـوت هـذه هـي مـا نطلـق عليـه اسم الكنيسـة، فكلمـة (أسرار) التي استخدمها الرب يسوع هنـا لا تعنـي شـيئاً مخفيـاً لا يسـتطيع أحد إدراكه إلا بطقوس معينة، أو شيئاً أسطورياً فوق الطبيعـة لا نسـتطيع أن نتلامس معه، لكنها تعني أسراراً عائلية، فكل عائلة لها أسرار خاصـة بها لا يجب أن تعرفها باقي العـائلات رغـم وضوحهـا وممارسـتها بشـكل عادي وطبيعي، فكل أسرة تأكل وتشـرب وتنـام وتتّفـق وتختلـف، لكـن لا تعلن لكل الناس عن ماذا تأكل أو تشرب أو متى تنام أو موضـوع الخـلاف أو الاتفاق أو رصيدها في البنك أو مشاريعها للمستقبل أو آلامها، وهذا ما تعنيه كلمة (أسرار) فهي ليست أموراً أسطورية ميتافيزيقية، لكنها أسـرار

خاصة بها، وحياة الشركة في داخل هذه الجماعة المسئولة هي جـزء من هذه الأسرار، فمثلاً عندما يُعلن عن احتياج ما لعضو أو عن ألم أصاب آخر، أو تكاتف البعض لإنقاذ ثالث، أو اختلاف الأب مع الأبناء أو الإخوة معاً، أو الاتفاق على عمل ما، كل هذا يعتبر من الأسرار الخاصة التي لا يجب أن تخرج خارج إطار العائلة، لذلك فالشركة داخل هذه العائلة ليس مجرد شركة اجتماعية كشركة أعضاء نادٍ رياضي أو مؤسسة معينة، وليست شركة مصالح أو منفعة متبادلة لكنها شركة رباط مقدس يتحدث عنه بولس الرسول في رسالته إلى فيلبي الأصحاح الأول والأعداد من ٢٧ – ٣٠ فيقول *" فقط عيشوا كما يحق لإنجيل المسيح حتى إذا جئت ورأيتكم أو كنت غائباً أسمع أموركم أنكم تثبتون في روح واحد مجاهدين معاً بنفس واحدة لإيمان الإنجيل غير مخوفين بشيء من المقاومين الأمر الذى لهم بيّنة للهلاك وأما لكم فللخلاص وذلك من الله لأنه قد وُهب لكم لأجل المسيح لا أن تؤمنوا به فقط بل أيضاً أن تتألموا لأجله إذا لكم الجهاد عينه الذى رأيتموه فيّ والآن تسمعون فيّ "* وكلمة (عيشوا) تعني المواطنة أي الجنسية والارتباط الوطني والعائلي، ورغم أن بولس كان يتمتع بالجنسية الرومانية ويفتخر بها دائماً إلا أنه هنا أراد أن يعبِّر عن جنسية هذا المجتمع الكنسي فقال " عيشوا " أي مارسوا حياة المواطنة والعائلة الواحدة، وتعني أيضاً الحقوق التي للمواطن الذي اكتسب الجنسية، والواجبات التي عليه. والإنسان يصبح مواطناً وعضواً لهذا المجتمع بمجرد أن يؤمن، ففي عدد ٢٩ *يقول " لأنه وهب لكم لأجل المسيح لا أن تؤمنوا به فقط ... "* وهنا نلاحظ أن الإيمان هو أساس المواطنة والانتماء

للعائلة " أما الذين قبلوه فأعطاهم سلطاناً أن يصيروا أولاد الله أي المؤمنين *باسمه* "[1] فالعائلة لها أب هو الله، وأخ بكر هو يسوع، ولكي نعيش ونمارس حياة العائلة والمواطنة يجب أن ننتمي " *ونثبت في روح واحد، وأن نجاهد بنفس واحدة لإيمان الإنجيل* " عدد ٢٧ والروح الواحد هنا ليس المقصود به الروح القدس، لكن روح الشركة أو العائلة، أو أن تكون لنا هوية خاصة بنا. إنها صفات العائلة الواحدة فهناك عائلات تتميز بروح المرح، وأخرى بالتجهم، وثالثة بالعمل الجاد، ورابعة بالكسل، أما ما يميّز هذه العائلة فهو روح المسيح الذى يربطهم معاً ويشتركون ويشاركون بعضهم في نفس هذه الروح، وهي التي تميّزهم كمجتمع وعائلة عن أي مجتمع أو عائلة أخرى، ومن مميزات شخصية هذه العائلة الألم لأجل هدف أو معنى يعيشونه، فهي عائلة متألمة " *لأنه قد وُهب لكم لأجل المسيح لا أن تؤمنوا به فقط بل أن تتألموا لأجله* " عدد ٢٩ والألم هنا هبة، أي أنه ليس بالألم الذي يصيب الإنسان باليأس أو الإحباط، لكنه الألم الذي يملأ النفس بالبهجة والسعادة، إن عضو العائلة يشعر بالسعادة وهو يتألم لأجل أسرته ولأجل اسم الأخ الأكبر فيها لكي يحققوا رؤيته التي أصبحت رؤيتهم، إن أبناء الأسرة الواحدة يعيشون نفس المعاناة، ويقاسون نفس الألم، ولذلك يربط بولس بين آلام المسيح وآلامه، وآلام المجتمع المسئول. فهو يتحدث عن نفس الجهاد الذي عاناه في فيلبي ورآه أهل فيلبي، وهم يسمعونه الآن من خلال الرسالة وهم يجاهدون نفس الجهاد ويعيشون نفس الألم، فالآلام الواحدة تصهر أعضاء الأسرة معاً

---

[1] إنجيل يوحنا ١ : ١٢

وتجعلهم واحداً، وهذا أحد أسرار هذه الأسرة التي لا يعرفها سواهم، فالأسرة عندما تتألم تصبح واحداً وتسعد وتبتهج وتملأ العالم بهجة، فالكنيسة (المجتمع المسئول) مسئول عن تخفيف آلام الناس، فهو يحّول العالم إلى جنّة مملوءة بالملائكة، وليس إلى وادٍ مملوء بالعفاريت .

الحقيقة الثالثة : حقيقة حرمان البعض من عضوية هذه العائلة أو المجتمع

يقول الرب يسوع في هذا الشأن " لأنهم مبصرين لا يبصرون وسامعين لا يسمعون ولا يفهمون فقد تمّت فيهم نبوة أشعياء القائلة *"تسمعون سمعاً ولا تفهمون ومبصرين تبصرون ولا تنظرون، لأن قلب هذا الشعب قد غلظ وآذانهم قد ثقل سماعها وغمضوا عيونهم لئلا يبصروا بعيونهم ويسمعوا بآذانهم ويفهموا بقلوبهم ويرجعوا فأشفيهم "*[1] فكما أن هنالك حقيقة وجود عائلة للملكوت (المجتمع المسئول) فهنالك حقيقة أخرى تقابلها وتكّملها وهي أن هنالك البعض قد حُرم من هذه العضوية وقد جاء الحرمان من هذه الأسرة أو المجتمع نتيجة لموقف اتخذوه هم، فهؤلاء البشر لهم عيون تبصر، وقد قرأوا الكتاب المقدس ولهم آذان تسمع وقد سمعوا الكلمة لكنهم غلّظوا قلوبهم ولم يحاولوا أن يفهموا بصورة صحيحة كلام التعليم، إنهم يبدون كفاهمين فهم يهاجمون الكتاب المقدس ويحاولون أن يهدموه، يتفننّون في إخراج تناقضات ظاهرية، ويهاجمون شخص المسيح، ويرفضون فكرة التجسّد على أساس عدم خضوعها

---

[1] إنجيل متى ١٣ : ١٤ – ١٧

للعقل، ويرفضون التثليث. وبعض من هؤلاء علماء في اللاهوت يعيشون في الغرب، إنهم يحاولون أن يفهموا لكي ينتقدوا، لذلك حُرموا من عضوية العائلة لأنهم أتوا بطرق ملتوية، والحقيقة كما قلنا أن المسيحية لا يمكن فهمها إلا من الداخل، وكما أن قبول المسيح موقف فعدم قبوله أيضاً يعتبر موقفاً، وإذا كانت الرؤية موقفاً فعدم الرؤية موقف أيضاً، لذلك يقول الرب يسوع أنه رغم أنه يكلمهم بأمثال إلا أنهم يسمعون ولا يفهمون ويبصرون لكنهم لا ينظرون، والله هنا غير مسئول عنهم فهو لم يغلق عيونهم ولم يسد آذانهم، لكنهم هم الذين فعلوا هذا بأنفسهم فحُرموا من عضوية العائلة، إنهم أحفاد أولئك الذين قالوا للرب في القديم "وبمعرفة طرقك لا نسر" أي أنهم يعرفون أن الله موجود، ويعرفون أنه هو الله، ويعرفون كذلك أن له طرقاً لمن يريد الوصول إليه، إلا أنهم قد اتخذوا قراراً بعدم سلوك هذه الطرق، لأنها بصراحة لا تُسرهم فهي بعيدة عن طبيعتهم وعن هويتهم وأسلوب حياتهم، لذلك ليس من المستغرب الهجوم على المجتمع المسئول، وليس من العجيب أنه في كل جيل يوجد أعداء لهذه الأسرة، وليس بشيء فريد أن تهاجم هذه العائلة ورأسها وكتابها من خلال كتب مؤلفة ووسائل مسموعة ومرئية، فعدم وجود مثل هذه الأمور هو الشيء غير الطبيعي، فكما أنه من حقائق ملكوت السموات وجود مجتمع هو عائلة الملكوت، كذلك أيضاً حرمان البعض الآخر من الدخول كأعضاء في هذه العائلة حقيقة أخرى ثابتة .

الحقيقة الرابعة : حقيقة النمو المطّرد للكنيسة

يقول الرب يسوع" *لأنه من له يُعطى ويزداد ومن ليس له فالذي عنده يؤخذ منه*" عدد ١٢

والمعنى هنا أن الذي له الأساس الذي هو الرب يسوع، وله رغبة لاكتساب المعرفة، وله شوق في ذلك فسوف يُعطى ويزداد سواء في الفكر أو الاختبارات، أما الذي ليس له الأساس، وليس شغوفاً بالمعرفة، وليس لديه الاستعداد للتعلُّم فإن الذي عنده من أفكار أو دراسات ومعلومات فسوف تؤخذ منه، فالأسرار العائلية للملكوت ليست مجرد معلومات نفهمها وندركها بعقولنا بقدر ما هي حياة نحياها مع المسيح وفيه، فملكوت الله شيء ينمو في داخلنا ومن حولنا ولا يمكن له أن يتوقّف عند حد معين، ومرّات نرى هذا الملكوت ينمو بشكل واضح يراه كل الناس ويشيرون إليه، وهذا ما عبّر عنه يسوع بالقول "*يشبه ملكوت السموات حبة خردل أخذها إنسان وزرعها في حقله وهى أصغر جميع البذور ولكن متى نمت فهي أكبر البقول وتصير شجرة حتى أن طيور السماء تأتي وتتأوى في أغصانها*" وهنا ترى الملكوت وهو ينمو من حبة إلى جذر إلى ساق يطول شيئاً فشيئاً أمام الجميع تحت شمس النهار وبرد الليل يتحدّي الظروف حتى يصير شجرة ضخمة، وتأتي الطيور وتتأوى في أغصانها، أي يعترف بها البشر والطير، وحتى الذين لا ينتمون إليها يأوون للحماية، فالطيور هنا إشارة للأشرار أو للشر بالمقارنة بمَثَل الزارع الذي يتحدث عن الطيور التي تلتقط تأثير كلمة الله من القلوب. إلا أن المجتمع المسئول، يحتضن هذه الطيور ويرعاها في أغصانه، وهنا

إشارة واضحة إلى الأوقات التي فيها تقوى شوكة المجتمع المسئول وتنهض وتمتد وتصبح كمجتمع قادر على أن يلقي بظله وخيراته على الآخرين، ويصبح الآخرون في موقف الضعف ويلجأون إليه ليحتموا في أغصانه، لكن مرّات أخرى يكون الامتداد سرّياً، وقد عبرّ يسوع عن هذا الوضع بالقول " *يشبه ملكوت السموات خميرة أخذتها امرأة وخبأتها في ثلاث أكيال دقيق حتى اختمر الجميع* " عدد ٣٣. والصورة هنا عكس حبة الخردل فعملية الاختمار تتم في الخفاء وفي الظلام وفي هدوء دون أن يدرك أحد أن هناك نمواً ما، حتى يفاجأ الجميع باختمار العجين في الصباح، وهذا ما تم في الكتلة الشيوعية التي ظلت لمدة سبعين عاماً تضطهد الكنيسة، وظن الجميع أن الكنيسة قد ماتت لكن بعد سبعين عاماً كان العجين قد اختمر وفوجيء الجميع بالانهيار التام للكتلة الشرقية .. إن ما يريد أن يقوله الرب يسوع أنه سواء كان النمو واضحاً أمام الكل أو غير واضح، فإن الحقيقة التي يجب ألا نغفلها هي حقيقة النمو لعائلة الملكوت المجتمع المسئول–أي الكنيسة .

الحقيقة الخامسة : حقيقة القيمة العظمى لملكوت الله لدى الكنيسة

يتحدث الرب عن هذه القيمة بالقول لتلاميذه " *ولكن طوبى لعيونكم لأنها تبصر ولآذانكم لأنها تسمع فإني الحق الحق أقول لكم إن أنبياءً وأبراراً كثيرين اشتهوا أن يروا ما أنتم ترونه ولم يروا وأن يسمعوا ما أنتم تسمعون ولم يسمعوا* "[1] إن أعضاء هذا المجتمع المسئول يتمتعون

[1] إنجيل متى ١٣ : ١٦ ، ١٧

بامتياز حصولهم على ملكوت الله من خلال سماعهم ورؤيتهم وتعايشهم، ولو حاولنا أن نقيّم هذا الامتياز فإن أنبياء كثيرين اشتهوا أن يروا وأن يسمعوا ولكن الفرصة لم تتح لهم، إن يوحنا المعمدان كان يتمنّى أن يكون ابناً لملكوت المسيح، ودعونا نسمع تقرير الرب عنه في إنجيل لوقا الأصحاح السابع " *ماذا خرجتم لتنظروا أنبيا نعم أقول لكم وأفضل من نبي، هذا هو الذي كتب عنه ها أنا أرسل أمام وجهك ملاكي الذي يهيئ طريقك قدامك، لأني أقول لكم أنه من بين المولودين من النساء ليس نبي أعظم من يوحنا المعمدان ولكن الأصغر في ملكوت الله أعظم منه* " عدد ٢٦ – ٢٨. إننا نرى ونسمع ونفهم بينما الآخرون يسمعون ولا يفهمون ولهم عيون لكنها لا تبصر. وأن نكون أبناء للملكوت بينما أنبياء وأبرار كثيرين كانوا يتمنّون هذا الامتياز، وأن نجد معنى لحياتنا نعيش له من خلال ممارستنا لمفاهيم الملكوت في حياتنا، بل إن وجود حياة الله فينا ووجودنا ضمن عائلة الملكوت واستمتاعنا بحقائق وأسرار الملكوت فإن كل ذلك يمثل امتيازاً حقيقياً. فهل نحن فعلاً نقدّر هذه النعمة التي نحيا فيها.

إذ كانت هذه الخمس حقائق تعبّر عن سمات عامة ترتبط بمجتمع الكنيسة الذي يعبّر عن ملكوت الله في الأرض والخادم له، دعونا الآن نكون أكثر تحديداً في الحديث عن نوعية هذا المجتمع. هل هو مجتمع سياسي أم اجتماعي، اقتصادي أم روحي إنساني، أم ماذا ؟ ولكي تكون بدايتنا صحيحة في هذه الدراسة لابد وأن نحاول وضع تعريف لكلمة

روحي، وذلك لأننا نعرف بالتحديد ما هو سياسي أو اقتصادي أو اجتماعي، وعادة نحن نعرّف الروحي بالتضاد مع كل ما هو سياسي اقتصادي اجتماعي، أو باختصار ما هو عالمي أو مادي. فكل ما هو روحي هو غير مادي، وكل ما هو غير مادي هو روحي، لكننا هنا سوف نحاول استخدام بعض التعبيرات التي ربما تجعلنا نعيد التفكير في هذا التوجّه وتقرّبنا للمعنى الصحيح للروحي، يقول نيكول برنت " إذا كنت جائعاً فهذه مشكلة مادية، أما إذا كان جاري جائعاً فهذه مشكلة روحية "، ويقول داج همرشلد " إن الطريق إلى الروحانية يمر خلال حركة العالم المادية "، إذن نحن هنا لا نستطيع أن نضع خطاً فاصلاً بين المادية والروحية، ومحاولة العزل بينهما أمر في منتهى الخطورة . ومن هذه التعريفات نكتشف أن الروحانية الحقيقية هي الالتزام بقضايا العصر، إذن فالروحانية هي علاقة مع الله ملتزمة بقضايا الإنسان، فالمجتمع المسئول هنا (والكنيسة) هم أولاد الله الذين يلتزمون بقضايا العالم الذي يعيشون فيه، ولا يشعرون بازدواجية ... نحن لا نستطيع أن ندعي بأن يسوع قد أسّس ملكوتاً روحياً بالمعنى التقليدي -أى المنفصل عن العالم المادي والسياسي والاجتماعي- بل أن الملكوت الذي أسّسه والجماعة التي كوّنها وضع لها الأسس والمباديء التي تتفاعل بقوة مع المجتمع المحيط، وتعمل على تغييره حسب فكر الله. وتعالوا بنا نرى ذلك في حياة وأقوال يسوع ودعونا نبدأ بالمثل المذكور في إنجيل لوقا والأصحاح التاسع عشر والأعداد ١١ – ٢٦ والذي فيه يتحدث عن الإنسان شريف الجنس الذي ذهب إلى كورة بعيدة ليأخذ لنفسه ملكاً ويرجع، فدعا عشرة عبيد له

وأعطاهم عشرة أمناء[1] وقال لهم تاجروا حتى آتي، وأما أهل مدينته فكانوا يبغضونه فأرسلوا وراءه سفارة قائلين لا نريد أن هذا يملك علينا، لكنه نجح في أخذ الملك رغم هذه السفارة، وعاد ليحاسب عبيده. هذه القصة سياسية من الدرجة الأولى، وكل الذين سمعوها في ذلك الوقت يعلمون جيداً ماذا يقصد يسوع بهذه القصة، ففي ذلك الوقت كان أرخيلاوس بن هيرودس الكبير، والمشار إليه في إنجيل متّى ٢ : ٢٢ بالقول " ولما سمع أن أرخيلاوس يملك علىٰ اليهودية عوضاً عن هيرودس أبيه ... " هذا الأرخيلاوس فعل تماماً ما قاله يسوع في المثل، فأبوه هيرودس الكبير مات عام ٤ق.م وقد ترك في وصيته إمبراطوريته الصغيرة لثلاثة من أبنائه، فترك الجليل لهيرودس أنتيباس، وهو الذي قتل يوحنا المعمدان، وترك اليهودية بما فيها أورشليم والسامرة إلى أرخيلاوس، وعندما مات هيرودس الكبير قام أرخيلاوس برحلة طويلة إلى روما لكي يأخذ اعتراف روما بأنه الملك والحاكم على اليهودية والسامرة، ولكن اليهود لم يكونوا يحبون أرخيلاوس، لذلك أرسلوا خلفه سفارة رفيعة المستوى إلى روما حتى لا يملك عليهم، أما روما فقد قامت بعمل مساومة فأكّدت حكم أرخيلاوس في الوقت الذي لم تعطه لقب ملك، وهنا لابد وأن ندرك أن يسوع لم يكن مجرد معلّم روحي لا علاقة له بالنظام السياسي أو

---

[1] أمناء تعني وزنات، والوزنة مقدار معيّن من الوزن، وتتوقّف قيمة الوزنة على نوع المعدن المأخوذ منه سواء كان نحاساً أم ذهباً أم فضة، وقد كان المعدن الشائع في ذلك الوقت هو الفضة. ووزنة الفضة تساوي خمسة آلاف جنيه

الاجتماعي بل نراه في قلب الأحداث السياسية والدينية، وفي إنجيل لوقا ١٣ : ٣١، ٣٢ "*في ذلك اليوم تقدم بعض الفريسيين قائلين له أخرج واذهب من هنا لأن هيرودس يريد أن يقتلك، فقال لهم امضوا وقولوا لهذا الثعلب ها أنا أخرج شياطين وأشفي اليوم وغداً وفي اليوم الثالث أكمل* " والصدام مع هيرودس لم يكن صداماً دينياً بالطبع، لكنه كان صداماً سياسياً أخلاقياً بالدرجة الأولى، ووصف يسوع له بالثعلب تحمل من المعاني الكثير، وتحدّي يسوع لسلطته تقول أن الملك الفاسد لا يجب الخضوع له بل تحدّيه بدون عنف .

إن سبب الصدام الحقيقي بين يسوع والسلطة كان لأسباب دينية وسياسية واجتماعية، فقد جاء يسوع لينادي بتأسيس مجتمع جديد، ولقد أعلن يسوع مباديء هذا المجتمع الجديد في المجمع في لوقا ٤ : ١٦ - ٢٠ والذي قرأه يسوع من إشعياء ٦١ " *لأن الرب مسحني لأبشر المساكين أرسلني لأعصب منكسري القلوب لأنادي للمسبيين بالعتق وللمأسورين بالإطلاق وللعمي بالبصر وأرسل المنسحقين في الحرية ... وأكرز بسنة الرب المقبولة* " وهذه الكلمات إشارة إلى سنة اليوبيل التي تأتي كل خمسين سنة في إسرائيل، وتترك فيها الأرض بدون زراعة، وتُعفى المديونيات من على المدينين ويتحرّر الأسرى، وفي نهاية خطابه قال لهم يسوع " *اليوم قد تم المكتوب* "[1] ولا شك أن ما قصده يسوع هنا هو إعادة بناء اجتماعي سياسي اقتصادي وتأسيس مجتمع جديد مسئول يتحقّق عن طريق تدخّل الله في التاريخ الإنساني من خلال يسوع

---

[1] إنجيل لوقا ٤ : ٢١

المسيح.

وعلى طول الأناجيل نكتشف المواجهة بين نظامين اجتماعيين، فعندما سأله البعض أيجوز أن نعطي جزية لقيصر أم لا ؟ كانوا يستدرجونه للوصول إلى نقطة الصدام، وفي إجابة يسوع أعطوا ما لله لله لا تعني أشياء روحية فقط، كما أنه في قوله (ما لقيصر لقيصر وما لله لله) تشير إلى أن هناك تشابكاً في الامتيازات بين الله وقيصر يجب الفصل بينهما، وما لقيصر وما لله يستحيل تصادمهما لأن لكل منهما مسئوليته وسلطته، وفي رسالة رومية ١٣ : ٧ نجد صدى ذلك في قول بولس " فأعطوا الجميع حقوقهم " وهذا أيضاً لا يعني التمييز بين الاثنين لكن الولاء لابد وأن يكون للاثنين كل واحد في اختصاصه ومستواه . .

وفي تجربة إبليس ليسوع نرى ثلاثة خيارات ليبني المسيح ملكه عليها، وكان الخيار الأول الذي قدَّمه إبليس ليسوع اقتراحاً بتكوين مملكة تُبنى على الخيار الاقتصادي " إن كنت ابن الله قل لهذا الحجر أن يصير خبزاً "[١] أي طلب منه قائلاً: إن كنت تريد أن تكون ملكاً عليك أن تشبع البشر وهو النظام الرأسمالي الحر، والذي تتبنّاه أمريكا والغرب معها، أي مجتمع الرفاهية، ولقد أشبع يسوع الخمسة آلاف رجل غير النساء والأطفال، وهجم الناس عليه مهلّلين لكي يخطفوه ويجعلونه ملكاً، إلا أنه رفض أن يكون مجتمعه مؤسساً على هذا الخيار الاقتصادي، وقال لإبليس"مكتوب ليس بالخبز وحده يحيا الإنسان بل بكل كلمة تخرج من فم

---

[١] إنجيل لوقا ٤ : ٣

الله"[1] فرفاهية الإنسان لاتصلح كأساس لملك بدون الأساسيات الأخلاقية والرّوحية المدوّنة في كلمة الله، وهذا ما أثبتته الأيام إذ نرى الغرب وهو يتضوّر جوعاً إلى الروحانيات والأخلاقيات رغم الرفاهية التي يعيش فيها.

وكان الخيار الثاني سياسياً اجتماعياً، فقد أراه جميع المسكونة وقال له لك: أعطي هذا السلطان كله ومجدهن، فإذا سجدت أمامي يكون لك الجميع، وهنا نجد إبليس يعرض معاهدة سلام مع يسوع، فإبليس الذي يملك العالم على استعداد لتقديم هذا العالم ليسوع ليملك عليه دون ألم فقط بأن يسجد له، أي الغاية تبرّر الوسيلة، والحصول على الحكم والملك بغض النظر عن الوسيلة المستخدمة، وهو ما يسمى بلغة العصر "الخيار السياسي"، ولقد رفض يسوع أن يملك بهذه الصورة السياسية التي فيها خضوع لإبليس حيث يكون الهدف هو الملك والسيطرة على البشر دون نظر إلى الوسيلة أو دون اعتبار أن المُلك مسئولية وليس امتيازاً، ووسيلة لهدف وليس هدفاً في ذاته.

وفي التجربة الثالثة كان الواضح هو "الخيار الديني" في الحكم، فقد طلب إبليس منه أن يصعد إلى جناح الهيكل ويلقي بنفسه أمام الجماهير المنبهرة، وإذا ألقى يسوع بنفسه من على جناح الهيكل – ولندرك معنى المكان هنا وهو الهيكل– في حركة استعراضية شعبية ويُنقذ إذ يسقط واقفاً أما باب الهيكل، فهذا يعني أن يسوع هو الزعيم

---

[1] إنجيل لوقا ٤ : ٤

الديني الأوحد، والمحرر لشعبه، والحُكم له سيكون من خلال الدين والهيكل وهو ما يسمى بلغة العصر "الخيار الديني" ونرى منه أمثلة كثيرة من حولنا سواء في إيران، أو السودان، أو الفاتيكان .

وإذا كان يسوع قد رفض . هذه الخيارات الاقتصادية والسياسية والدينية ترى على أي أساس إذن بنى مملكته وشعبه المسئول ؟ هنا نأتي إلى الصليب، فلقد أراد يسوع أن يبني مجتمعه السياسي الاجتماعي الاقتصادي الروحي من خلال الصليب، وليس من خلال القوة أو المعجزة. ولقد علم إبليس بذلك فأتى وقدّم له الوسائل التي يمكن أن يحقق بها مجتمعه هذا دون ألم، إلا أن يسوع رفض كل العروض المقدّمة. وهذا الرفض لما قدمه إبليس لم يكن رفضاً للهدف الذي هو المُلك لكنه كان رفضاً للوسيلة المستخدمة للوصول للمُلك، أنه يريد أن يملك على العالم لكن ليس بإشباع الناس خبزاً، ولا بالسلطان السياسي، ولا بالقوة الدينية لكن بالصليب، فرغم الألم والمعاناة والموت إلا أنه هو الطريق الصحيح للمُلك فلم يكن الصليب انحرافاً عن طريق الملكوت، ولم يكن عقبة في طريقه، ولا حتى كان الطريق إلى الملكوت، بل كان هو نفسه الملكوت في مجيئه .

فلم يكن يسوع مجرد معلم أخلاق، ولم يكن مدرّساً للروحيات فقط ولا مجرد (حمل الذبيحة) الذي يستعد للتقديم كقربان، ولكنه كان في نبوّته وكهنوته وملكوته وصليبه بجانب كل ما سبق مؤسّساً لمجتمع جديد له مفاهيمه وعلاقاته السياسية والاجتماعية والإنسانية، يُبنى على

الصليب ويكون مسئولاً عن تغيير العالم المحيط " لست أسأل أن تأخذهم من العالم ولكن أن تحفظهم من الشرير "[1]

وهنا يقول جون ديور[2] عند هذه النقطة ليس هناك فرق بين المسيح (الله) ويسوع (الإنسان) أو بين (عقيدة يسوع) و(الاعتقاد عن يسوع)، أو (بين يسوع الإيمان ويسوع التاريخ) فلا يمكن لمثل هذا التشريح أن يتجنّب دعوته لأخلاق تتميز بالصليب، والصليب الذى أعتبر عقاباً لإنسان يهدّد المجتمع بواسطته يقود أساساً إلى حياة من نوع جديد " إذن ماذا يعني الصليب كأساس للحياة في المجتمع الجديد ؟!

أولاً : أن الصليب لا يعني أبداً التصوُّف والهروب من العالم

من الواضح أن الرب يسوع جاء مغايراً ليوحنا المعمدان، فيوحنا المعمدان كان جافّاً متصوّفاً يعيش في الصحراء يلبس وبر الإبل، ويأكل جراداً وعسلاً برياً إلا أن يسوع كان صديقاً للعشارين والخطاة، يأكل على موائدهم، ويحضر مناسباتهم، ويتحاور معهم. وقيل عنه أنه شرّيب خمر، فلم يكن يسوع متقشّفا. وفي المثل الساخر الذي قاله يسوع عند رفض اليهود له وليوحنا المعمدان رغم أنهما متناقضان تتضح هذه الحقيقة بجلاء ففي متّى ١١ : ١٦ - ١٩، لوقا ٧ : ٣١ - ٣٥ يقول " وبمن أشبه هذا الجيل يشبه أولاداً جالسين في الأسواق ينادون إلى أصحابهم ويقولون : زمّرنا لكم فلم ترقصوا، نحنا لكم فلم تلطموا، لأنه جاء يوحنا لا يأكل ولا

---

[1] إنجيل يوحنا ١٧ : ١٥

[2] جون ديور : المسيح والسياسة . دار الثقافة .

يشرب فيقولون به شيطان، جاء ابن الإنسان يأكل ويشرب فيقولـون هـوذا إنسان أكول وشرّيب خمر . محـب للعشـارين والخطـاة والحكمـة تـبررت من بنيها " .

والصورة هنا لأطفال يلعبون في ساحة القرية التي تُستخدم كسوق في الصباح مّرة أسبوعياً، واللعب الـذي يلعبونـه مشـهور جداً فـي قـرى بلادنـا، فالأطفـال يلعبـون معـاً إمـا حفـل زفـاف (عرْوسـة وعريـس) أو جنازة، وينادون على أصحابهم الذيـن يرفضـون اللعـب معهـم دون سـبب معروف ويقولون لهم لماذا لا تلعبون معنا؟ اختاروا أنتم اللعبة التي تعجبكم فرح أو جنازة فنحن زّمرنا لكم فلم ترقصوا، ونُحنـا لكـم فلـم تلطمـوا، مـا الذي يعجبكم؟ ماذا نفعل من أجلكم ؟

ورغم السخرية الواضحة في كلمات يسوع إلا أنه يوضّح أنه لم يتبنّى أسلوب التقشّف في حياته، بل أن خلفية يسوع كنجاّر وارتباطـه مـع الصيادين واختيار صور أمثاله من الحياة العامة كان له الأثـر فـي تمجيد العمل اليدوي في التعليـم المسـيحي علـى طـول التـاريخ . إن الصليـب لا يعنى التقشُّف، إننا نرى البعض اليوم ينادون بالانعزال عن الحياة والسـير حفـاه كفرنسـيس الأسـيزى، أو التبّتـل علـى أسـاس أن هـذا هـو الصليـب الحقيقي، بينما عندما تحدث بولس عن التبّتل ذكـره كنـوع مـن الانشـغال بالخدمة التي لا يعطي الإنسان فرصة الانشغال بأشياء أخرى، لكنه لم يقـل أبداً أنه الصليب، أو الطريق الصحيح للحصول على الخلاص، فالانكسـار الذاتـي وإنكـار الـذات والاتضـاع وإخضـاع الإرادة للـه أشـياء ضروريـة

للحصول على صحة روحية ونفسية وعقلية؛ وذلك يساعد على التفاعل مع الآخرين وقبولهم، وأيضاً يساعد على زيادة طاعة الإنسان لإعادة خلق المجتمع المحيط، لكن هذا ليس هو الصليب .

ثانياً : إن الصليب لا يعني اختراق العالم بمعجزات خارقة

فالصليب أيضاً ليس هو صنع معجزات لكي يؤمن الإنسان بالمسيح، وإلا لكان المسيح نزل من على الصليب كما طلب منه اللص المصلوب معه، ولكان استجاب لطلب بعض الكتبة والفريسيين بأن يقدم آيةً من السماء لكي يؤمنوا به، إن الذين يقدمون الصليب من خلال معجزات هم الذين يريدون تقديم يسوع الملك لأنه يحوّل الحجارة خبزاً، ولأنه يشفي المريض ويقيم الميت. إن الصليب ليس ولم يكن ولن يكون اختراق العالم بالمعجزات .

ثالثاً : إن الصليب لا يعني مجرد ألم

لا شك أن هناك آلاماً نجلبها لأنفسنا بسبب حماقتنا، فهل نسّمي مثل هذا صليباً ؟ فعندما نؤذى أو نُضطهد بسبب غبائنا أو تصرفاتنا الحمقاء فهذا أمر طبيعي. يقول يسوع " طوبى لكم إذا عيروكم وطردوكم وقالوا عليكم كل كلمة شريرة من أجلي كاذبين "[1] فلو عُيّرنا وطُردنا ليس من أجل المسيح، أو عُيّرنا وطُردنا بسبب أخطاء ارتكبناها فإن ذلك لا يوضع تحت بند الصليب .

---

[1] إنجيل متى ٥ : ١١

ليس هذا فقط بل إن الآلام التي تأتينا بسبب المرض أو الخوف من المستقبل المجهول والحوادث والوحدة ليست صليباً، فإننا نحتاج هنا إلى أن نعطي للآلام معنى من خلال فهم خطّة الله من خلال هذه الآلام، لكن هذا لا يجعلنا نتحدث عن هذه الآلام حتى ولو في معرض المشورة للمتألمين على أنها الصليب، فصليب المسيح لم يكُن حادثاً وقع له دون قصد أو ترتيب، فقد قَبِل يسوع حمل الصليب بإرادته الكاملة، فهو يعلم أنه كان بإمكانه تجنّبه إلا أنه أصر على أن يصل إلى منتهاه، فلم يكن صليب يسوع أزمة أسرية أو مالية أو صحية ... لكنه كان النتيجة الطبيعية لمعارضة يسوع لأخلاقيات المجتمع الذي عاش فيه، سواء كانت اقتصادية أم اجتماعية أم روحية وهذا ما عّبر عنه بولس بالقول " لأعرفه وقوة قيامته وشركة آلامه متشبهاً بموته "[1] فالصليب لا ينفصل عن القيامة والتشبّه بموته في الصراع مع المباديء والأخلاقيات المحيطة .

رابعاً : إن الصليب ليس هو الصراع الداخلي للذات مع الخطية .

فهناك من يعتبر أن صراعه مع ذاته ومحاولة عمل مصالحة داخلية بين ما يحب وما يطلبه منه الله صليب، أو صراعه مع خطية معينة، أو عادة قد تأصلت لديه وصراعه للفكاك منها صليب. إن الصراع مع الذات أو مع الخطية لا يعد صليباً .

إذا كان الصليب ليس هو التقشّف، ولا المعجزة، ولا مجرد الألم، أو الصراع الداخلي فماذا يعني الصليب إذاً ؟

---

[1] الرسالة إلى فيلبي ٣ : ١١

خامساً : إن الصليب في المسيحية هو الثمن الذي ندفعه لتحقيق رؤيتنا المخالفة لرؤية المجتمع المحيط بنا

لقد حمل المسيح الصليب لأن المجتمع لم يقتنع برؤيته عن المجتمع الجديد (ملكوت الله) الذي أراد أن يؤسّسه، ولقد اعتبره المجتمع أنه منشق وثائر ولابد من قتله لكي تعود الأمور إلى نصابها، لذلك قال" *لا تظنوا أني جئت لألقي سلاماً على الأرض، ما جئت لألقي سلاماً بل سيفاً، فإني جئت لأفرق الإنسان ضد أبيه والابنة ضد أمها الكنّة ضد حماتها، وأعداء الإنسان أهل بيته، من أحب أباً أو أماً أكثر مني فلا يستحقني ومن أحب ابناً أو ابنة أكثر مني فلا يستحقني، من وجد حياته يضيعها ومن أضاع حياته من أجلي يجدها* "[1] وهذا السيف هو الانشقاق عن المجتمع والأب والابن والأم والابنة والحماة والكنّة، والثمن هو الصليب. ولنلاحظ أن أحداً لا يستطيع أن يحمل صليب المسيح ولا صليب غيره من البشر، فكل واحد يحمل صليبه الخاص به، أو أكاد أقول يحمل الصليب الذي يصنعه بنفسه، فالإنسان برؤيته التي يعطيها الله له والمختلفة عن المحيطين يصنع صليبه بنفسه، لأنها رؤيته الخاصة، والصليب هنا ليس ألماً لا يمكن التنبؤ به، لكنه نهاية الطريق الذى اختاره الإنسان طوعاً بعد أن عرف كل أبعاده ومقدار الثمن الذي يدفعه .

فالصليب يتحقّق عندما يصطدم الرائي صاحب فكر التغيير، مع

---

[1] إنجيل متى ١٠ : ٣٤-٣٩

المجتمع الذي يرفض هذا التغيير وذلك لأنه يكون أما الرائي في هذه الحالة ثلاثة بدائل، الأول هو العنف المضاد، وقد رفض يسوع هذا الطريق، والثاني هو الانسحاب والتصوّف، وقد رفضه يسوع أيضاً. أما الثالث فكان الصليب، وقد قَبِله يسوع بكل اتضاع، وهو ما يجب أن يكون عليه كل من يريد اتباع يسوع، فالصليب هو أعظم سلاح للانتصار، فهو ليس انسحاباً من الساحة لكنه عمل إيجابي ضد جميع القوى المحيطة. والمشجِّع هنا أن الصليب لابد وأن تتبعه القيامة .

إن أكثر ما يشجّعنا في هذا الأمر أن ندرك بأن التجسّد لا يعني أن الله قد أخذ كل الطبيعة البشرية وصادق عليها، لكن الصحيح هو العكس، فإن الله قد اقتحم حدود مقاييسنا لكل ما هو بشري، وأعطاها تعريفاً جديداً في يسوع، أي حطّم المحدودية الإنسانية المتعارف عليها، وأطلق الإنسان إلى ما لا نهاية لتحقيق رؤى الله بقدرات إلهية .

إذن نخلص من كل هذا أن نوعية المجتمع الجديد الذي أسّسه يسوع هو مجتمع الصليب الذي له رؤية تغيير للمجتمع المحيط في كل جوانبه، ليس فقط الروحية والإنسانية بل السياسية والاقتصادية والاجتماعية أيضاً .

الباب الثالث

مبادىء وأخلاقيات مجتمع الكنيسة

أو ضوابط العلاقات داخل المجتمع الكنسي

بعد أن عرفنا نوعية مجتمع الكنيسة وكيف أنه مجتمع له رؤية خاصة لتغيير العالم من خلال الصليب، نأتي الآن لنتحدث عن ضوابط العلاقات داخل هذا المجتمع، فلكل مجتمع من المجتمعات يوجد ما يُسمى بمصادر ومباديء الالتزام ومصدر الالتزام في القانون هو الإجابة على السؤال ما الذي يجعل القانون مُلزِماً للجميع دون تفرقة بين شخص وآخر داخل المجتمع الواحد؟ أما مباديء الالتزام فهي القوانين التي تنظم حياة هذه الجماعة، والتي يكون لها مصدر واحد للالتزام، فمثلاً الذي يلتزم بمباديء القانون الأمريكي هم أولئك الحاصلون على الجنسية الأمريكية، فالجنسية الأمريكية هي مصدر الالتزام بالقانون الأمريكى، أما مباديء الالتزام فهى مواد هذا القانون نفسها، والجنسية المصرية هي مصدر الالتزام بالقانون المصري، ومواد القانون هي مباديء الالتزام، وهكذا. لكن السؤال الأهم هو من الذي له حق الحصول على الجنسية ؟ وكيف يحصُل عليها ؟ هل يمكن لأي فرد في الوجود أن يحصل على أية جنسية يريد ؟ الحقيقة إن الذين حصلوا على الجنسية بالطبيعة هم الذين ينظّمون حصول الآخرين عليها، كيف ؟ مثلاً إن الرواد الأوائل الذين اكتشفوا القارة الأمريكية هم الذين تعبوا وتألموا وانصهروا معاً في تعمير وتقدّم هذه القارة، هؤلاء لم يعطهم أحد الجنسية، ولكنهم أخذوا الجنسية كنتيجة

طبيعية، ولقد أخذوها منحة لأنهم صدّقوا الرؤيا وتركوا بلادهم، أي غامروا بحياتهم لاكتشاف الأرض الجديدة، فكان لهم الفوز، وكانت لهم الجنسية والمواطنة. وهؤلاء البشر هم الذين وضعوا بعد ذلك مباديء الالتزام أي القوانين التي تلزم أي شخص يطلب أن يحصل على هذه الجنسية، والقوانين التي تنظّم الحياة في الوطن. وكذلك في مصر فإن الأصل الفرعوني الذي يجمع كل المصريين يعتبر هو مصدر الالتزام لكل مصري، فالفراعنة هم الذين صنعوا الحضارة القديمة، وأقاموا على ضفاف النيل أول حضارة إنسانية هم أيضاً الذين لهم الحق في تحديد مباديء الالتزام، وهم الذين يهبون الجنسية لمن يريد، إذن فمصدر الالتزام هو الجنسية، ومصدر الجنسية هم من أعطوها وجودها وكيانها وهويتها. إنهم الجماعة المؤسسة للدولة.

ترى ما هو مصدر الالتزام ومبادئه عند المجتمع المسئول أو الكنيسة . ثم كيف يحيا أفراد المجتمع معاً.

(أ) مصدر الالتزام ومبادئه

عندما نعود إلى المجتمع المسئول (الكنيسة) نجد أن مؤسّس هذه الجماعة هو الرب يسوع، وإن مصدر الالتزام كانت آلامه على الصليب والتي من خلالها وُلدت الأمة كما ذكرنا في الباب الأول، وإذا كان الفراعنة والرّواد الأوائل في أمريكا جماعة مؤسّسة إلا أن مؤسّس هذه الجماعة كان فرداً واحداً، وذلك من خلال عمله على الصليب. ومصدر الالتزام هنا هو قبول العمل المؤسّس على الصليب، وكل من

يريد أن يحصل على الجنسية عليه أن يقبل عمل المسيح، ثم يبدأ في تنفيذ القوانين الملزمة والتي تُسمى بمباديء الالتزام، وفى إنجيل متّى ١٦ : ٢١ – ٢٣ نستطيع أن نرى مصدر الالتزام بمنتهى الوضوح. يقول " *من ذلك الوقت ابتدأ يسوع يظهر لتلاميذه أنه ينبغي أن يذهب إلى أورشليم ويتألم كثيراً من الشيوخ ورؤساء الكهنة والكتبة ويقتل وفي اليوم الثالث يقوم فأخذه بطرس اليه وابتدأ ينتهره قائلاً حاشاك يارب لايكون لك هذا فالتفت وقال لبطرس اذهب عني يا شيطان أنت معثرة لي لأنك لا تهتم بما لله لكن بما للناس* " وفى لوقا ٩ : ٥١ – ٥٦ " *وحين تمّت الأيام لارتفاعه ثبّت وجهه لينطلق إلى أورشليم وأرسل أمام وجهه رسلاً فذهبوا ودخلوا قرية للسامريين حتى يعدّوا له. فلم يقبلوه لأن وجهه كان متجهاً نحو أورشليم فلما رأى ذلك تلميذاه يعقوب ويوحنا قالا يارب أتريد أن تقول أن تنزل ناراً من السماء فتفنيهم كما فعل ايليا أيضاً فالتفت وانتهرهما وقال لستما تعلمان من أي روح أنتما لأن ابن الإنسان لم يأت ليهلك أنفس الناس بل ليخلص فمضوا إلى قرية أخرى* " فمصدر الالتزام هو قبول عمل المسيح لأجلنا لأنه لايستطيع أحد أن يشاركه فيه، أما مباديء الالتزام فهي توجد بعد ذلك مباشرة في الأعداد من ٢٤ – ٢٦ من إنجيل متّى الأصحاح ١٦ عندما يقول " *من أراد أحد أن يأتي ورائي فلينكر نفسه ويحمل صليبه ويتبعني فإن من أراد أن يخلص نفسه يهلكها ومن يهلك نفسه من أجلي يجدها لأنه ماذا ينتفع الإنسان لو ربح العالم كله وخسر نفسه أو ماذا يعطي الإنسان فداء عن نفسه* " ونفس هذه المباديء نجدها في (لوقا ٩ : ٥٧ – ٦٢) في الثلاثة أشخاص الذين قابلوا يسوع،

منهم من طلب الجنسية، ومنهم من طلب يسوع منه أن يأخذ الجنسية. وإن كان متّى قد ذكر مبادىء الالتزام في شكل وصايا تحدث بها يسوع بالقول إن أراد أحد أن يأتي ورائي ... الخ فإن لوقا يذكر نفس الوصايا، ولكن بصورة أكثر حيوية في شكل ثلاثة أشخاص أتوا إلى يسوع وتحدثوا معه في هذا الشأن، ولذلك سوف نرى معاً مبادىء الالتزام الأربعة بالحياة في الكنيسة (المجتمع المسئول) والمذكورة في (لوقا ٩ : ٥٧ - ٦٢). وقد قلنا هنا أنهم أربعة لأن هذه المبادىء هي الموجودة في هذا الحديث وليس كل المبادئ، لأن المبادىء هي كل القوانين التي تحكم هذا المجتمع .

*المبدأ الأول :*مبدأ الالتزام بدفع الثمن

إن الذي يحصل على جنسية دولة ما، عليه كما يتمتع بحقوق الأمن والحرية والمساواة أن يقوم بواجباته مثل أداء الخدمة العسكرية، ودفع الضرائب، والالتزام بالقانون -أو ما أسماه جان جاك روسو "العقد الاجتماعي"- فالإنسان يتنازل عن بعض من حريته وأمواله مقابل أن يتمتع بالأمان والحرية من الدولة .

ولقد جاء كاتب[١] إلى يسوع مقدّماً له طلباً أن يكون عضواً في المجتمع المسئول، وسوف يلتزم بهذه العضوية مدى الحياة إذ قال *"يا سيد أتبعك أينما تمضي"*[٢] وهذه الجملة ترديد لكلمات راعوث لنعمي والتي كانت بمثابة ملحمة شعبية قديمة تقال في ذلك الوقت كرمز للالتزام بأي

---

[١] كاتب : الذي يعمل في مهنة نسخ الكتاب المقدس

[٢] إنجيل لوقا ٩ : ٥٧

عهد، فتقول راعوث لحماتها "*حيثما ذهبت أذهب. وحيثما بت أبيت. شعبك شعبي وإلهك إلهي* "[1] ولقد كانت راعوث تدرك الثمن وقد قامت بدفعه، أما الكاتب فقد أوضح له يسوع أن الثمن الذي يجب أن يدفعه إذا أراد أن يكون عضواً في المجتمع المسئول ويتبع يسوع للأبد هو "*للثعالب أوجرة ولطيور السماء أوكار. وأما ابن الإنسان فليس له أين يسند رأسه* "ع٥٨ . ويسوع لم يكن يقصد هنا بالتعبير (ليس له أين يسند رأسه) الفقر أو الاحتياج، فيسوع كان له بالطبع أين يسند رأسه، ثم أن مشكلة الفقر هذه لم يكن يسوع يهتم بها كثيراً، لكن المقصود هنا هو القلق الذي كان يسوع يعيشه لأجل تكميل الرسالة، أي أن يسوع لم يكن يستريح على حال، ذلك لأن أمامه رؤيا يجب تكميلها، وهو مهتم أن يقوم بها بكل الوسائل، لذلك فهو لايأكل كالبشر العاديين "*طعامي أن أفعل مشيئة الذي أرسلني وأتمم عمله* " ولاينام كالباقين "*ليس لابن الإنسان أين يسند رأسه* " وفي صلاة يسوع الشفاعية

يقول " *العمل الذي أعطيتني لأعمل قد أكملته* "[2] وعلى الصليب قال " *قد أكمل . ثم نكّس رأسه وأسلم الروح* " وكلمة (نكّس) هنا هي نفس كلمة (أسند) المستخدمة في رد يسوع على الكاتب، أي أن يسوع لم يجد أين يسند رأسه إلا على الصليب بعد أن أكمل العمل .

والثمن المطلوب لكل إنسان يطلب الانتماء للمجتمع المسئول هو أن تكون له رؤيا من نحو عمل الله، وأن لايهدأ حتى يكملها أي يحرم من

---

[1] سفر راعوث ١ : ١٦ ، ١٧

[2] إنجيل لوقا ١٧ : ٣

النوم الهادئ والحياة الطبيعية حتى يحقّق ما وضعه الله أمامه .

المبدأ الثاني :مبدأ الالتزام بالمعنى

فى هذه المرة طلب يسوع من شخص ربما رأى فيه أنه يعد بمستقبل جيد لو أنه انضم لعضوية المجتمع المسئول فقال له" *اتبعني* " فكان ردّه ائذن لي أن أمضي أولاً وأدفن أبي. وطبعاً لم يكن الأب قد مات بعد، لكن هذا الشاب طلب شيئاً أخلاقياً لايمكن لمعلم أن يرفضه، لقد طلب أن يبقى مع والده العجوز المريض حتى يموت ويدفنه ثم بعد ذلك يتبع المسيح، ولاشك أن يسوع لا يمكن أن يرفض مثل هذا الولاء، ولكنه قال له " دع *الموتى يدفنون موتاهم* " ع٦ والمعنى العميق هنا هو البحث عن معنى للحياة، فالإنسان يدفن من يموتون، وينتظر حتى يموت فيدفنه آخرون، وهكذا تمضي الحياة بأشخاص يدّفنون آخرين وُيدفنون من آخرين دون معنى، ويسوع هنا يطلب من هذا الشاب أن يخرج من هذه الدائرة المفرغة بأن يبحث لنفسه عن معنى لحياته والذي لن يجده إلا في المجتمع المسئول " اذهب وناد بملكوت الله ". عندما ينهار إنسان ما بسبب كارثة في حياته يبدأ أطباء النفس في علاجه بمحاولة تذكيره بأي شيء في حياته له معنى، شخص يحبه مثل ابنه أو ابنته أو زوجته، أو عمل قام به له معنى خاص، وإذا استطاع الطبيب أن يصل إلى وجود معنى في حياة هذا الإنسان يمكن إنقاذه من الجنون، أما إذا خلت حياة إنسان من معنى، لا يستطيع أحد التنبؤ بما يمكن أن يصل إليه في حياته أو ما يؤثر به من سلبية في الآخرين . والإنسان الذي يعيش المعنى لابد وأن يحيا حياة

المسئولية بأمانة كاملة.

المبدأ الثالث : **مبدأ الالتزام بوضوح الهدف**

جاء واحد آخر إلى يسوع طالباً أن يتبعه، لكنه أرفق بالطلب أن يأذن له أولاً أن يذهب ويودّع أسرته، وأيضاً هذا الطلب طلب أخلاقي ولا يستطيع معلّم ما أن يرفضه، لكن يسوع لاحظ أن مشكلة هذا الشخص ليس توديع الأهل، ولكن عدم وضوح القرار، فهو يريد أن يأخذ وقتاً أطول لكي يقرّر إن كان يلتزم بالتبعية أم لا قال له يسوع ليس أحد يضع يده على المحراث وينظر إلى الوراء، أي طالما اتخذت قراراً لا تتردّد، لأن التردّد معناه أن الهدف ليس واضحاً تماماً أمامك، لذلك إذا كنت قد وضعت يدك على المحراث انظر إلى الأمام، لا تدع الهدف يضيع من أمام عينيك بالتردّد والخوف " *من أراد أن يتبعني فلينكر نفسه ويحمل صليبه* " .

المبدأ الرابع : **مبدأ الالتزام بالإتقان**

إن مثل الحرّاث لا يعّبر فقط عن التردّد لكنه يعطي معنى آخر هو أهمية إتقان العمل لكل من ينضم إلى هذا المجتمع، فالذي يضع يده على المحراث وينظر إلى الوراء سوف تخرج منه الخطوط معوجّة، وهذا يعني الإهمال وعدم إتقان العمل المكلّف به. قال أحدهم " إن شكل الآثار التي تتركها خلفك تتناسب مع استقامة رأسك " فالذي يريد أن ينضم للمجتمع المسئول مطلوب منه أن يتقن العمل الذي يكُلّف به. والإتقان يأتي من فهم التعليم والتطبيق والقدرة على الإنجاز.ولعلنا نلاحظ هنا أن

لوقا قد ترك النهاية مفتوحة لهؤلاء الرجال الثلاثة، فهو لم يقل لنا من تبع ومن ترك، بل إن يسوع نفسه لم يرفض واحداً منهم ولم يقبل آخر، لكن كل ما فعله أنه ناقش حالاتهم معهم، ونبهّهم إلى الأخطاء التي يمكن أن يقعوا فيها ووضّح لهم مباديء الالتزام بعضوية المجتمع المسئول .

(٢) كيف نحيا معاً ؟ أو علاقات المجتمع داخلياً

بعد أن رأينا مصدر الالتزام بعضوية هذا المجتمع المسئول (الكنيسة) ومبادئه، دعونا ننظر معاً إلى المباديء والأخلاقيات التي تحكم العلاقات داخل المجتمع نفسه، وسوف نبدأ الحديث بالعلاقات العامة التي يجب أن تقوم وتراعى بين أعضاء المجتمع المسئول ككل دون تمييز سواء للوظيفة أو الجنس أو اللون أو السن، ثم بعد ذلك سوف نتحدث عن العلاقات الخاصّة، والتي يجب أن تسود داخل المجتمع بين الزوج والزوجة والوالدين والأولاد والرؤساء والمرؤسين ... الخ .

أولاً : مباديء العلاقات العامة داخل المجتمع

١ – مبدأ أن نحيا كجماعة تجمع بين التعّود والاحترام

من أهم المباديء التي يجب أن تسود بين أفراد الأسرة الواحدة أو المجتمع الواحد هو مبدأ التعوُّد والاحترام، ولنأخذ نموذجاً لذلك أسرة الرب يسوع، فعندما قال له واحد " *هوذا أمك وإخوتك واقفون خارجاً طالبين أن يكلموك " أجاب وقال ها أمي وإخوتي لأن من يفعل مشيئة أبي*

الذي في السموات هي أخي وأختي وأمي" [1] .

ولنلاحظ هنا أن أسرة يسوع لم تكن قد آمنت به بعد، ولذلك حدَّد الأسرة بمن يفعل مشيئته، لكن لو كانت الأسرة الطبيعية للمسيح تؤمن به هنا ستكون الدائرة واحدة للأسرة والكنيسة، وتكون الأسرة الطبيعية دائرة أضيق داخل دائرة أوسع، وفي بعض الأسر والمجتمعات بمقدار ما يتعوّد الواحد على الآخر بمقدار ما يفقد احترامه له، بل أحياناً يكون عدم الاحترام للآخر هو دليل على التقارب وخاصة في مجتمعاتنا الشرقية. وإذ أخذنا نموذج أسرة يسوع نرى أن يسوع شبّ كإنسان عادي في أسرة فقيرة، وفجأة ترك البيت ونادى بالتوبة وملكوت السموات وتجمّع الناس من حوله، إلا أن عائلته لم تهضم ذلك وأرادت أن تعيده إلى البيت، وذلك لأن التعوّد أنشأ فيهم أفكاراً مسبّقة عن يسوع، وهذه الأفكار عادة تحكمليا، فالتغيير في عضو الأسرة يحدث يومياً وبشكل طفيف وغير ملحوظ، ومن هنا قالوا عنه أنه مختل [2] ذلك لأنهم لم يتخيّلوا أن الطفل الذي عاش بينهم ونما قد صار داعية أو قائداً أو نبياً .

إن التعوّد يقتل في الإنسان القدرة على توقّع الجديد والإنبهار به، ولذلك عندما جاء يسوع إلى وطنه الناصرة وبدأ يعلّم دهشوا من تعليمه، لكن

---

[1] إنجيل متى ١٢ : ٤٧، ٤٨

[2] إنجيل مرقس ٣ : ٢١

تعليقهم كان "*من أين له هذه الحكمة*"[1] والسؤال استنكاري وليس استفهامي، بمعنى أنهم يستكثرون عليه أن يعلّم.

والتعوّد أيضاً يقتل فينا القدرة على التقييم الصحيح أو النظرة الموضوعية، فقد قال أهل الناصرة عن يسوع" *أليس هذا ابن النجار، أليست أمه تدعى مريم وإخوته يعقوب ويوسي وسمعان ويهوذا، أو ليست إخواته جميعهن عندنا ...*".

وهنا نسمع نغمة شخصية لاموضوعية، نغمة غضب وحقد، فقرب هؤلاء البشر من يسوع جعلهم لا يرون جماله أو إبداعه وروعته، ولم يستطيعوا أن يقيّموه بطريقة صحيحة، ثم وضح من الحديث أن أسباب رفضهم ليسوع إن دلّت على شيء فإنما تدل على تفكير أخرق، فماذا في أن يكون أبوه نجاراً أو ماذا في أن أمه تدعى مريم ... هل هذا تبرير كاف في أن يسوع يجب أن يكون إنساناً عادياً غير مبدع أو خلاّق؟ إن معظم العباقرة والخلاّقين جاءوا من عائلات عادية. والعباقرة لم ينجبوا عباقرة مثلهم إلا نادراً، وهذا الأسلوب في التفكير يوقف المنطق الطبيعي والتفكير العقلاني، ويتناول الأمور بشكل شخصي، فبدلاً من أن يناقشوا ما يقوله ناقشوا شخصه ...

ومن المشاكل القاتلة في الزواج، أن الزوجة تعيش مع الزوج

---

[1] إنجيل متى ١٣ : ٥٤

بداياته فترى ضعفاته بوضوح وهو يعاني لكي يصل، وعندما ينجح في حياته العملية وينضج تظل الصورة القديمة للزوج في ذهن زوجته لأنها تعوّدت عليها، وهنا يحدث الانفصال ويدين الآخرون الزوج الذي انفصل عن امرأة شبابه، لكن الحقيقة لها وجه آخر، فالزوجة التي عاشت مع زوجها معاناته ونجاحاته لسنين طويلة لاترى فيه شيئاً جديداً فلقد تعوّدت عليه، أما النســـاء الأخريات فيرون فيه الجديد

وهنا يرتبط بواحدة من أولئك المنبهرات بنجاحه، حيث إنه مهما نجح لايرى نظرات الانبهار في عينيّ زوجته والتي تعوّدت عليه . إن رئيس وزراء اليونان الراحل باباندريو تزوج وهو في الثالثة والسبعين من سكرتيرته التي تصغره بثلاثين عاماً، وترك زوجته التي عاشت معه أكثر من ثلاثين عاماً بسبب التعود الذي قتل كل جديد في الحياة الزوجية وتحوّلت الحياة إلى ملل، وعندما جاءت سكرتيرته وأظهرت إعجابها وانبهارها به وتعاطفها معه أحبها وتزوجها .

ونستطيع أن نلاحظ أيضاً أن الخدّام الذين يخدمون معاً يستكثرون أي نجاح لواحد منهم ولا يستوعبونه ولا ينبهرون به وأحد الأسباب لذلك هو التعوُّد . إن التعوّد يجعلنا نستكثر النجاح على الزوج أو الزوجة أو الأولاد أو الإخوة أو الأصدقاء وشركاء الخدمة مما يدفعنا هذا للغضب والسخرية من الناجحين في الوقت الذي يتوقّعون هم فيه منا الانبهار والإعجاب والحب ... لذلك وضع يسوع المبدأ الأول في

العلاقات الداخلية وهو مبدأ التعوُّد والاحترام. فنحن نتعوَّد على بعضنا البعض ونعرف ضعفات بعضنا البعض بسبب الشركة التي يجب أن تربط بيننا، لكن هذه الشركة لا يجب أن تفقدنا الاحترام لبعضنا البعض .

٢ - مبدأ أن تحيا كجماعة تغذّي إبداع الفرد ولا تقتله

يوجد نموذج لمجتمع يقتل الإبداع في أفراده بطبيعة تكوينه والمباديء المسيطرة عليه، والمجتمع الشيوعي نموذج واضح لهذه النوعية من المجتمعات فقد تحوّل الفرد فيه إلى ترس في ماكينة ضخمة، فهو جزء من كل ولايستطيع أن يخرج عن النظام ويبدع،ولا يوجد في هذا المجتمع الحافز الفردي للإبداع، ونفس الأمر يوجد في الجماعات الصغيرة التي تأتمر بأمر أميرها والذي يقسمون له بالطاعة، وفي هذا القَسَم تنتفي كل إرادة شخصية ويصبح العضو مجرد منفذ للأوامر لا صانع لها أو مشارك فيها، فالمجتمع الذي يرفض التغيير يقتل كل إبداع أو محاولة إبداع لافراده ... بينما المجتمع الذي يخلق جواً عاماً من الحرية، ويؤكد على كيان الفرد يشجع على التجديد، ويعطى لأفراده حرية الإبداع ... وكلما ضعفت الكنيسة كلما تمسّكت بتقييد حرية الأفراد داخلها على التجديد والإبداع والعكس صحيح، فعندما تقوى شوكة الكنيسة وتمتد تترك لأفرادها حرية التجديد والإبداع، وتأخذ بالنافع منه، وتترك غير النافع لكي يسقط تلقائياً .

متى تستطيع الكنيسة في مصر بكل طوائفها أن تخلق جواً يبدع فيه الأفراد دون خوف ؟ جواً فيه يُناقش كل فكر، ويُعطى القدرة على

المغامرة في الخدمة والانتقال إلى مجالات جديدة ومتّسعة، كيف نجعل نظام وبيئة الكنيسة وتفاعلاتها وديناميكيتها تغذّي الإبداع في الأفراد ولا تقتله .

٣ – مبدأ أن تحيا كجماعة تحرّر أفرادها من ضغط المجتمع وليس العكس

لقد أرسلت أسرة يسوع واحداً من المجتمع إليه وهو يتحدث إلى الناس ويعظهم وقال له: هوذا أمك وإخوتك واقفون خارجاً يريدون أن يكلّموك. ماذا يعني هذا التصرّف ؟ ألا يعني إحراجاً له أمام الذين يخدمهم ؟ ماذا يقولون عنه بعد أن سمعوا هذا الرجل ؟ أيقولون أنه متمرّد على أسرته ويرفض الحديث معهم، لذلك أرسلوا له هذا الرجل لكي يحرجوه ؟ أيقولون أنه هارب من مسئوليته تجاه أسرته ؟ وهل هذا الأسلوب سوف يقنع يسوع ليترك خدمته ويعود إلى الناصرة ؟ لقد كان يمكن ليسوع أن يقف أمام ضغط أسرته بحدّة وعصبية ويرفض الحديث للرجل، أو يقول له ليس لي أسرة، أو أن ينحني أمام ضغط أسرته ويوقف الحديث ويرحب بهم ثم يتحدث إليهم بعد ذلك على انفراد، لكن يسوع لم يساوم ولم يهادن، وبكل وضوح أعلن أن أسرته هم الذين يفعلون مشيئة أبيه، وهو هنا لم يخسر أسرته في نفس الوقت الذي فيه لم يخسر خدمته ورؤيته. إن مشكلة الكنيسة في مصر هي في كيفية التعامل مع فرد اختلف مع الجماعة، فالكنيسة عندما تختلف مع فرد فما أسهل المحاكمة والحكم والدينونة، وما أسهل استعداء المجتمع الخارجي عليه، وما أسهل

كلمات التكفير والزندقة والخروج عن الأصول وما أسهل وما أسهل ... وفي مثل الابن في لوقا ١٥ والذي يحكي عن الابن الذي أخذ ميراثه من أبيه ومضى وأنفق كل ما يملك على الزواني ... هذا الخروج عن الأسرة لم تُقابل من الأب بالعنترية وإغلاق الباب واعتبار الابن ميتا كما يحلو للبعض ترديد هذه الجملة عند الاختلاف، لقد انتظر الأب -ممثّلاً للأسرة- تاركاً الباب مفتوحاً والقلب مرحباً حتى عندما يأتي الوقت الذي فيه يندم الابن يجد الكوبرى منصوباً بينه وبين الأسرة، فيعبر عليه راجعاً وهذا ما حدث بالفعل، لكننا اليوم نحطّم كل الكباري مع من يختلف معنا، وعندما يندم ويريد العودة لا يجد معبراً واحداً منصوباً له ليعبر عليه إلينا. وعندما عاد الابن نسمع من الأخ الأكبر كلمات تبدو منطقية لكنها تستعدي الآخرين على العائد المختلف إذ يقول " *ها أنا أخدمك سنين هذا عددها وقط لم أتجاوز وصيتك وجدياً لم تعطني لأفرح مع أصدقائي ولكن لما جاء ابنك الذي أكل معيشتك مع الزواني ذبحت له العجل المسمن* "[1] وأوضح موقف الأب ذلك الموقف الثابت الذي يجب أن تقفه الجماعة مع أفرادها حتى لو ضلّوا، فالأسرة هي المكان الذي يجب أن نستريح فيه من الضغوط الخارجية حتى لو كنا متعبين أو مخطئين أو مختلفين، ولقد كان هذا مفهوم الأب عن الأسرة ولذلك يقول لابنه الأكبر الذي يظن أنه بعنتريته ورفضه لأخيه يعمل لصالح الأسرة يقول " *يا بني أنت معي في كل حين وكل مالي فهو لك ولكن كان ينبغي أن نفرح ونسر لأن أخاك*

---

[1] إنجيل لوقا ١٥ : ٣٠،٢٩

هذا كان ميتاً فعاش وكان ضالاً فوجد "[1] وكأنه يقول له تعال معي لنرفع من على كاهل أخيك العائد ضغوط أخطائه، ولنحميه من كلمات وضغوط المجتمع المحيط ويكفيه ما يحس به، ولنكن دائماً الأسرة التي تحرّر أفرادها من ضغط المجتمع فلا يتردّد أي ضال أو مختلف لحظة واحدة في العودة والبقاء .

وهكذا نجد أنه في العلاقات العامة داخل المجتمع سواء بين الكبير والصغير، الرجل والمرأة، المتعلم والجاهل، الفقير والغني يجب أن تسود هذه المباديء الثلاثة: التعودّ والاحترام، مع العمل على تغذية إبداع أفرادها مصحوباً بتحرير الأفراد من ضغط المجتمع. وهكذا نستطيع أن نضع فاصلاً موضوعياً واضحاً بين العلاقات الشخصية والرؤية الجماعية، فلا نسمح للعلاقات الشخصية بتعويق الرؤيا الجماعية، ولا نحقق الرؤيا الجماعية على حساب العلاقات الشخصية.

ثانياً : مباديء العلاقات الخاصة داخل الكنيسة كمجتمع مسئول

فى أحد المؤتمرات المعنية بتدريب القيادات في قبرص وقف أستاذ لاهوت عربي الجنسية يقود درس الكتاب، وبعد أن قرأ الكلمات الواردة في رسالة كولوسي والأصحاح الثالث بدءاً من العدد الثامن عشر وحتى الأصحاح الرابع والعدد الأول والتي تقول "*أيها النساء اخضعن لرجالكن كما يليق في الرب ... أيها الرجال أحبوا نساءكم أيها الأولاد أطيعوا والديكم في كل شيء لأن هذا مرضي في الرب ... أيها الآباء لا*

---

[1] إنجيل لوقا ١٥ : ٣١ ، ٣٢

تغيظوا أولادكم لئلا يفشلوا ... أيها العبيد أطيعوا في كل شيء سادتكم ... خائفين الرب ... أيها السادة قدّموا للعبيد العدل والمساواة عالمين أن لكم أنتم أيضاً سيداً في السماوات "[1].

بعد أن قرأ هذه الكلمات طرح الكتاب جانباً قائلاً: ماذا يعنى أيها الأولاد أطيعوا والديكم في كل شيء ... ثم سأل مستنكراً هل يصلح مثل هذا الكلام للتطبيق في نهاية القرن العشرين خاصة تعبير " في كل شيء"، وهنا حدثت مناقشة ساخنة مع الحاضرين وانتهت المناقشة إلى لا شيء، فالأستاذ لم يقتنع بوجهة نظر القادة، ولا القادة الحاضرون اقتنعوا بوجهه نظر المحاضر . والحقيقة أن هذا المحاضر وصل إلى إستنتاجه من خلال الدراسات الحديثة التي تقول أن هذه الوصايا أخذتها المسيحية من المجتمع المحيط وخاصة من الرواقيين، وذلك لأن نظم هذه العبارات الأدبي تمثل شكلاً مستقلاً، وأن الكنيسة استخدمتها لأنه لم يكن لديها شيء خاص بها في هذا المجال ... لكن الحقيقة التي غابت عن هؤلاء أن هذه الكلمات جاءت تطبيقاً للمباديء العامة التي فاه بها الرب يسوع في الموعظة على الجبل، ولقد كانت كلمات الرب يسوع في هذه الموعظة مباديء عامة دون تحديد، وقد أرادت الكنيسة الأولى أن تترجم كلمات الرب يسوع إلى وصايا عملية توجَّه إلى أشخاص معينين بحكم مواقعهم .. زوج .. زوجة .. أب .. أبن .. عبد ... الخ وكما نفهم أن المسيح هو النور الحقيقي

---

[1] ولقد ظهرت هذه الوصايا أيضاً في شكل متشابه مع رسالة كولوسي في رسالة أفسس ٥ : ٢١ ، ٦ : ٩

الآتي إلى العالم كما عبّر عن هذا يوحنا في إنجيله، وهذا يعني أنه توجد أنوار أخرى لكنها غير حقيقية أو أصيلة، وأيضاً نحن نفهم أن المسيحية أخذت أشياء كثيرة من المجتمع المحيط طالما لا تتعارض مع لاهوتها بل وربما تعضده في بعض الأحيان، لذلك فالرسول هنا وإن كان يستعير بعض الكلمات من الأدبيات المحيطة التي تتمشّى مع الفكر الرئيسي للاهوت المسيحي فهذا يتطابق مع مفهومنا للوحي في المسيحية، حيث يستخدم الله ثقافة الكاتب وخلفيته .

إذن نستطيع القول أن هذه الكلمات تصلح لكل زمان ومكان بشرط استخراج المبدأ أو المفهوم العام منها، فنحن اليوم ليس لدينا أسياد وعبيد، وطاعة الوالدين والحكام وخضوع الزوجة نفهمه في سياق القرينة " *ينبغي أن يطاع الله أكثر من الناس* " وهكذا نستطيع أن ندرك المعنى كاملاً دون لبس أو إبهام .

هذا فضلاً عن الفارق الشاسع بين الفكر المسيحي في الهدف من وجود الوصية والفلسفة من ورائها، وبين الفكر الرواقي والذي ينبع من منطق أن الإنسان يعيش على طبيعته، وهذه الطبيعة لها دور اجتماعي لابد من إشباعه، وهنا نجد أن الهدف من العلاقة مع الآخر زوج – زوجة – ابن ... الخ في رأي الرواقيين هو الإشباع الشخصي، ولذلك نجد في قائمة الرواقيين واجبات الزوج والأب والحاكم والسيد في قائمة واحدة، ثم الزوجة والابن والمحكوم في قائمة أخرى، أما الرسول بولس فقد وضع

هذه الوصايا في صيغة مزدوجة، فالكلام للزوجة والزوج معاً للاب والأبن معاً .. للسيد والعبد معاً .. فالاهتمام بالآخر هنا سواء بمحبته والخضوع له أو طاعته يتعلّق أساساً بالآخر قبل أن يتعلّق بي وبإشباعي الذاتي .

ولقد تحدث بولس إلى الرجال كجماعة، والنساء كجماعة، والأولاد والوالدين في مقابل قائمة الرواقيين التي تحدث إليهم كأفراد، وهذا يعني وجود جماعة تعمل معاً وتعيش نفس الأخلاقيات دون تفرقة بين شخص وآخر أو أسرة وأخرى. والتحدث إلى مجتمع متكامل يختلف تماماً عن التحدث إلى مجرد أفراد .

ولقد استخدم بولس في صياغة هذه الوصايا أسلوب العهد القديم بالأمر القاطع مثل اكرم أباك وأمك .. اذكر يوم السبت لتقدسه ... الخ وأيضاً قام بولس بتغيير بعض المفردات، ففي الوقت الذي استخدم فيه الرواقيون كلمة (Peikesthai) في العلاقة بين الخادم والسيد والزوج والزوجة والتي تعني طاعة العبيد والإنحناء أمام سادتهم، استخدم بولس كلمة (Daulos) أو (Kysios) والتي تعني الإحترام الزائد أو إقناع النفس بالخضوع للآخر بتقبل وراحة . وقد استخدم الرواقيون كلمة (Philer) في التعبير عن الحب وهي المحبة الإنسانية بينما، استخدم بولس (agapan) والتي تعبر عن المحبة الإلهية. والرسول بولس لا يتوجّه بحديثه إلى الرئيس أولاً (السيد - الأب - الزوج) ولكن إلى المرءوس

(العبد – الزوجة – الابن) إلى الأنا الأضعف، وهذا يختلف تماماً عن التوجُّه الرواقي الذي يتحدث، بدايةً دائماً إلى الأقوى. والاهتمام بالأضعف هنا يعطيه المعنى من وجوده، ويضع على عاتقه المسئولية الإلهية والروحية تجاه من هو أقوى، فهو هنا يتحدث إليهم كأناس لهم القدرة على التوجيه وصنع القرار من خلال خضوعهم للشريك القوي .

ومن هذا الفكر نستطيع أن نتعلَّم بعض المباديء :

الأول : إنه إذا كان الرسل الأوائل أخذوا من الأدبيات المحيطة، واستخدم الله ثقافتهم وحضارتهم في ترجمة وصاياه بطريقة عملية، فهذا يشجِّع علماء اللاهوت والقادة المحدثين في مصرعلى استخدام حضارتهم وثقافتهم في فهم الإنجيل ومحاولة تعضيد الأخلاق العامة في المجتمع، وكل توجُّه يتفق مع الفكر المسيحي العام حتى لو جاء هذا التوجُّه وهذه الأخلاقيات من المختلفين مع المسيحية، بل وأن يحاول هؤلاء المفكرون أن يكتشفوا ملكوت الله في الآخر المختلف وأن يُتحدث بلغته، وأن يُقدم له الرسالة المسيحية من خلال عاداته وتقاليده وحضارته فيستطيع الآخر على الأقل أن يتفهَّمها .

الثاني : إن التأكيد والتنبية على واجبات أعضاء المجتمع المسئول (أب – ابن – زوجة – زوج – حاكم – محكوم) ساعدنا كثيراً في فهم هويتنا، فنحن نستطيع أن ندرك هويتنا من خلال معرفة دورنا، فعندما ينسجم الفكر النظري الديني مع الإرادة الذاتية نستطيع أن نحقِّق ما نريد،

وهنا تسير الحياة بنا بأقل قدر من الألـم والمعانـاة أو الخـوف . فالعلاقـات واضحة ومُحدَّدة، والأدوار مُعلنة ومعروفة، والمسافات ثابتـة بيـن الـزوج والزوجة، الأب والابن، الحاكم والمحكوم ... الخ، فالواجب الذي أقوم بـه يعطيني القدرة على الإحساس بالآخر واحتياجه لأن أقوم بهذا الواجب من نحـوه، فمحبـة الـزوج يعطيـه الإحسـاس الكـامل بمعنـى خضـوع الزوجـة والعكس صحيح، وطاعة الابن تعطي الإحساس للأب الذي لا يغيظ أولاده وهكذا .

الثالث : أن الكنيسة بدأت تعليمها من قلب الأسرة والمنزل ثم خرجت إلى المجتمع، فعندما تكـون العلاقـة بيـن الأب والابـن صحيحـة والعلاقـة بيـن الزوج والزوجة ناضجـة هنـا تنتقـل هـذه الأخلاقيـات إلـى الخـارج حيـث العامل ورب العمل، ثم إلى الدائرة الأوسع الحـاكم والمحكـوم ... وإذا لـم تبدأ العلاقات بطريقة صحيحـة وصحيـة داخـل الأسـرة الواحـدة لا يمكـن للمجتمع أن يعيش علاقات صحية وصحيحة .
وقبل أن نترك هذا الجزء أجد لزاماً علينا أن ندرس معاً :

مفهوم الخضوع في المسيحية

لقد كثر الحديث في الآونة الأخيرة عن مفهوم الخضوع، خاصـة وقد ظهرت حركات كثيرة تدعو إلى العودة إلى السلف، وتدعو المرأة إلى العـودة إلـى البيـت والخضــوع لزوجهـا، وتطــالب الأولاد والمحكوميـن بالخضوع المطلق في الوقت الذي ظهرت فيه حركات مضادة تدعـو إلـى

حرية المرأة وعصيانها الكامل على وضعها. ولذلك وجب علينا أن ندرس معاً مفهوم الخضوع وخاصة في كتابات بولس الرسول .

والسؤال الذي يجب أن يسأله كل دارس لهذا الموضوع في رسائل بولس هو : ما معنى أن يتوجّه بولس الرسول إلى المرأة والعبد لكي يخضعا ؟ أليس هم خاضعين بالطبيعة ؟ وهل كان أمامهم بديل آخر غير الخضوع ؟ ولكى نفهم توجُّه بولس علينا أن ندرك أن المشكلة هنا ليس في الشكل الخارجي للخضوع لكن في الدافع الداخلي، إن هؤلاء النساء والعبيد عندما اختبروا الرب يسوع في حياتهم تحرّروا داخلياً، فلم تعد العبودية بسبب جنسهم أو وضعهم الاجتماعي تسبب لهم قلقاً بعد، لقد صاروا أحراراً، لقد أُعطوا كرامة عظمى بقبول المسيح لهم وقبولهم للمسيح في حياتهم. وعندما بدأوا يتصرفون كأحرار خارجياً اصطدموا بتقاليد المجتمع وبحقيقة العبودية التي يعيشونها، فأصيبوا بالإحباط وهكذا صار تصرُّفهم نوعاً من التمرُّد أكثر منه نوع من ممارسة الحرية، ولقد كانت إحدى الوسائل التي عبَّرت بها المرأة عن حريتها في المسيح هي خلع غطاء الرأس وذلك حتى يشعرن بكرامتهن، ولقد كان غطاء الرأس علامة على أن هذه المرأة تعيش في حماية رجل وخاضعة له، ولأنها تحررت في المسيح ألقت بغطاء رأسها. وهنا جاء بولس يطلب من النساء أن يغطين شعورهن عندما يقفن فقط للصلاة أو التنبؤ، وكان هدف بولس من وراء هذا أمرين الأول أن الإنجيل حرَّر المرأة وأعطاها الحق في أن تقف وتعظ وتصلي، وهذا أهم بكثير من إعلانها أنها تحت حماية رجل

من عدمه. أما الأمر الثاني فهو أنها بغطاء شعرها تعلن قبولها للنظام الاجتماعي المحيط، فهي قد تحررت داخلياً ولكن في نفس الوقت تعيش الإطار الخارجي وذلك حتى لا تبدو متمرّدة، ولا شك أن هنالك شعرة بين الحرية والتمرُّد، ذلك لأنه ليس من النظام الاجتماعى في شيء، ولا يعني أن المرأة في حماية رجل كما كان قديماً، وخلعه لا يعني تمرداً من المرأة، بل من الطبيعي اليوم أن تبقى المرأة بلا غطاء رأس -خاصة في المدينة- أما في القرية فالوضع مختلف، وعندما نقرأ كلمات بولس عن غطاء الرأس مع قرينتها " *غير أن الرجل ليس من دون المرأة ولا المرأة من دون الرجل في الرب ولكن جميع الأشياء هي من الله احكموا في أنفسكم هل يليق بالمرأة أن تصلي إلى الله وهى غير مغطاة* "[1] فالخضوع هنا في إطار الحضارة أو العادات المحلية لبلد ما لا يعني المذلة بل يعني الكرامة، وعندما يستعبد الحر نفسه في إطار مجتمعه حتى لا يبدو شاذاً فهذه قمة النضوج الإنساني . وإذا كان بولس يدعو كل واحد للبقاء في حالته كما هو داخل الإطار الإجتماعي ولا يتعجّل التمرُّد إلا أنه يقول للعبد "*دعيت وأنت عبد فلا يهمك، وإن استطعت أن تصير حراً فاستعملها بالحري* "[2] أي أنه يقول للعبد الذي تعرَّف على المسيح أن عبوديته لا تؤثر على علاقته بالمسيح، فهو قد تحرّر داخلياً وعليه أن لا يستعجل التمرُّد، لكن في نفس الوقت إذا جاءته فرصة ليتحرر عليه أن يستخدمها وبقوة، وإن مات الزوج المنفصل عن زوجته فيمكنها الزواج

---

[1] الرسالة الأولى إلى كورنثوس ١١ : ١١ ، ١٢

[2] الرسالة الأولى إلى تكورنثوس ٧ : ٢١

ثانية وهكذا .

من كل ذلك نستطيع أن ندرك مفهوم الحرية في فكر بولس، فالحرية الحقيقية هي التي نقبلها ونمارسها داخل وضعنا الاجتماعي إلى أن يأتي الوقت والفرصة المناسبتين لكي نتحرر من الخارج كما بدأنا من الداخل، لأن الحدود الاجتماعية لا أهمية لها كثيراً، ولذلك جاءت الوصية تطالبهم بالخضوع، لكن الخضوع، هنا جاء بفهم جديد وببعد جديد، فهم أحرار داخلياً لكن عليهم الالتزام بواجباتهم من نحو الزوج والسيد، فالخضوع هنا لا يعني السقوط على الأرض والركوع أو الإذعان بسلبية، لكنه يعني الطاعة عن حب للمسئولية التي على عاتقهم، فالخضوع هو خضوع المسيح الذي كان سيداً وأخلى نفسه لأجل خلاص الآخرين، وعلى الزوجة المؤمنة أن تخضع للزوج غير المؤمن لأجل خلاصه، وعلى العبد المؤمن أن يخضع للسيد القاسي ليقدم له رسالة وصليباً، فمع كونهم أحراراً إلا أنهم استعبدوا أنفسهم بالقيام بواجبهم بأمانة وإخلاص وحب لأجل الآخر المختلف ... ولابد لنا أن ندرك أن الحرية التي تأخذها المرأة أو العبد لا يعني تغيير دوره في الحياة، أو يعني إزالة كل الاختلافات سواء في الوظائف أو الحقوق، والكثيرون يستشهدون بما جاء في رسالة غلاطية ٣ : ٢٨ "*ليس يهودي ولايوناني . ليس عبد وحر . ليس ذكر وأنثى لأنكم جميعاً واحد في المسيح يسوع* " ليثبتوا المساواة الكاملة بين الرجل والمرأة حتى في الوظيفة، ولكن المعنى هنا ليس إزالة الفوارق ولكن يعني الوحدة بين الجميع. ومركز العبارة والرسالة تعبير

"ليس يهودي ولايوناني"، ولذلك فوظيفة المرأة تبقى كما هي وكذلك وظيفة الرجل وترتبط الوظيفتان بالمسيح والكنيسة، فالرجال يحبون النساء كما أحب المسيح الكنيسة وأسلم نفسه لأجلها، والنساء يخضعن لأزواجهن كما للرب إذن الخضوع هنا ليس للمذلّة، لكنه عمل الكنيسة بكل حرية لأجل الآخر، وليس خضوعاً مطلقاً لكنه كما للرب. في أخلاقيات الرب ومحبته ورحمته وعنايته، فالخضوع هنا ليس خضوع إرادة واحدة بعينها لرجل واحد لكنه خضوع كل النساء لكل الرجال لتحقيق رؤيا متكاملة عن مفهوم البيت المسيحي، فخضوع المرأة يأتي في إطار رؤيا شاملة وليس مجرد خضوع فردي لا معنى له. وفى حالة عدم إيمان الزوج لايكون الخضوع لأجل الرؤيا المتكاملة للبيت المسيحي ولكن يكون لأجل ربحه للمسيح كما يقول بطرس الرسول " *حتى إن كان البعض لا يطيعون الكلمة يربحون بسيرة النساء بدون كلمة* " [1]

وهكذا نرى أن مفهوم الخضوع في المسيحية يختلف تماماً عن مفهوم الخضوع في أية فلسفة أخرى، بل إن المسيحية تعطي بعداً عميقاً آخر للخضوع عندما تطلب من الشريك الأقوى أن يخضع بدوره، فهى تطلب من الآباء ألا يغيظوا أولادهم، والأزواج أن يحبوا زوجاتهم، والأسياد أن يعاملوا عبيدهم كإخوة، ففي رسالة بولس إلى فيلمون يحدثه عن عبده أنسيمس بالقول " لا كعبد فيما بعد بل أفضل من عبد ... أخاً محبوباً " ع١٦ .

[1] رسالة بطرس الرسول الأولى ٣ : ١

والبعد الجديد هنا هو فكر الخضوع المتبادل، فتوجيه الأمر إلى زوج في القرن الأول الميلادي أن يحب زوجته كما أحب المسيح الكنيسة، وإلى سادة القرن الأول أن يتعاملوا مع عبيدهم كإخوة لأنهم جميعاً عبيد لسيد أعلى، وأيضاً توجيه الأمر لأباء ذلك الزمن بأن لا يغيظوا أولادهم فإن كل هذا إنما يشكّل منهجاً جديداً وغير تقليدي للتعامل داخل الأسرة وداخل المجتمع الواحد مازلنا نحتاجه اليوم وغداً، وإلى ما بعد الغد .

الباب الرابع

الكنيسة والعلاقات المتشابكة

أو العلاقات الخارجية للكنيسة

بعد أن تعرّضنا في الفصل السابق للعلاقات داخل الكنيسة المجتمع المسئول وضوابطها، نأتي الآن لنتحدث عن العلاقات الخارجية لهذا المجتمع. والعلاقات الخارجية لهذا المجتمع ثلاثة أبعاد :

الأول هو البعد التاريخي ونعني به العلاقة مع شعب الرب السابق له وهو إسرائيل كمجتمع مسئول سابق، وهل انتهى دور هذا المجتمع القديم أم مازال مستمراً ؟ **ثم البعد الثاني** وهو البعد الميتافيزيقي، وهو علاقة الكنيسة بإبليس، وأخيراً نتحدث عن **بعد ثالث** هو البعد الحضاري أو المكاني، أي علاقة الكنيسة بالحكومات التي يعيش في ظلها والتي تختلف في تكوينها عن هذا المجتمع في الوقت الذي يخضع هذا المجتمع الكنسي لها بشكل أو آخر .

أولاً : المجتمع الكنسي وعلاقته بإسرائيل (المجتمع السابق له)

ترى ما العلاقة بين المجتمع الكنسي الحالي والمجتمع السابق (إسرائيل) هل هناك دور لإسرائيل شعب الله القديم في تأسيس الكنيسة ؟ وهل له دور في مستقبل الكنيسة ؟ أم ماذا ؟

ولكي نصل إلى فكر المسيح بهذا الشأن علينا أن نعود للمَثلَ الذي أطلقه ليعبرّ به عن العلاقة بين المجتمعين: الكنيسة وإسرائيل وهو مثَلَ

الكرّامين الأردياء، ومن دراستنا المتأنّية للمَثلَ نكتشف ثلاث حقائق :

١- أن إسرائيل كشعب الله فشل في القيام بمسئوليته في القديم
٢- أن إسرائيل رفض الدعوة لأن يتحمّل المسئولية الجديدة، ويكون هو المجتمع الجديد المسئول
٣- الكنيسة (المجتمع المسئول) وعلاقته بالحكومات التي يعيش في ظلها (البعد المكاني)

أولاً: فشل إسرائيل القديم في القيام بمسئوليته

لاشك إن إسرائيل كشعب الله في القديم فشل في القيام بمسئوليته. يقول يوحنا " *إلى خاصته جاء وخاصته لم تقبله أما كل الذين قبلوه فأعطاهم سلطاناً أن يصيروا أولاد الله أي المؤمنون باسمه* "[1] وهذه الجملة العميقة الشاملة أتت من خلال تعليم يسوع، والمثل الذي أطلقه يسوع هنا ليعبّر عن هذه الحقيقة هو مَثل الكرّامين الأردياء، والصورة التي يذكرها يسوع هنا هي صورة عادية لصاحب كرم أعطى كرمه بالإيجار لبعض الكرّامين وسافر، وهذا نموذج لكثيرين من الملاك في ذلك الوقت، وفي كل سنة يرسل صاحب الكرم خدّامه لكي يحّصل الإيجار الذي في صورة جزء من الثمار، إلا أن الكرّامين طمعوا في الكرم، ووضعوا خطة للاستيلاء عليه، بدأوا في تنفيذ خطّتهم بأنهم قاوموا العبيد الذين أرسلهم السيد، وجلدوا بعضاً منهم، وقتلوا البعض الآخر، ورجموا البعض الثالث، ولم يحدث هذا مع واحد من الخدم دون آخر، ولم يحدث

---

[1] إنجيل يوحنا ١ : ١١

مرة واحدة بل حدث مع كل الخدم، وفي كل مرّة أرسل فيها السيد عبيده، وقمّة القصة تأتي عندما يقرّر صاحب الكرم أن يرسل ابنه وقد اعتقد أنهم سوف يحترمون سلطان الابن المرسل من الأب، لكن العبيد بمجرد أن رأوا الابن قادماً قالوا لبعضهم البعض: هلم ننهي هذه القصة مرّة واحدة وإلى الأبد فنقتل الابن ونستولى على الكرم. وربما ظنوا أن السيد قد مات وأن الابن قد ورث الكرم وقد جاء ليضع يده عليه فإذا قتلوه صار الكرم لهم، وفكّروا أنه حتى إذا كان السيد حياً فربما قد أصبح رجلاً عجوزاً ولن يستطيع أن يأتي بنفسه أو أن يأخذ ضدهم أي إجراء قانوني، خاصة وأنه في القانون اليهودي أن أي شخص يثبت أنه وضع يده على قطعة أرض أو منزل لمدة ثلاث سنوات دون منازعة يصبح مالكاً له، وبناء على هذا قام الكرّامون بإخراج الابن خارج الكرم وقتلوه، لكنهم اكتشفوا بعد قليل أن حساباتهم كلها كانت خاطئة، فبعد أن عرف المالك أن ابنه قُتل نفذ صبره وعاد ليهلك هؤلاء الكرّامين ويعطي الكرم إلى آخرين يدفعون الإيجار (الإثمار) في وقته. وهذه النهاية اقترحها المستمعون من رؤساء الكهنة والفريسيين، إلا أنهم اكتشفوا أنه كان يتحدث عنهم. وقصة غرس الكرم وإحاطته بسياج وحفر المعصرة وبناء البرج نجدها في سفر أشعياء ٥ : ١ - ٧ حيث يتحدث الله بنفسه عن أنه هو الذي قام بغرس الكرم والعناية به بصورة كاملة، إلا أن الكرم أنتج عنباً ردياً، والمثل واضح في أن الله قد أرسل في البداية أنبياء إلى إسرائيل، لكنهم قتلوا من قتلوا ورجموا من رجموا، وفي النهاية أرسل ابنه شخص يسوع المسيح لكنهم قتلوه، وهنا تقدمّ الله وأخذ الكرم منهم وأعطاه لآخرين. ولقد شرح

يسوع هذا المَثلَ في إنجيل متّى ٢٣ : ٢٩ – ٣٩ عندما قال " *ويل لكم أيها الكتبة والفريسيون المراءون لأنكم تبنون قبور الأنبياء وتزينون مدافن الصديقين وتقولون لو كنا في أيام آبائنا لما شاركناهم في دم الأنبياء فأنتم تشهدون على أنفسكم أنكم أبناء قتلة الأنبياء ... لذلك ها أنا أرسل إليكم أنبياء وحكماء وكتبة فمنهم تقتلون وتصلبون ومنهم تجلدون في مجامعكم وتطردون من مدينة إلى مدينة ... يا أورشليم يا قاتلة الأنبياء راجمة المرسلين اليها كم مرة أردت أن أجمع أولادك ... هوذا بيتكم يترك لكم خراباً ...* " والمثل يوضح أن يسوع يرى أن موته هو قمّة رفض إسرائيل لدعوة الله لهم بأن يكملوا دورهم كشعب مسئول عن العالم كان رفضهم في هذه المرّة واضحاً ومستفزاً لمشاعر الأب وخططه، وفي المثل نرى يسوع يعلن عن نفسه أنه ليس مجرد نبي مثل الأنبياء السابقين، ولكنه ابن الله المالك للكرم. ولاشك أن كاتب العبرانيين عندما كتب افتتاحية الرسالة كان هذا المثل في خلفيته إذ يقول " *الله بعدما كلّم الآباء بالأنبياء قديماً بأنواع وطرق كثيرة كلّمنا في هذه الأيام الأخيرة في ابنه الذي جعله وارثاً لكل شيء الذي به أيضاً عمل العالمين ...* "[1] ومَثَل الكرّامين يوضّح أن الفكر القائل بأن بولس الرسول هو صاحب عقيدة بنوية يسوع لله، وأنها أصلاً ليست واضحة في الأناجيل إنما هو فكر يحتاج إلى مراجعة، فصحيح أن بولس قدّم هذه العقيدة في شكل لاهوتي منظّم، لكنه عندما قدّمها اعتمد اعتماداً كاملاً على الأناجيل، وخاصة هذا المثل. ولقد انتهى المثل باقتباس من الرب يسوع من العهد القديم القول "

---

[1] الرسالة إلى العبرانيين ١ : ١ –٤

الحجر الذي رفضه البناءون هو قد صار رأس الزاوية من قبل الرب كان هذا وهو عجيب في أعيننا "[1] والصورة لبنّائين ألقوا بأحد الأحجار بعيداً لأنه حسب فكرهم حجر غير صالح، إلا أنهم عندما أرادوا أن يصلوا حائطين ببعضهما البعض لم يجدوا غير هذا الحجر المرفوض لكي يصير رأس الزاوية، وفي هذا المثل نستمتع بيسوع الذي يستخدم الألفاظ ببراعة، فكلمة ابن بالآرامية (ben) وكلمة حجر (eben)، ولم يكن الهدف هو استخدام اللغة بمهارة فقط ولكن أيضاً هناك مدلول واضح، فالابن المقتول والملقى خارج الكرم صار مؤسّساً للشعب الجديد لملكوت الله بقيامته من بين الأموات، ولاشك أن يسوع وهو يتحدث عن مثل الكرّامين الأردياء وجد أن المثل انتهى بموت الابن، وليس فيه ذكر للقيامة، وأي ذكر للقيامة في المثل تبدو غير معقولة وغير طبيعية من وجهة النظر الفنية والأدبية في سياق المثل، لذلك أضاف يسوع تعليق الحجر الذي رفضه البناءون والذي صار رأس الزاوية لكي يعطى بُعد القيامة للقصة، فلا ينتهى المثل بمشهد الابن المقتول خارج كرمه .

والهدف النهائي من هذا المَثل يتضّح من تعليق متّى عليه، فمن ناحية يقول " *ولما سمع رؤساء الكهنة والفريسيون أمثاله عرفوا أنه تكلم عليهم* "[2] ومن الناحية الأخرى يذكر تعليق يسوع القائل " *لذلك أقول لكم أن ملكوت الله ينزع منكم ويعطى لأمة تعمل أثماره* "[3] ومن الواضح هنا

---

[1] سفر المزامير ١١٨ : ٢٢ ، ٢٣

[2] إنجيل متى ٢١ : ٤٥

[3] الرسالة إلى غلاطية ٣ : ١٤

أن إسرائيل شعباً وقيادةً قد وقعوا تحت دينونـة اللـه، ورفضـوا مـن المسئولية الملقاة عليهم، وأُعطيت المسئولية لشعب جديد يستطيع أن يقدِّر المسئولية ويقوم بها .

إذن ماذا يقول هذا المثل عن إسرائيل ثم عن المجتمع الجديد المسئول (الكنيسة) ؟

يقدمّ هذا المثل إسرائيل كالشعب الذي أخذ امتيـاز أن يكـون هـو شعب الرب المسئول وأن يكون الكرّام الذي يعتني بالكرم ويقِّدم أثماره لله لكي ينفذوّا وصايا الله ويحققوّا أهدافه في العالم، لذلك أرسل الله ابنه لهم إلا أنهم قتلوه. وهنـا يقدّم المَثَل دينونـة إسرائيل، فـلا شك أن تداعيات رفض المسيح هي الدينونة، والدينونة هنا لليهود الذين رفضـوا المسيح. أما الذين قبلوه فقد صاروا أعضاءً فـي المجتمع الجديد المسئول والـذي يتكوّن من كل الأمم " *لتصير بركة إبراهيم للأمم في المسيح يسوع لننـال بالإيمان موعد الروح* "[1]. وفي رسالة رومية ٩ – ١١ نجد قصة الزيتونـة البرّية والتي تشير إلى الأمم والذين طُعِّموا بسبب إيمانهم، وبولس هنـا يوضح رحمة الله بكل الأمم، ويدعو الأمم بأن يأتوا بالثمر ولا يكرّروا قصةّ إسرائيل .

ومن الملاحظ أن يسوع قال هذا المَثلَ بعد حدث تطهير الهيكل، فقد دخل يسوع إلى الهيكل غاضباً، وصنع سوطاً من حبال، وطرد الباعـة والصيارفة وهو يقول " بيتـي بيت الصـلاة يدعـى وأنتم جعلتموه مغارة

[1] الرسالة إلى غلاطية ٣ : ١٤

لصوص" . وهنا يعلن يسوع أن الله لن يحلّ في هيكل أورشليم ثانية، ويأتي السؤال إذن ما هو البديل ؟ لاشك أن الإجابة تأتي على فم يسوع وهو يتحدث عن نفسه كحجر الزاوية، وأنه هو أعظم من الهيكل " *لكن أقول لكم أن ههنا أعظم من الهيكل* "[1] وفي معرض حديثه عن نقض الهيكل وبنائه في ثلاثة أيام " *وقالا هذا قال إني أقدر أن أنقض هيكل الله وفي ثلاثة أيام أبنيه* "[2] وفي قوله للسامرية أنه يأتى وقت لن تكون العبادة لا في هذا الجبل ولا في أورشليم " *وقال لها يسوع يا مرأة صدقيني إنه تأتي ساعة لا في هذا الجبل ولا في أورشليم تسجدون للآب أنتم تسجدون لما لستم تعلمون أما نحن فنسجد لما نعلم لأن الخلاص هو من اليهود ولكن تأتي ساعة وهي الآن حين الساجدون الحقيقيون يسجدون للآب بالروح والحق لأن الآب طالب مثل هؤلاء الساجدين له، الله روح والذين يسجدون له فبالروح والحق ينبغي أن يسجدوا* "[3]. فالإشارة هنا للهيكل الجديد هي ليسوع المقام من بين الأموات وفي مجتمع أتباعه . وهذا ما عبَّر عنه بولس الرسول بجسد المسيح فالكنيسة هي هيكل الروح القدس وجسد الرب المقام، وفي رسالة أفسس يجمع في ذهنه بين الهيكل وحجر الزاوية " *فلستم إذن بعد غرباء ونزلاء بل رعية مع القديسين ... مبنيين على أساس الرسل والأنبياء ويسوع المسيح نفسه حجر الزاوية الذي فيه*

---

[1] إنجيل متى ١٢ : ٦

[2] إنجيل متى ٢٦ : ٦١

[3] إنجيل يوحنا ٤ : ٢١ – ٢٤

كل البناء مركباً معاً ينمو هيكلاً مقدساً في الرب ... "[1]

إذن فأتباع يسوع هم الكرّامون الجدد، والهيكل الجديد لله، والمجتمع المسئول المتوقّع أن يأتي بثمر .

وهنا يأتي سؤال . من هم أولئك المدعوين لكي يكوّنوا المجتمع الجديد ؟ وكيف يكتشفون أهمية عضويتهم في هذا المجتمع ؟ للإجابة على هذا السؤال علينا أن نعود لأمثال المسيح، وسوف نجد أن الإجابة على الجزء الأول من السؤال في مَثَل الشبكة المطروحة في البحر، إذ يقول الرب يسوع " *يشبه ملكوت السموات شبكة مطروحة في البحر وجامعة من كل نوع فلما امتلأت أصعدوها إلى الشاطيء ...* "[2] وأهم جملة نجدها في هذا المثل " شبكة جامعة من كل نوع " فالشبكة هنا جمعت فيها كل أنواع السمك، لأن خدمة يسوع وأتباعه ستصل إلى كل جنس في كل أرض وعلى مدى الزمان، إذن فالمجتمع المسئول (الكنيسة) يتكوّن من الرجل والمرأة، الأبيض والأسود والأصفر، الغني والفقير، المتعلّم والجاهل ... من كل نوع .

أما الجزء الثاني من السؤال وهو كيفية اكتشافهم لهذا المجتمع أو الملكوت، فلقد تحدث يسوع في مثلين متتابعين عن نوعيتين من البشر يكوّنان هذا المجتمع، النوعية الأولى وُلدت في المجتمع الجديد أي من أبوين ينتميان لهذا المجتمع فعاشت وهي لا تقدّر قيمة عضوية هذا المجتمع، لكنهم فجأة يكتشفون قيمة وأهمية هذا المجتمع، أما النوعية

---

[1] الرسالة إلى أفسس ٢ : ١٩ – ٢١

[2] إنجيل متى ١٣ : ٤٧-٥٠

الأخرى فهم أولئك البشر الذين يبحثون عن الحق ويتدرّجون في معرفته إلى أن يصلوا إلى الحق الأعظم، وفجأة يجدونه في هذا المجتمع الجديد فيسرعون بالانضمام اليه .

والنوعية الأولى من البشر نجدها في إنجيل متّى ١٣ : ١٤ إذ يقول يسوع" *يشبه ملكوت السموات كنزاً مُخفى في حقل وجده إنسان فأخفاه ومن فرحه مضى وباع كل ما كان له واشتري ذلك الحقل* " والصورة هنا لفلاح فقير استأجر حقلاً أو كان يعمل كأجير في هذا الحقل، وفجأة وهو يقوم بعمله اليومي الرّتيب اكتشف أن هناك كنزاً مُخفى في الحقل .. وهذا الأمر لم يكن غريباً في ذلك الوقت، لأنه عندما أُخذ شعب إسرائيل إلى سبى بابل كان كل مسافر يجمع كل ثروة بيته ويضعها في صندوق ثم يدفنها في حقله حتى إذا ما عاد هو أو أحد أولاده يعود ويخرج الصندوق ثانية، لكن ما حدث أن هؤلاء الناس الذين أخفوا ثرواتهم لم يعودوا من السبي، فبقيت الكنوز مطمورة في الحقول، وكان يمكن لأى شخص ينقب في حقل ما أن يجد هذا الكنز مصادفة ... وكانت مفاجأة الحياة لهذا الفلاح الفقير في ذلك الكنز المطمور الذي سار عليه بقدميه مئات المرّات وهو محتاج للطعام واللباس، دون أن يدري أن هناك كنزاً تحت قدميه ... وهذا يحدث كثيراً لأولاد هذا المجتمع إذ يعيشون فيه دون أن يدروا بالكنوز التي تحت أقدامهم أو بين أيديهم، وعندما يتعرّضون لأزمة ما ويرى الصديق والزوج أو الزوجة أو الراعي هؤلاء الأشخاص الذين تعوّد عليهم دون إدراك لقيمتهم الحقيقية، وإذ به يكتشفهم من جديد، أو عندما يفتح الله عينيه بالروح القدس على إمكانية تعميق

العلاقة معه والوصول إلى درجات عليا من الفهم والإدراك لكلمة الله ولعمل الخدمة، عندئذ يكتشف الكنز الذي كان يسير عليه بقدميه وهو جائع وعريان دون أن يدري، عندئذ يكون على استعداد أن يبيع كل شيء ويحمل الصليب. وفي تطبيق بولس لهذا المثل عندما باع الفلاح كل ما يملك ليشترى الحقل يقول "*لكن ما كان لي ربحاً فهذا قد حسبته من أجل المسيح خسارة، بل إني أحسب كل شيء أيضاً خسارة من أجل فضل معرفة المسيح يسوع ربي الذي من أجله خسرت كل الأشياء وأنا أحسبها نفاية لكي أربح المسيح وأوجد فيه* "[1] فقد باع كل شيء لأجل الكنز الذي اكتشفه .

أما النوعية الثانية من عضوية المجتمع فنجدها في مثل تاجر اللآلىء إذ يقول يسوع" *أيضاً يشبه ملكوت السموات إنساناً تاجراً يطلب لآليء حسنة فلما وجد لؤلؤة واحدة كثيرة الثمن مضى وباع كل ما له واشتراها* [2]" وهذه الصورة لشخص يبحث عن الحق، إنه تاجر لآليء حسنة، واللؤلؤ معدن غالي الثمن جداً، ويوجد منه في البحر الأحمر ومياه الخليج، واللؤلؤة الواحدة كانت تساوي في ذلك الوقت ٢٥ مليون دينار، وكان الدينار يساوي أجر العامل يومياً، وقصة يسوع عن تاجر رجل أعمال خبير في تقييم اللآليء، وعندما وجد لؤلؤة أجمل وأعظم وأنقى من كل اللآليء كان عليه أن يبيع كل ما يملك لكي يشتريها، فلم يتردّد لحظة وباع كل شيء واشتراها، والمثل هنا يعبّر عن شخص فيلسوف مثقّف

---

[1] الرسالة إلى فيلبي ٣ : ٧،٨

[2] إنجيل متى ١٣ : ٤٦ ، ٤٧

يبحث في كل الأديان والفلسفات عن الحق المطلق الذي يعلو على كل حق آخر، وهي صورة مفعمة بالحيوية والنشاط عكس صورة الفلاح في المثل السابق الذي يعيش حياة رتيبة وينتظر حتى تأتيه المفاجأة، أما هنا فالتاجر هو الذي يبحث وينقب، إنه المثقّف الذي يوازن بين الأفكار والاختيارات، ولديه الخبرة الكافية والمرونة لكي يتعرّف على الفكر الصحيح من المزيف ... ولديه الشجاعة لكي يغير حياته كلما اكتشف حياه أفضل وأعظم وأعمق ... إن هذا الإنسان يحمل في جرابه الكثير من العلم والفن والأدب، وفي مسعاه الدائب في الحياة للبحث عن الأفضل والأجود والأغلى يجد لؤلؤة واحدة كثيرة الثمن فيبيع كل ما كان له ويشتريها . إن هذه اللؤلؤة هي شخص يسوع، وقبوله يجعلنا أعضاء في المجتمع المسئول، وعلينا أن نبيع كل شيء من أجله، إن هذا التاجر لم يقبل أفكاراً جاهزة موروثة، ولم يولد في مجتمع الملكوت، لكنه يكتشف عظمة الملكوت وأهمية أن يكون عضواً في المجتمع المسئول فيبيع كل شيء: أسرته وعمله وحتى حياته لأجل فضل معرفة المسيح "*من احب ابًا او امًا اكثر مني فلا يستحقني ومن احب ابنًا او ابنة اكثر مني فلا يستحقني، ومن لا يأخذ صليبه ويتبعني فلا يستحقني، ومن وجد حياته يضيعها ومن أضاع حياته لأجلي يجدها* "[1]

وبهذا نستطيع أن ندرك أن دور إسرائيل كشعب الله قد انتهى وحلّت محلّه الكنيسة كمجتمع جديد، وهذا المجتمع الجديد يتكوّن من كل

---

[1] إنجيل متى ١٠ : ٣٧-٣٩

جنس ونوع دون عنصرية، وهو مفتوح لكل من يقبل ويؤمن .

ثانياً : الكنيسة (المجتمع المسئول) وعلاقته بإبليس (البعد الغيبي)

ترى ما هي حدود العلاقة بين إبليس والمجتمع المسئول ؟ لقد كان يسوع يجول يصنع خيراً ويشفي المتسلط عليهم إبليس، وفجأة برز اتّهام للرب يسوع بأن له علاقة بإبليس، وأنه يخُرج الشيطان ببعلزبول. وقد كانت أسرة يسوع كما يذكر لنا متّى في الأصحاح الثالث والعدد الحادي والعشرين من ضمن أولئك الذين عندما سمعوا أنه يشفي مرضى ويخرج شياطين قالوا أنه مختل، وأما الكتبة فقالوا أنه ببعلزبول وأنه برئيس الشياطين واستندوا في ذلك على توجُّهه الديني فقد رأوه يأكل مع العشارين والخطاة[1] وسألوا تلاميذه لماذا يفعل يسوع هكذا ؟ وأيضاً لاحظوا أن تلاميذه لا يصومون مثل تلاميذ يوحنا المعمدان والفريسيين[2] علاوة على ذلك فقد كانوا يكسرون السبت بقطفهم السنابل وهم سائرون، وهذا لا يحل فعله في السبت[3] ونتيجة لكل هذا الرصد لسلوك يسوع وتلاميذه توصلّوا إلى نتيجة بأن يسوع لايمكن أن يخرج الشياطين بروح الله لأنه يرتكب أخطاء كثيرة ضد الناموس والشريعة فلابد وأنه يخرج الشياطين برئيس الشياطين، بل وأعلنوا أن يسوع نفسه مسكوناً ببعلزبول، ليس بشيطان عادي ولكن برئيسهم .

---

[1] إنجيل مرقس ٢ : ١٦

[2] إنجيل مرقس ٢ : ١٨

[3] إنجيل مرقس ٢ : ٢٣ -٢٨

وكان رد يسوع في ثلاثة أمثال، في الأول تحدث عن البيت المنقسم، ثمّ عن المملكة المنقسمة، وأخيراً عن اقتحام بيت الرّجل القوي .

في البداية رد يسوع على فكرة أنه ببعلزبول يخرج الشيطان بقوله" *كيف يقدر شيطان أن يخرج شيطاناً، وإن انقسمت مملكة على ذاتها لا تقدر تلك المملكة أن تثبت، وإن انقسم بيت على ذاته لا يقدر ذلك البيت أن يثبت وإن قام الشيطان على ذاته وانقسم لا يقدر أن يثبت بل يكون له انقضاء* "[1] ويسوع هنا يقول لليهود ارجعوا إلى تاريخكم فعندما كانت إسرائيل موحّدة تحت مُلك داود كانت أقوى الدول في عصرها، لكن بعد وفاة داود انقسمت المملكة، وكانت النتيجة أن المملكتين ذهبتا إلى السّبي بالتّتابع .

أما مَثلَ ربط الرجل القوي فيعطي إيحاءً أقوى عن دور إبليس في العالم خاصة بعد مجيء الرب يسوع، فالرب يوضّح هنا دون لبس أنه لكي يتحقق ملكوت الله بمجيء الابن لابد من ربط إبليس الرجل القوي صاحب البيت، فبداية ملك الله على الأرض خلال يسوع هي بداية النهاية لحكم إبليس، وقد علّق يسوع على هذا في إنجيل متّى أصحاح ١٢ : ٢٧ ولوقا ١١ : ١٩ بالقول" *وإن كنت أنا ببعلزبول أخرج الشياطين فأبناؤكم بمن يخرجون . لذلك هم يكونون قضاتكم* " ثم وضع يسوع حداً فاصلاً في منتهى الوضوح بقوله "*ولكن إن كنت أنا بروح الله أخرج الشياطين فقد أقبل عليكم ملكوت الله* "[2] وقد أوضح يسوع الفرق بين إخراجه هو

---

[1] إنجيل مرقس ٣ : ٢٣-٢٦

[2] إنجيل متى ١٢ : ٢٨ ، إنجيل لوقا ١١ : ٢٠

للشياطين وإخراج الآخرين، فالآخرون يخرجون الشياطين، لكنهم لا يضعون البديل في حياة وقلب الإنسان، لذلك يعود الشيطان الذي خرج ومعه سبعة آخرين. ويشرح يسوع هذا الفكر بالقول " *إذا خرج الروح النجس من الإنسان يجتاز في أماكن ليس فيها ماء يطلب راحة ولا يجد، ثم يقول أرجع إلى بيتي الذي خرجت منه فيأتي ويجده فارغاً مكنوساً مزيناً ثم يذهب ويأخذ معه سبعة أرواح أخر أشر منه فتدخل وتسكن هناك فتصير أواخر ذلك الإنسان أشر من أوائله هكذا يكون أيضاً لهذا الجيل الشرير* "[1] لكن يسوع عندما يخرج إبليس يحل مكانه الله وبحضوره يتجدد قلب الإنسان ويحتفظ بحصانته ضد إبليس، لأن مجيء يسوع قيد إبليس عن المؤمنين به، فلن يجرؤ إبليس على العودة واقتحام المنزل ثانية.

ماهي إذن حقيقة ربط إبليس ؟ وكيف رُبط ؟ وإذا كان هو الآن مربوطاً فلماذا نرى كل هذه الشرور والخطايا ؟ لقد اختلف الكثيرون من اللاهوتيين حول فكرة ربط إبليس وبداية الألف سنة التي فيها يملك الله على الأرض، وهل هذه الفكرة أخروية أي لن تتم إلا في نهاية الأيام وبعد القيامة الأولى، أم أن إبليس قد رُبط بعمل يسوع على الأرض؟ دعونا نتتبع هذا الفكر حيث قدّم لنا يسوع في أمثاله الثلاثة بوضوح أن مجيء الملكوت كان سبباً في ربط إبليس، ولكي يستطيع يسوع أن يتمّم العمل ويقتحم العالم الذي هو مملكة إبليس كان لابد من ربط إبليس، لكن الأمر

[1] إنجيل متى ١٢ : ٤٣ – ٤٥

لم يتوقّف عند مجرد هذه الأمثال الثلاثة. ولنبدأ القصــــة من بدايتها، فبولادة يســوع في بيت لحم تحقّقت النبوة "*نسل المرأة يسحق راس الحية*"، وكانت هذه النبّوة تشير إلى أن الله سوف يتدخّل في التاريــخ الإنســاني بنفســه، ولذلك عند دخول الله الى التاريخ في يسوع قام الملاك وقبض على التنّين الحيّة القديمة وقيّده[1] وحتى مجيء يســوع كـان إبليـس مطلق اليد من نحو الأمم من حيث إضلالهم لكن بمجيء يسوع قيّد إبليس "حتى *لا يضل الأمم فيما* بعد"[2] ونقرأ في مزمور ٢ : ٨ "*إني أخبر من جهة قضاء الرب قال لي أنت ابني وأنا اليوم ولدتك، اسألني فأعطيك الأمم ميراثاً ...*" وأيضاً مزمور ٧٢ : ٨ – ١١، تكوين ١ : ٣، عاموس ٩ : ١١، ١٢ .

وفى خدمة يسوع أعطى تلاميذه القدرة على إخراج الشياطين، وعندما عاد السبعين تلميذاً بفرح قائلين للرب حتى الشياطين تخضع لنا باسمك قال لهم " رأيت الشيطان ساقطاً مثل البرق من السماء "[3] ولابد أننا نلاحظ هنا أن سقوط الشيطان كان معاصراً لتأسيس الكنيسة المجتمع المسئول، أي أن ربط إبليس كان لكي تصل الكنيسة إلى الأمم كما ذكرنا، ولقد وضح هذا بصورة محدّدة عندما جاء بعض اليونانيين لكي يروا يسوع فقال لهم يسوع "*الآن دينونة هذا العالم الآن يطرح رئيس هذا*

---

[1] سفر الرؤيا ٢٠ : ١، ٢

[2] سفر الرؤيا ٢٠ : ٢

[3] إنجيل لوقا ١٠ : ١٧، ١٨

العالم خارجاً . وأنا وإن ارتفعت عن الأرض أجذب إليّ الجميع "[1]
والكلمة " يطرح " المستخدمة هنا هي نفس الكلمة المستخدمة في سفر الرؤيا ٢٠ : ٣ " *وطرحه في الهاوية وأغلق عليه وختم عليه حتى لا يضلّ الأمم فيما بعد حتى تتم الألف سنة وبعد ذلك لابد أن يُحل زماناً يسيراً* " .

ولقد فهم يسوع عملية مجيئه الأول والثاني وعلاقتهما بإبليس والعالم كما يلي :

مجيء يسوع

المجيء الثانى ليسوع

إطلاق إبليس لفترة قليلة

نهاية عهد إبليس إلى الأبد

العصر القديم لإبليس وفيه كانت له اليد العليا فى ضلال الأمم (كل العالم ما عدا إسرائيل)

ربط إبليس ووصول الرسالة إلى الأمم مع استمرار عمل إبليس في تعويق الرسالة وعجزه عن تدميرها

ويشرح بولس هذا الأمر في رسالته إلى كنيسة كولوسي الأصحاح الثاني والأعداد ١٣ – ١٥ بالقول " *وإذ كنتم أمواتاً في الخطايا*

---

[1] إنجيل لوقا ١٢ : ٣١ – ٣٢

وغلف جسدكم أحياكم معه مسامحاً لكم بجميع الخطايا إذ محا الصك الذي علينا في الفرائض الذي كان ضداً لنا وقد رفعه من الوسط مسمراً إياه بالصليب إذ جرد الرياسات والسلاطين أشهرهم جهاراً ظافراً بهم فيه "

فبالصليب جرد الرب إبليس وأعوانه وهزمهم وهو ما يعني تقييد إبليس، فهو لم يعد بنفس قوته ولا قدرته على الإيذاء، فعندما تمتلك كلباً متوحشاً وتربطه بسلسلة فهو يتحرك بمقدار ما تعطيه هذه السلسلة من حرية ومساحة، ولذلك فعملية تقييد إبليس لا تعني انعدام الشر في العالم، لكن تعني أن إبليس قد قُيِّد عن تدمير الكنيسة فهو مقيد من جهتها ومن جهة المؤمنين الحقيقيين، فلا سلطان لإبليس على أي من يؤمن بشخص المسيح وبخلاصه، ولن يستطيع إبليس أن يمنع انتشار الكلمة . وعملية التقييد هذه لم تتم بمجرد الميلاد، ولكن بالمجيء الأول للمسيح ككل، أي الميلاد والحياة والموت والقيامة والصعود.

وعلى مدى التاريخ نستطيع أن نرصد سحق الكنيسة لإبليس وتقييده وعدم قدرته على تدميرها وإن كان قادراً على إيذائها، ففي القرن الأول كان صمود الكنيسة واستشهاد القديسين عاملاً ضخماً في سقوط الوثنية، ولقد انهارت الإمبراطورية الرومانية ومعاقل الوثنية أمام الكنيسة.

وفي محاولة إبليس لتدمير الكنيسة من الداخل كانت العصور المظلمة، فجاء عصر الإصلاح وكانت المواجهة الضخمة الثانية مع إبليس وُولدت الكنيسة من جديد، وفي عام ١٩٩٠ كان الصدام المروِّع مع

الشيوعية وسقطت تحصينات الإلحاد كما سقطت الوثنية في القرن الأول ومازالت الكنيسة تعمل ومازال أمامها معارك ضخمة. لكن الوعد بضمان الانتصار ما زال قائماً، ورغم مجهودات إبليس الضخمة للإيذاء إلا أن الانتصار النهائي للكنيسة قادم[1]

وإذا كان إبليس قد رُبط حتى لا يحطم الكنيسة إذن ماذا بقى له كي يفعله في العالم ضد الكنيسة؟ الحقيقة أنه قد بقي له الكثير، بمقدار ما تعطيه السلسلة المربوط بها من حرية . ونستطيع أن نرى ما يستطيع إبليس أن يفعله في بعض الأمثلة التي ذكرها يسوع كما يلي :

١ - يقوم إبليس بنزع تأثير الكلمة من قلوب المستمعين ويصيب الخدام بالإحباط. [2]

٢ - يقوم إبليس بزرع الأشرار داخل الكنيسة[3].

٣ - يقدّم إبليس أنبياء كذبة ومعلمين مزيفين[4] .

---

[1] إن كنت تريد المزيد عن معركة هرمجدون والملك الألفي يمكنك قراءة كتاب "من يحكم التاريخ" و"الاختراق الصهيوني للمسيحية" لنفس المؤلف

[2] إنجيل لوقا ٨ : ٤ - ، ١١ - ١٥ ، مرقس ٤ : ١ - ٩ ، ١٣ - ٢٠ ، متى ١٣: ١ -٩ ، ١٨-٢٣

[3] إنجيل متى ١٣ : ٢٤ - ٣٠

[4] إنجيل متى ٧ : ١٥-٢٠ ، ١٢ : ٣٣-٣٥

١- يقوم إبليس بنزع تأثير الكلمة من قلوب المستمعين

فى مَثَل الزارع الذي خرج في الصباح ليزرع، والمذكور في الثلاثة أناجيل نجد وسيلة الله في امتداد ملكوته، وهي الكرازة بالكلمة، فالزارع هو الله، والبذار هي الكلمة، وأنواع المستمعين هم أنواع الأرض التي يسقط عليها الزرع والطيور التي تأتي وتأخذ البذار هي إبليس، وهموم العالم وغرور الغنى والشوك هي الشرور التي تخنق الكلمة والأحجار التي توضع في طريق الكلمة إنما هي من عمل إبليس، لذلك فمدى استفادتنا من الكلمة يتوقّف على اتجاهنا من نحوها، بل إن أسُلوب تلقّينا يعطينا القدرة على فهم أنفسنا والخلل الذي غرسه إبليس في شخصياتنا، ولقد أطلق يسوع على نوعيات البشر : الطريق - الحجري - الشوكي، والمسئول. ولنتأمل في كل واحد على حدة .

أ . *الإنسان الطريق* : إنسان يعيش على هامش الحياة

تُقسم الأرض الزراعية عادة إلى أحواض مربّعة تقريباً، وبين هذه الأحواض يوجد الطريق، وهو ضيق جداً ويستخدمه الفلاح في السير عليه وهو يزرع أو يروي، وهذا الطريق يكوّن هامشاً للحوض وفاصلاً له بينه وبين باقي الأحواض، ولأنه يوجد بين الأحواض الزراعية لذلك فهو معرّض لأن يبتلّ بالماء دون زرع أو دون ري، ومعرّض أن تقع عليه بذار، فهو معرّض لكل ما تتعرّض له الأرض الزراعية دون أن يتأثر أو يعطي نتيجة، فهو تربة صارت صلدة بسبب كثرة السير عليها فلا تمتص البذار الساقطة عليها، فتبقى البذار على السطح حتى يأتي

إبليس ويأخذها، وهذا الإنسان الطريق هو الشخصية التي لا تمتَّص الكلمة عند سماعها، فهو إنسان بلا رد فعل للكلمة وينساها بمجرد أن يأتي إبليس ويشغله بشيء آخر، إنه يستمع إلى كل شيء لكنه لا يتأثر بشيء ولا يتعمَّق في شيء ولا يتبقَّى داخله شيء .

ب . الإنسان الحجري ع ٥، ٦

هذا الإنسان عاطفي له رد فعل سريع وسطحي ينفعل بشدة بكلمات الله يأخذ قرارات ضخمة هو لا يقدّر حجمها ولايستطيع تنفيذها، لأنه لا يملك إمكانيات التنفيذ، فعندما يصطدم القرار بالصخر الذي في الأعماق عند الاضطهاد والضيق يحترق. ولاشك أن إبليس هو مصدر الاضطهاد والضيق، كم من مؤمنين احترقوا من الداخل سريعاً لأنهم لم ينتبهوا لإبليس في تجاربه واضطهاداته، واستمر إيمانهم قشرة سطحية لحياتهم لاتصل إلى الأعماق، وتخرج من حين لآخر بعض النباتات الخضراء دون ثمر حقيقي، ونحن نقابل أمثال هؤلاء في النهضات الانتعاشية التي تركِّز على العواطف في جذب البعيدين .

جـ . الإنسان الشوكي ع ٧، ع ٢٢

وهو يعبِّر عن الإنسان الفوضوي، والذي أولوياته غير صحيحة ، فهذا الإنسان سمع الكلمة، لكن طلع الشوك وخنقه ويفسر يسوع الشوك هنا بأنه هَم هذا العالم وغرور الغنى، فالشاب الغني رفض أن يترك المال لأجل المسيح ومضى حزيناً، وهذا الغنى يصبح أولوية من جهة، ومن

جهة أخرى هناك هموم العالم من فقر وضيق ومشاكل متعددة، فالإنسان غير المنظّم الذي لا يعرف كيف يرتب أولوياته سوف يخنقه الشوك دون أن يدري .

وفي كل هذه النوعيات الثلاث نستطيع أن نلاحظ دور إبليس، فهو يحاول دائماً مع الإنسان أن يبعده عن الكلمة، لكنه غير قادر على تدمير الكلمة ذاتها .

د . *الإنسان المسئول، ويطلق عليه يسوع الأرض الجيّدة*

إن هذا الإنسان يسمع ويهتم ويعطي رد فعل معقول ومقبول وعملي وهو ما دعاه يسوع الأرض الجيّدة، وهو ذلك الرجل الذي استطاع أن يهزم إبليس بتخلّصه من الأشواك، وله القدرة على ترتيب أولوياته، وأيضاً استطاع التخلّص من الأحجار الداخلية فأتى بثمر (ثلاثون وستون ومائة) كل واحد حسب طاقته وقدراته .

ولكن قبل أن نترك هذا المثل نحتاج إلى أن نلتفت إلى الزارع ،والزارع هنا هو الخادم الذي خرج مبكراً مستعداً للعمل بنظرة تفاؤلية للمستقبل برؤية واضحة للعمل في أنه سوف يتعب اليوم ليحصد غداً، وبكل نشاط بدأ يعمل، لكن إبليس لم يترك هذا الخادم. ونستطيع أن نكتشف نوعية من الإحساس السلبي لدى الخادم صدَّره له إبليس .

أ) الإحساس بالصدمة

إن كان الخادم لا يتوقّع من الطريق ثمراً، إلا أنه يتوقّع من الأرض الحجرية، ذلك لأنه لا يعرف أن هذه الأرض تحمل داخلها أحجاراً، وعندما تبدأ الأرض في إعطاء الثمر أي عندما يقبل الإنسان الإيمان يفرح الخادم لمظاهر قبول الإنسان لعمل الله، لكن بمجرد أن يحدث ضيق أو اضطهاد يكتشف الخادم ضياع واختفاء ذلك الإنسان الذي تعب فيه. لقد احترق عمله، وهنا يصاب بالصدمة لأنه لم يكن يتوقّع أن ذلك الإنسان الذي قَبِل أمامه الرب وفرح به وبدأ بحماس شديد سوف يفقده بهذه السرعة .

ب) الإحساس بالحزن

إن غرور الغنى وهموم العالم تخنق الزرع وتفتك به، وينظر الخادم إلى من يخدمهم وهم يفرحون بالكلمة يحاول متابعتهم فإذ به يرى بعضهم وقد ضاع في مشاغل العالم واختنقت الكلمة داخله، ينظر إليهم بكل حزن وألم وهم يموتون ببطء أمامه دون أن تكون له القدرة أن يفعل لهم شيئاً. ولقد حزن يسوع على الشاب الغني لأنه أحبه، ويقول بولس عن النحّاس والإسكندر أنه يذكرهم باكياً .

جـ) الإحساس بالتشجيع

إنّ الله لا يترك الخادم في مشاعره السلبية، لكن هناك نجاحات ضخمة رغم عمل إبليس، هنالك الأرض الجيّدة التي تأتي بثمر ثلاثون

وستون ومائة، ومن خلال هذه النوعية من البشر يشجّع الله خدّامه .

٢ – يقوم إبليس بزرع الأشرار داخل الكنيسة [1]

يتحدث هذا المثل عن فلاح قام بزرع حنطة في حقله، وفي الوقت بين الزرع والحصاد جاء عدو له ليلاً وزرع زواناً في وسط حقل الحنطة، والزوان نبات يشبه القمح إلى حد كبير، لكنه بلا ثمر ومنه نوع سام، وعندما يُزرع في الأرض يشتبك مع جذور القمح الحقيقية ولايستطيع أحد في البداية أن يميّز بينه وبين القمح، لكن بعد مرحلة النمو يستطيع أي طفل صغير أن يتعرّف على الفرق بين القمح والزوان. والزوان هو نبات ظهر في الشرق الأوسط، ولقد وُجدت بذوره في مقبرة فرعونية تعود إلى عام ٤٠٠٠ ق . م[2]، لكن ما يهمنا أنه بعد زرع الحنطة، وظهور النبات، وصناعة الثمر أي ما يقرب من ثلاثة أشهر اكتشف عبيد رب البيت الزوان الذي في الحقل، فجاءوا إليه وأرادوا أن يستأذنوه في أن يجمعوا الزوان إلا أنه يبدو أن نوعية الزوان التي زُرعت في هذا الحقل كانت من النوعية التي تتشابك مع جذور الحنطة، وهنا خشي صاحب الحقل من نزع الزوان لئلا تخرج معها الحنطة، وقال لعبيده دعوهما ينميان كلاهما معاً إلى الحصاد، وفي الحصاد يمكن فصلهما وجمع الزوان وإحراقه . ولاشك أن أحد أهداف هذا المثل هو الإجابة على التلاميذ الذين كانوا يستعجلون مجيء الملكوت حتى يظهر

---

[1] إنجيل متى ١٣ : ٢٤ –٣٠، ٣٦–٤٣

[2] Wenhom, David, IBEL

الجيّد من الرديء، وكانت إجابة السيد أنه يجب أن يسمح للزوان بالنمو حتى يأتي الحصاد، ولقد فسّر يسوع هذا المثل بالقول *" أن الزارع الزرع الجيد هو ابن الإنسان والحقل هو العالم والزرع الجيد هم بنوا الملكوت (المجتمع المسئول) والزوان هم بنو البشر والعدو الذي زرعه هو إبليس والحصاد هو انقضاء العالم والحصادون هم الملائكة "*[1]

ومن هذا المثل نخرج ببعض الحقائق :

الحقيقة الأولى : أن المجتمع الكنسي هم بذار الله [2]

فقد أخذ هذا المجتمع مكانه في عمل الله من خلال يسوع ابن الإنسان الذي قام بزرعهم بنفسه، وذلك من خلال عمله على الصليب وموته وقيامته، وبقبولهم هم لهذا العمل صاروا أبناء الله وصار هو لهم أباً *" أما كل الذين قبلوه فأعطاهم سلطاناً أن يصيروا أولاد الله أي المؤمنين باسمه"*[3] فصيرورتنا أعضاء في المجتمع المسئول لا يعني أننا صرنا أعضاء في كتيبة جيش، لكن يعني أننا صرنا أعضاء في عائلة تربطها علاقات دافئة. يقول بطرس الرسول *"مبارك الله أبو ربنا يسوع المسيح الذي حسب رحمته الكثيرة ولدنا ثانية برجاء حي بقيامة يسوع المسيح من الأموات"*[4]

---

[1] إنجيل متى ١٣ : ٣٦-٣٩

[2] إنجيل متى ١٣ : ٣٧،٣٨

[3] إنجيل يوحنا ١ : ١٢

[4] رسالة بطرس الأولى ١ : ٣

الحقيقة الثانية : أن مجال عمل الكنيسة (المجتمع المسئول) هو العالم

فالحقل هو العالم وهذا العالم ينتمي إلى الله، والله هو الذي قام بزرع أعضاء هذا المجتمع فيه، وربما يحدث خلط هنا لإطلاق الرب يسوع مسمّى ملكوت الله على الحقل، لكن المقصود هنا هو أن العالم ملك لله بالخليقة، وعندما سقط هذا العالم قام الله بزرع الكنيسة (المجتمع المسئول) فيه لكي يستعيده إليه بالفداء من خلال عمل يسوع المسيح، فالكنيسة هي الخميرة التي تخمّر العجين كله أي العالم ككل .

الحقيقة الثالثة : حقيقة وجود الشّر في العالم

لقد جاء العدو وزرع الزوان في وسط الحنطة ومضى، إذن هناك من يعمل ضد قوى النور والخير في العالم، فإبليس هو أصل الشّر، والشّر في العالم هو السلبية بذاتها، ودوره هو أن يفسد أي عمل صالح، ولاشك أن الشر يزداد في العالم مع فساد البشر وقبولهم له والتعامل معه، والقوى الشّريرة تحاول أن تفسد الزرع الجيّد وتهلكه، وهكذا يقع الإنسان تحت تأثيرين مختلفين، تأثير يعضد الكلمة لكي تثمر فينا وتنتج خيراً، وتأثير آخر يفسد هذا التأثير لكي لا تثمر فينا الكلمة وتنتج شرّاً . والملاحظ في هذا المثل أن الله ليس مصدر الشّر في العالم، فالله يزرع الحنطة ولا يزرع الزوان، لكن السؤال الذي يثار إن كان الله ليس مصدراً للشّر فما هو الموقف من سيادة الله ؟ ! إن قولنا بأن الله مصدر الشّر فإن هذا القول في حد ذاته يضرب سيادة الله في مقتل، فسيادة الله

لا تتأكد بسبب أنه مصدر الشّر، لكنها تتأكد بسبب تحكّم الله في نتائج الشّر الموجود في العالم وتحويله إلى الخير، فنحن لا نقول أن الله مصدر الألم أو المرض أو الحزن أو كل ما هو شر، لكن الله بسيادته يضع كل هذه الأمور تحت تحكمه، ويستخدمها لبنيان وخير المؤمن. فباجتيازنا لها نصير أكثر معرفةً به لأنه يجتاز فيها معنا، فضلاً عن أننا نصبح أكثر نضوجاً بعد انتهائها . فالألم لم يعد من الأشياء المحبطة والسلبية التي تشل تفكيرنا لكنه امتياز، فمن خلاله تنمو لدينا إرادة التحمّل، وإرادة التغيير، وإرادة الانتصار ومن خلاله تولد فينا قوى خلاقة للانتصار، ونقترب إلى الله أكثر. يقول يعقوب الرسول" *لا يقل أحد إذا جرب إني أجرب من قبل الله، لأن الله غير مجرب بالشرور وهو لا يجرب أحداً*"[1]

والمعركة مع الشّر ليست مجرد معركة روحية، فالزوان هم أبناء إبليس، وهم يقومون بتجربة أبناء الله في علاقاتهم معهم وحياتهم المشتركة ومعاملاتهم اليومية .

الحقيقة الرابعة : صعوبة التمييز بين الخير والشّر في هذا العالم

وهنا نأتي إلى أصعب حقيقة في عصرنا الحالي، وهي اختلاط الشّر مع الخير بصورة لم يسبق لها مثيل، فالزوان يعطي شكل الحنطة في لونه وطوله وحجمه، والفارق الوحيد أنه بلا ثمر مما يجعل الكثيرين يُخدعون بالزوان، بل ربما يفضلون أن يكونوا كذلك . والسؤال هو ما هو مقدار الخلط بين الخطايا، وبعض التقاليد الاجتماعية والحضارة التي

[1] رسالة يعقوب ١ : ١٣

نعيشها؟ فمرّات نظن أن ما يوافق عليه المجتمع من مأكل وملبس وخلافه ليس بخطية بينما ما يرفضه المجتمع يكون خطية، ففي مجتمعنا النفاق مطلوباً ولا يعتبر خطية بينما يرفض المجتمع عطاء الذات ويعتبره نوعاً من السذاجة، ليس هذا فقط بل علينا أن نفرّق بين ما هو حضارة وما هو إيمان فالإيمان لا يتوقّف على نوعية الحضارة، شرقية كانت أم غربية، لكننا مرّات نخلط بين الاثنين، فالحضارة الشرقية تقّيد المرأة في الوقت الذي نرى فيه المرأة في المجتمع الغربي في منتهى القوة، وهذا ليس من الخطايا، كما أن تقييد المرأة ليس من الإيمان كذلك فنوعية الملبس أو طريقته لا يمكن أن يندرج تحت الخطية، لكنه يندرج تحت الحضارة. وحتى الدول التي أنكرت اللاهوت المسيحي، وتحوّلت إلى العلمانية أو الشيوعية ظلت تحتفظ بالقيم المسيحية مثل الصدق والأمانة في العمل وإتقانه .

وليست الخطورة فقط في الخلط بين الدين والحضارة، ولكن أيضاً في نسبية الخير والشر. فلا يوجد ما يُسمى خير مطلق أو شر مطلق، فموت المسيح مثلاً شّر لأنه موت، لكنه في نفس الوقت كان خلاصاً إذ أعقبته القيامة، وسجن بولس كان شراً لكن كرازته داخل السجن كانت لها نتائج للخير، ونفي يوحنا في جزيرة بطمس ... الخ لذلك فالمشكلة تنشأ عندما يتعّرض الإنسان لموقف ما يختلط عليه فيه الخير والشر، وهذه المواقف كثيرة ومتعدّدة ... ولاشك أن أكثر الناس تشبها بالحنطة (جماعة المؤمنين) هم الذين لهم صورة التقوى ولكنهم ينكرون

قوتها، وهؤلاء الناس تراهم فتظن أن بهم ثمراً، لكنك تفاجأ بعكس ذلك تماماً، فهم يتبعون يسوع ليس لشعورهم بالاحتياج الحقيقي، ولكن لمجرد التمييز أو اتخاذ منصب قيادي أو مصلحة ما، وفي وصف يسوع لهم أنهم قبور مبيضة من الخارج ومن الداخل عظام أموات يعطي مدى رفض يسوع لهم، إن أولئك الذين يبدون كالأتقياء لكنهم من داخل تفوح رائحة النتانة هم أقرب تعبير عن الزّوان .

الحقيقة الخامسة : أن الخير سوف ينتصر في النهاية

فالحصاد هنا هو انقضاء العالم وفيه يُجمع الزوان ويُحرق بالنار في الوقت الذي فيه يضيء الأبرار كالشمس في ملكوت أبيهم، فالكلمة الأخيرة هنا للخير وليس للشر، وهذه النهاية هامة جداً لنا اليوم حيث نُجرب بالإحباط واليأس أمام قوة إبليس من حولنا سواء على مستوى الفرد أو على مستوى جماعة المؤمنين، لذلك إن رأينا الشّر منتصراً في جماعة ما فلا نخاف لأن الوعد بانتصار الأخير أكيد .

٣ – يقوم إبليس بإعداد وإرسال أنبياء كذبة ومعلمين مزيفين[1]

من أهم أنشطة إبليس لهدم كيان الكنيسة (المجتمع المسئول) هو إرسال أنبياء كذبة يلبسون ثياب الحملان أو يبدون من الخارج وكأنهم حملان، والحقيقة أن الذئاب تبدو على البعد في شكل الحملان، والنبي الكذاب هو الذي يبدو كأنه واحد من القطيع يمتلئ غيره وحماساً على

[1] إنجيل متى ٧ : ١٥ – ٢٠ ، متى ١٢ : ٣٣-٣٥

القطيع لكنه في الحقيقة هو عدو عنيف ومدمّر، وهدفه تفجير المجتمع المسئول من الداخل، وفي الغالب يكتسب هؤلاء البشر شهرة بسبب خداعهم للناس بالروحانية، وبأن قلبهم على القطيع ولقد تبنّى بولس نفس الصورة بقوله " *لأن مثل هؤلاء هم رسل كذبة فعله ماكرون مغيرون شكلهم إلى شبه رسل المسيح، ولا عجب لأن الشيطان نفسه يغيّر شكله إلى شبه ملاك نور، فليس عظيماً إن كان خدامه أيضاً يغيّرون شكلهم كخدام للبر الذين نهايتهم تكون حسب أعمالهم* "[1]

والسؤال المُلحّ الآن : كيف نتعرّف على النبي الكذاب ؟! ويجيب المسيح على هذا السؤال بمثل آخر إذ يقول" *لأن كل شجرة تعرف من ثمارها* "[2] *فالشجرة الردية تصنع ثمراً ردياً والشجرة الجيدة تصنع ثمراً جيداً* وقول الرب يسوع "*اجعلوا الشجرة جيدة وثمرها جيداً أو اجعلوا الشجرة ردية وثمرها ردياً* " من أكثر الأقوال التي توضح لنا شخصية يسوع وخاصة أنه من الغريب أن نسمع منه القول " *اجعلوا الشجرة ردية وثمرها ردياً* " ولو أخذنا هذا المقطع منفصلاً عن خلفيته لظهر وكأن يسوع يدفع البشر إلى الخطأ، لكن المعنى هنا أن الرب يسوع يقول: إنه يحترم الإنسان الذي داخله كخارجه، أو ما يظهره هو نفس ما يبطنه سواء كان شرّاً أم خيراً، فلو أن الإنسان شرير من الداخل ويعترف للناس بشرّه فهناك أمل في التوبة، أما إذا كان شريراً ويظهر للناس غير ذلك

---

[1] رسالة بولس الرسول الثانية إلى أهل كورنثوس ١١ : ١٣-١٥

[2] إنجيل لوقا ٦ : ٤٤

فهو حالة ميئوس منها إلى حد ما، لذلك يقول يسوع إن الإنسان الواضح مع نفسه والآخرين أقرب إنسان إلى معرفة الله، وهو إنسان ينبغي احترامه على أي الأحوال على المستوى الإنساني .

وفى مرّات كثيرة يبدو الثمر جيداً لكن لأن الشجرة رديئة فسوف ينتهي الأمر بثمار مسمّمة قاتلة، لأنه من فضلة القلب يتكلم الفم .

وهنا نأتي إلى السؤال : كيف نحكم على تعليم ما أنه مزّيف وليس صحيحاً رغم ما يبدو عليه من منطق وجمال ؟!

١ - التعليم المزّيف يبطل وصايا الله

يقول الرب يسوع " *إن أراد أحد أن يأتي ورائي فلينكر نفسه ويحمل صليبه ويتبعني* " والتعليم المزّيف يقول يمكنك أن تتبع الله لكن بدون الحاجة إلى صليب أو ذبيحة، إنه نفس ما فكر فيه قايين عندما فكّر في نفسه أن يقدم لله من ثمار الأرض، لكن هابيل قدم ذبيحةً دمويةً كما علمه آدم الذي علّمه الله كيف يكّفر عن خطيئته، والمشكلة أن أولئك المعلّمين الذين يرفضون فكرة الذبيحة لا يقدمون البديل، فالبديل بالنسبة لهم مجرد الإيمان والتبعية. ويقول الله في هذا "*وباطلاً يعبدونني وهم يعلمون تعاليم هي وصايا الناس*"[1] والبطلان هنا يعني الإلغاء، فالعقد باطل بين هؤلاء المعلمين والله، فالبطلان يختلف عن الفسخ إذ أن الفسخ

---

[1] إنجيل متى ١٥ : ٩

يعترف بوجود عقد سابق تم الغاؤه، أما البطلان فهو اعتراف بعدم وجود العقد أصلاً، وذلك لعيب ما إما في أحد المتعاقدين كالجنون أو القصور أو السفه أو في موضوع العقد نفسه كالاتفاق على أشياء ممنوعة بأمر القانون مثل قتل إنسان أو تهريب مخدرات ... الخ والرب يسوع يقول في هذا أن وصايا الناس (الأنبياء الكذبة) أبطلت وصايا الله أي اعتبرتها غير موجودة وغير شرعية. والعقد هنا باطل لأن أحد الأطراف وهو الإنسان غير مؤهل للتعاقد مع الله لعدم فهمه طبيعة الله وإرادته، فعلى أي الأحوال تم إلغاء وصايا الله لحساب وصايا الناس أو المعلمين الكذبة.

٢ - التعليم المزيف يتعدّى وصايا الله ويجعلها أكثر تعقيداً

فالنبي المزّيف يكون دائماً أكثر تشدُّداً في الوصية ويحملها تفصيلات ومعان أكثر مما تحتمل، فالاهتمام بمواعيد الصوم وكيفيته وطريقة أدائه ومتى يُعفى المؤمن من الصوم ومتى لا يُعفى، وكيف يعوّض الأيام التي لم يصمها. كل ذلك دون أن يتحدث بعمق عن حالة هذا الصائم روحياً وتوجهه نحو الله، إن وصية الله في الصّوم تركّز على حالة الصائم، أما وصايا المعلّم المزّيف أو الكاذب فيركّز على تفاصيل فرعية، ويكون فيها أكثر تشدّداً من حياة وتقوى الصائم نفسه، وهناك البعض الذي يعلّم بأنه يمكن أن يحرم الإنسان المؤمن من مائدة الرب ثم يضع قائمة بأمور تافهة مثل شراء تليفزيون أو فيديو أو بسبب عدم الالتزام بلبس معين للمرأة، وكل هذه ما هي إلا إضافات وتعقيدات

لوصايا الله .. ثم التركيز على شكل المصلّي، وطريقة السّجود، والكلمات المحفوظة التي يجب أن يقولها في صلاته لله ... كل هذه الأمور تعتبر تعدّياً لوصايا الله وجعلها أكثر تعقيداً، ذلك لأنه يهتم بالمنظور والملموس على حساب غير المنظور .. يهتم بالخارج على حساب الداخل يهتم بالشكل دون المعنى .

٣ - التعليم المزيّف يحجب وصايا الله

يقول الرب عن هؤلاء المعلمين أنهم وقفوا في الباب فلم يدخلوا ومنعوا الداخلين من الدخول أي أن تفسيراتهم لوصايا الله انحرفت عن طريق الخلاص الحقيقي، وأعمالهم السيئة عثّرت الناس فلم يدخلوا ولاجعلوا الداخلين يدخلون، لقد حجبوا بتفسيراتهم الغبية وصايا الله عن البشر، والرب هنا أيضاً لا يضع المسئولية على الأنبياء والمعلمين الكذبة فقط، لكنه أيضاً يضعها على الناس الذين يتبعونهم أيضاً ففي إنجيل متّى ١٥ : ١٤ يقول " *اتركوهم هم عميان قادة عميان، إن كان أعمى يقود أعمى يسقطان كلاهما في حفرة* " لذلك هنا دعوة للناس العاديين جمهور المستمعين أن يقوموا بامتحان كل ما يسمعونه في ضوء الكتاب المقدس، ذلك لأنه عندما يسود الجهل يتحكّم المعلمون المزيفون في وصايا الله فيساق الآلاف بل الملايين إلى الظلام دون عودة .

وهكذا نرى أن علاقة الكنيسة (المجتمع المسئول) بإبليس علاقة عداء مستمر وواضح وعلى كل المستويات، فهل يا ترى تنطبق هذه

الصورة على علاقتها بالحكومات التي تعيش في ظلها ؟ !

ثالثاً : الكنيسة (المجتمع المسئول) وعلاقته بالحكومات التي يعيش في ظلها (البعد المكاني)

بقراءتنا الكتاب المقدس نجد تعبيرات كثيرة عن السلطة السياسية والعسكرية التي تحكم، والتي يعيش المجتمع الكنسي في ظلها، ويتبع قوانينها. إنها تلك السلطات التي تتمتع بالقدرة على اتخاذ القرار وتنفيذه في موطن ما وهي السلطة الحاكمة، ويجب أن ندرك هنا أن الحكومات غير المسيحية ليس شرطاً أن تكون شريرة، فهي تمارس عملاً منظماً، فحتى الحكومات الديكتاتورية والمستبدة ما تزال أفضل من الفوضى، ولقد ثبت أن الكنيسة تستطيع أن تعيش وتنمو في ظل الديكتاتوريات أكثر من أن تعيش في ظل حكومة ضعيفة لا تستطيع أن تسيطر على الجريمة أو الإرهاب، ولنأخذ مثالاً على هذا من حكم الناموس ومن الوثنية. ففي رسالة غلاطية ٤ : ٤، ٥ يقول عن الناموس وحكمه " *ولكن لما جاء ملء الزمان أرسل الله ابنه مولوداً من امرأة مولوداً تحت الناموس، ليفتدي الذين تحت الناموس لننال التبني* " فالناموس هنا يعتبر مانعاً من التبنّي، إلا أنه في نفس الوقت صالح ويجب إطاعته .. وعندما ننظر إلى الوثنية وأشكالها البدائية تظل محاولة يجب احترامها للوصول إلى الله قبل الفداء، ففي سفر الأعمال والأصحاح السابع عشر والعدد الثالث والعشرين تحدث بولس إلى الأثنيين من خلال إلههم المجهول قائلاً " *فالذي تتقونه وأنتم تجهلونه هذا أنا أنادي لكم به* ".

ومن هنا نستطيع أن نستنتج بأن المسيحية يمكن أن تتعامل مع الأشكال السلطوية الموجودة مكتشفة ما هو إيجابي فيها، وفي هذا نقول أن هذه الأشكال المتعدّدة من السلطات سواء ملكية كانت أم جمهورية، دينية أم علمانية هي خليقة الله، وأن مشيئة الله أرادت أن يكون في داخل كل إنسان مؤمن شبكة من المعايير الأخلاقية ليقبل السلطة المختلف معها مكتشفاً ما هو إيجابي فيها وصالح لنموه في إطارها ... ورغم اختلاف الفكر المسيحي مع هذه السلطات إلا أنه يؤمن أن هذه السلطات تحت سيادة الله وعنايته الكاملة، ولاشك أن الله يستخدمها لما هو خير ومُرضي أمامه، فتنظيم الدولة وإقامة العدالة وتثبيت القواعد الأخلاقية وحماية العقائد الخاصة والحرية الفردية والفضيلة إنما هي مطالب مسيحية إنسانية عامة ولو لم تقدّرها السلطات الحاكمة لطالبت بها الكنيسة، ولو فُرض وحكمت الكنيسة دولةً ما فلن تحكم بغير هذه الثوابت. ويقول بولس عن هذه الكيانات أنها في جوهرها أجزاء من الخليقة الصالحة، فلا يمكن أن يكون هناك مجتمع دون وجود سلطة فيه، فالمجتمع لا يستطيع العيش والاستمرار والنمو بدون سلطة ما، ولكن المشكلة أن بعضاً من هذه السلطات انحرفت عن قصد الله من وجودها، وأصبحت استبدادية حيث أنها تطلب من الفرد والمجتمع ولاءً غير مشروط لا للوطن ولكن للسلطة، وتخلط في المفاهيم بينها وبين الوطن، وتعتبر أن الولاء لها هو ولاء للوطن وخيانتها خيانة للوطن . وهكذا تحدّ حرّية الإنسان وحرية الفكر والانتماء، إلا أنه رغم نقطة الضعف هذه فنفس هذه السلطات هي التي تحفظ كيان الدولة والعالم من التفتّت

والضياع وهي التي حفظت الكنيسة، وأعطتها هويتها المتميزة، وقدرتها على البقاء، والتلوُّن تحت كل سلطة. وكم عاشت الكنيسة في بعض الدول قبل أي سلطة ما وأثناءها وبعدها، ولنا في الكنائس التي عاشت تحت السلطان الشيوعي مثالاً صارخاً في هذا الأمر. فالعناية الإلهية والحكمة البشرية أعطت للكنيسة القدرة على أن تجمع بين الولاء لله والولاء للوطن بطرق وأنواع مختلفة، فعاشت وأطاعت وانتصرت .

إن عمل الكنيسة في العالم هو التواجد، ووجود الكنيسة نفسه إعلان، وإعلان الكنيسة بإيجابية عن ذاتها يجعلها تمتد وأسلوب كرازتها يمكن أن يتطور حسب نوعية السلطة التي تعيش في ظلها، ولذلك لا يوجد أي داعٍ لمعاداة السلطة أو القيام بعمل يتحدَّى السلطات القائمة، لأن مجرد وجود الكنيسة وامتدادها في عالم تحكمه سلطات هو حقيقة إيجابية يجب التركيز عليها .

إن على الكنيسة أن تبرهن على أنها يمكن أن تعيش متحرِّرة داخلياً وروحياً تحت أي نظام كان، وإن ارتباط الكنيسة القومي لا يمنعها من الارتباط بالكنيسة العامة في كل العالم ككل ومع كنائس القوميات الأخرى في نفس الوقت، وعلى الكنيسة أن تقاوم الظلم الاجتماعي وتحلّل المجتمع والفوارق الاجتماعية من خلال بنيتها داخلياً للعدل الاجتماعي والتعايش بين أفرادها على أساس القيم المسيحية النقية، وعندئذ يستطيع صوت الكنيسة أن يرتفع في المجتمع محذرة من الخطايا الاجتماعية

العامة من خلال صلاة كنيسة تكون حياتها الداخلية إعلاناً عن حكمة الله المتنّوعة، فعندما تكوّن الكنيسة مجتمعاً مختلفاً مسالماً دون عنف لا يعتبر هذا سلبية بل قوة. إن حياة الكنيسة في الأرض ليس مجرد انتظار المجيء الثاني للرب يسوع، ولكنها في انتظار هذا المجيء تتّخذ موقفاً من القضايا المطروحة على الساحة لكي توضّح هويتها، فكل كنيسة تحت أي سلطة تحتاج أن تكرر ما فعلته الكنيسة الأولى عندما رفضت إغراءات العنف عند الغيورين، والوطنية العنترية عند المكابيين، وتواطؤ الهيروديسيين مع الرومان، واختارت الصليب ليس السيف ليكون هويتها. ولذلك نحتاج إلى أن نعود للشعار الذي بدأ به مجلس الكنائس العالمي عام ١٩٤٨ عندما أطلق شعاراً يقول " دع الكنيسة تكون الكنيسة" وعندما تكون الكنيسة هي الكنيسة بمفهومها الكتابي الأصيل سيكون لديها ما تقوله للمجتمع المحيط، وعلى الكنيسة أن تقدم نموذجاً للتعامل مع الاختلافات الداخلية، ثم تنادي بعد ذلك بالمصالحة، فإذا حدث العكس ونادت الكنيسة لمجتمعها بالمصالحة في الوقت الذي تمتلىء هي بالخلافات الداخلية المميتة فقدت مصداقيتها، إن المسئولية الأولى للكنيسة هي إعادة إحياء الإنسان، وهذا لا يتم إلا عن طريق سلوك المنتمين إلى المجتمع المسئول (الكنيسة) بالعطاء والأخذ بالالتزام المتبادل وتحمل مسئولية المجتمع المحيط، فالحياة الإنسانية هي الحياة في علاقات مع أشخاص آخرين، ولما كان عدد الأشخاص الذين في إمكان الفرد أن يكوّن معهم علاقات مباشرة محدداً، فإن أهم ما يجب أن يتعلمه أعضاء المجتمع المسئول هو كيف يمارسون الشركة الاجتماعية في مجتمعات

صغيرة مبتدئاً بأسرهم .

وتستطيع الكنيسة أن تتمّم إرساليتها من خلال الدور النبوي والدور الكهنوتي، فالدور الكهنوتي هو عبادة الله إذ يقول بطرس الرسول "*كونوا أنتم أيضاً مبنيين كحجارة حية بيتاً روحياً لتقديم ذبائح مقبولة عند الله بيسوع المسيح*"[1] فعن طريق حياة العبادة كمجتمع كنسي يكون التجديد الحقيقي له، وعن طريق تجارب هذا المجتمع مع متطلّبات الكمال الذي يطلبه الله منه يستطيع أن تتسّع رؤيته إلى مسئوليات جديدة، وذلك لأن نعمة الله الموهوبة لأعضاء هذا المجتمع من خلال تجسدّ المسيح (الكلمة الأزلي) والكتاب المقدس هما مصدر الضمان والحفظ لصحة المجتمع الأخلاقية .

أما الدوّر النبوي فيتحقّق عندما يتخلّل أعضاء المجتمع المسئول مجتمعهم الواسع من خلال نشاط اجتماعي وثقافي وديني، فهم يمارسون تجديد المجتمع وذلك بغرس قيمهم فيه. فهم يقدّمون فلسفتهم في الوجود من خلال نشاطهم وأعمالهم في المجتمع العام، ثم يعودون إلى بعضهم البعض ليتحدّوا معاً كمجتمع خاص حول كلمة الله ومائدة الرب، ولذلك فعلى أعضاء المجتمع الكنسي ألا يكفوّا عن الترّقي في وظائفهم العامة في المجتمع، وفي طلب أن يكونوا في المراكز العليا وأن يعملوا في كل المجالات السياسية والاقتصادية، لأنه كلما كانت لهم القدرة المتسّعة على

---

[1] رسالة بطرس الأولى ٢ : ٥

التأثير استطاعوا أن يعبرّوا عن القيم والأخلاقيات الكتابية وزادت قدرتهم على تجديد المجتمع كنور للعالم وملح للأرض .

ونستطيع أن نرى تأصيلاً كتابياً لهذا الفكر في قصة تلميذي عمواس في إنجيل لوقا ٢٤ : ١٣ – ٢٥ فقد انتميا هذان التلميذان إلى المعلم يسوع لأجل قضية " الحرّية " وهي قضية وطنية عامة تهم الكافة من اليهود وقد تعلّقت آمالهم بيسوع المحرّر المزمع أن يفدى إسرائيل من الهوان والاستعمار الروماني، ولكن ما حدث هو أن القائد والمحرّر هُزم وصُلب، ومن خوفهم عادا إلى عمواس. وفي هذه القصة نرى الأسلوب الأمثل لحياة المجتمع المسئول في المجتمع والتزامه بقضايا عصره وذلك في أربع خطوات :

الخطوة الأولى : مناقشة الواقع المُعاش

لقد بدأ تلميذا عمواس مناقشة مشكلة تهم كل المجتمع في ذلك الوقت أنها مشكلة العصر السياسية والدينية التي تهم كل أفراد المجتمع صغيرهم وكبيرهم، نسائهم ورجالهم. حتى أنه عندما انضم إليهما يسوع وسألهما " *ما هذا الكلام الذي تتطارحان به وأنتما ماشيان عابسين* "[1] كان رد أحدهما " *هل أنت متغرب وحدك في أورشليم* "[2] أي أن ما حدث يعرفه كل البشر الذين يعيشون في أورشليم بل ويناقشونه فكيف يسأل

---

[1] إنجيل لوقا ٢٤ : ١٧

[2] إنجيل لوقا ٢٤ : ١٨

واحد مثل هذا السؤال؟ ثم بدأ في شرح القضية لهذا الغريب الذي انضم إليهما بكل تفصيل عن يسوع النبي والقائد الذي وضع كل الشعب آماله فيه للتحرير والإنقاذ، كيف قُبض عليه وحوكم وصلب: وفي مرارة شديدة قالا له "*ونحن كنا نرجو أنه هو المزمع أن يفدي إسرائيل ولكن مع هذا كله له ثلاثة أيام منذ حدث ذلك*"[1] وتظهر نظرتهما للمرأة من خلال حضارتهما، فهما لا يثقان في شهادة النساء عن قيامة يسوع ومقابلتهن لملائكة قالوا لهن أنه حي، لكنهما يثقان في شهادة الرجال الذين ذهبوا إلى القبر فوجدوه كما قالت النساء، وإن كانوا لم يقابلوا يسوع ولا الملائكة، وهنا نرى مناقشة المجتمع المسئول (الكنيسة) للواقع من خلال الخلفية الحضارية والمعرفة الكتابية والآمال والآلام التي يعيشها كل المجتمع .

الخطوة الثانية : العودة إلى الكتاب [2]

وهنا أخذهم هذا الغريب وعاد بهم إلى الكتاب وهنا نستطيع أن نرى Semenar يتكوّن من معلّم وكتاب وتلميذين، والمّعلم يبدأ في درسه من موسى، ثم يتبع بالأنبياء وكأن يسوع هنا يقول لهم إن كنتم تريدون فهم الحاضر ورؤى المستقبل فلابد أن تفهموا الماضي جيداً، وكل ما فعله يسوع أنه قدم لهما درساً للكتاب من خلاله أدركوا المعنى الصحيح للتحرير والخلاص، وأن يسوع كان ينبغي أن يتألم ويدخل إلى مجده، وهكذا نرى أنه على المجتمع المسئول أن يحمل كل مشكلات عصره إلى

---

[1] إنجيل لوقا ٢٤ : ٢١

[2] إنجيل لوقا ٢٤ : ٢٥ – ٢٧

الكتاب المقدس، ويعرف ما هو الرأي الكتابي أو الأخلاقيات الكتابية الملزمة في القضية المطلوب مناقشتها. ولا يعني هذا أن الكتاب المقدس لديه حلولٌ لكل مشكلات العصر، لكنه يعني أن الكتاب المقدس يقدّم خطوطاً عريضة أخلاقية من خلاله نتعلم كيف نتعامل مع هذه المشاكل .

الخطوة الثالثة : تحويل الفهم إلى حركة [1]

دعوة الغريب إلى العشاء" *امكث معنا لأنه نحو المساء وقد مال النهار فدخل ليمكث معهما* " وهنا نجد الحركة الواعية والسريعة للمجتمع المسئول، فبدلاً من الاستمرار في الحديث عن الفداء قاموا بعمل ينم عن فهمهم لمعنى الفداء الذي وصلوا إليه مع هذا الغريب، وأحد معاني الفداء الجديدة هي "*كنت غريباً فآويتموني* " أنها عملية تحويل شخص بعيد إلى قريب، إنها حدث اجتماعي، فدعوة غريب على الطعام واستضافته إنما هو التزام بعقيدة الفداء، فهذه الدعوة حوّلت الغريب إلى صديق . وهنا تحّول الحديث عن الحق إلى حق مُعاش، وهنا أيضاً بدأت الأمور تأخذ نصابها، فعند كسر الخبز عرفاه[2] ولنلاحظ هنا أنهما لم يعرفاه في الدرس والمناقشة، لكنهما عرفاه عندما حوّلا الدرس إلى حركة ... إن الذي أخذاه من يسوع الآن ليس مجرد معلومات إضافية ولكن علاقة جديدة ... وهكذا نرى أن الحدث أو القضية نقلتهم إلى التأمل، والتأمل نقلهم إلى العمل والحركة، لكن لم تكن هذه هي الخطوة النهائية .

---

[1] إنجيل لوقا ٢٤ : ٢٨،٢٩

[2] إنجيل لوقا ٢٤ : ٣٥

الخطوة الرابعة : اختفاء يسوع

ماذا يعني إختفاء يسوع هنا ؟ إنه يعني أنه طالما أن الحق قد أصبح واضحاً فإن حركة الكنيسة لا يجب أن تكون حول المائدة، فالحركة في مكان آخر في المجتمع أياً كان هذا المكان، ولقد فهم التلميذان هذا رغم اشتياقهما ليسوع واشتياق يسوع لهما، إلا أن الحركة لابد وأن تمتد إلى مكان آخر فقد كان عليهما أن يعودا إلى أورشليم ... إننا كثيراً ما نقتل عمل الكنيسة عندما نركّز فقط على العبادة والشركة والتي تكون عادةً مرة في الأسبوع، وكأن مكان الكنيسة هو عملها أيضاً. لكننا هنا نرى كيف أنه عند كسر الخبز وتعرّفهم على يسوع كان الانطلاق إلى العالم، فالمجتمع هو المكان الحقيقي للكنيسة كمجتمع مسئول، والذي يعيش فيه الزمن الأطول للتعبير عن حب وعطاء وأمانة يسوع، أما الاجتماع معاً فهو للتزّود بالمعاني وفهم فكر الله من نحو القضايا المجتمعية وأسلوب وحركة المجتمع المسئول في داخل المجتمع الكبير .

فى نهاية القصة يعود التلميذان إلى نقطة البداية التي خرجا منها، لكن الآن كل شيء قد تغّير ويمكن أن نضع هذا الفكر في الشكل التالي :

٥ – العودة إلى المجتمع بمستوى
جديد من الحركة يؤدي إلى
تبني قضايا جديدة

١ – حركة المجتمع المسئول أو الكنيسة في العالم والتزامها بقضايا عصرها تؤدي إلى خبرة،

٢ – يتجه هذا المجتمع المسئول (الكنيسة) معاً لمناقشة الواقع ودراسته بعمق من خلال الأسئلة لماذا ؟ وكيف ؟ ومتى ؟ وإلى أين ؟

٣ – العودة إلى الكتاب المقدس بهذه الأسئلة الناتجة عن الخبرة، والتي تحلل المشكلة للوصول إلى إجابات

٤ – الوصول إلى مستوى جديد من الفهم يؤدي تطبيقه إلى مستوى جديد من حركة الكنيسة (المجتمع المسئول) في المجتمع

وهكذا إتسعت هذه الدائرة ليصل التلاميذ إلى كل العالم، ويأخذون خبرات متعددة جديدة تعود بهم إلى الكتاب ثانية ... وهكذا .

وهذا هو معنى التزام الكنيسة بقضايا العصر وآلام المجتمع، فالحديث عن الفقر في مؤتمر دراسي شئ، والالتزام بالقضية من خلال الالتصاق بالفقراء شيء آخر، فالمجتمع المسئول (الكنيسة) لن يرى يسوع في الدراسة بقدر ما يراه في عيون المحتاجين .

وعلينا أن نتعلّم أن الإنجيل كما يتعامل مع الأخلاق الفردية يتعامل أيضاً مع المؤسسات والكيانات الاجتماعية والسياسية، وليس الأسلوب الأوحد لتغيير المجتمع هو تغيير الأفراد والانتظار عليهم حتى

يأخذوا مراكز مؤثرة في الدولة لتغيير المجتمع، فهذا الطريق عادة لا يصل إلى شيء فعّال على المستوى الجماعي غير أنه بطيء جداً وغير مضمون في النهاية، ولكن ما نحتاج إليه هو إعادة بناء المجتمع المسيحي ككيان يصبح نموذجاً لكل الكيانات المجاورة في ديمقراطيته وتوحّده وفهمه للأمور ومتجسداً في سلوك أفراده في المجتمع . وهنا يقوم المجتمع الكبير بالاعتراف به وإتباع مبادئه العامة، إن التوجّه المسيحي لا يجب أن يكون فقط للأفراد لكن للأمة كأمة، إن المهمّة العظمى التي أرسل فيها يسوع تلاميذه كانت متّجهة للأمة أو المجتمع ككل وسلطاته وليس للأفراد فقط . إنها دعوة لأن يكون المجتمع المسئول أو الكنيسة ضمير المجتمع البشري وخادمه، إنها ناثان لكل داود، وإيليا لكل آخاب ويوحنا المعمدان لكل هيرودس. إنها المعارضة الأخلاقية النظيفة لكل انحراف وكل خطية فردية كانت أم جماعية ... وهنا يجب على الكنيسة أن تكون متدربة التدريب الكافي لكي تعرف متى وأين وكيف تتحرك في الاتجاهات المختلفة والمتّنوعة لكي تحقّق رؤية الله من نحوها في المجتمع الذي تعيش فيه، ولكي تكون لها الخبرة الكامنة لكي تتعّرف على عمل الله في العالم، فالله يعمل من خلال خليقته ككل، وعندما تميّز الكنيسة حركة يده وهي تعمل في العالم عليها أن تعمل في إطار هذه الحركة بكل حسم وأمانة. ومهمة التمييز هنا ليست بالبساطة التي نقولها أو نكتبها، إنما تحتاج إلى بصيرة وفهم ودراية ومناقشة.

وعندما نصل إلى هذه النقطة يخرج علينا من يقول إن لبولس الرسول رأياً مخالفاً لهذا إذ يقول في رسالته إلى رومية والأصحاح الثالث

عشر " *لتخضع كل نفس للسلاطين الفائقة لأنه ليس سلطان إلا من الله والسلاطين الكائنة هي مرتبة من الله* " والمشكلة التي تثيرها كلمات بولس هي إلى أي مدى يخضع شعب الرب لحكومة تتبنّى العنف والقتل كوسيلة لبسط سيطرتها مثل العراق أو تمارس إرهاب الدولة مثل السودان وإيران، أو تستخدم الوسائل البوليسية لقمع المعارضين والأقليّات فبولس الرسول يطالب المجتمع المسئول (الكنيسة) بالخضوع للحكومات لأن كل سلطان هو من الله، والذي يقاوم السلطان يقاوم ترتيب الله وفي المقاومة دينونة، فهل يشارك المسيحي في إرهاب الدولة ؟ وهل يخضع المسيحي للمساومات الأخلاقية للدولة في علاقاتها بالدول الأخرى ؟

ونحن لكي نفهم نص بولس عن الخضوع للحكومة حتى لو كانت وثنية علينا أن نضع بجانب هذا النص الأصحاح الثالث عشر من سفر الرؤيا وفيه الوحش الذي يشير إلى السلطة المدنية والذي يضطهد الكنيسة، فهل تخضع الكنيسة لأوامر ونواه وتوجهّات الحكومة المضطهدة لها، ولنضع بجانب هذين النصين ما قاله يسوع " *أعطوا ما لقيصر لقيصر وما لله لله* " [1]

وعندما نضع كل هذه النصوص بجوار بعضها البعض نستطيع أن نخرج ببعض القواعد العامة التي تضيء لنا الطريق .

أولاً : إن الحكومة التي لا تؤمن بالإعلان المسيحي ليس بالضرورة حكومة شيطانية

---

[1] إنجيل متى ٢٢ : ٢١

فلاشك أن هناك اتجاهاً تقليدياً يعتبر أن إبليس يسيطر على الملوك والرؤساء الذين لا يؤمنون بإله الإعلان المسيحي، سواء كانت بلادهم مسيحية علمانية أو غير مسيحية على الإطلاق، كالحكومة الشيوعية أو الهندوسية أو الإسلامية وهم في ذلك يساوون بين كلينتون ويلتسن وبنظير بوتو، لكننا لو رجعنا إلى كلمات بولس الرسول والتي يطلب فيها من الكنيسة الخضوع للسلطان كان يطلب وبجلاء واضح خضوعاً لحكومة وثنية لا علاقة لها إطلاقاً بالله من أي طريق كان.

ثانياً : إن الخضوع لقرارات الحكومات ليس خضوعاً مطلقاً بلا مبرر، فعندما يقول يسوع *" أعطوا ما لقيصر لقيصر وما لله لله "* فهو يعني أن لكل منهم اختصاص، والولاء يجب أن يكون للاثنين (الله والوطن) وإن الولاء للوطن يكون في إطار الولاء لله بمعنى أن الأمانة في دفع الضرائب للدولة وحفظ ممتلكاتها وأموالها وعدم خيانتها هو جزء من التزامنا بأخلاقيات الله وفي إطارها، وإن كانت هناك بعض البلاد قد عاشت تاريخاً رديئاً ارتبط فيه الوطن بعقيدة معينة بحيث أن المواطن الذي يعتنق عقيدة أخرى تسحب منه مواطنته وكأنه خائن، فإن هذا التاريخ السيء لا يجب أن ينعكس على الحاضر ولا على المعنى الأصيل الذي تعطيه عبارة (الدين لله والوطن للجميع). ولقد تعرّض الهندوس فى بنجلادش للضرب والقتل والتشريد، لأن هندوس الهند وهم الأكثرية هدموا جامعاً في بومباى، وصارت كلمة هندوس مرادفة لكلمة الهند، وبنجلادش مرادفة لكلمة مسلم. فلا يجب أن يكون هناك بنجلادشي أو

باكستاني غير مسلم، وإذا كان غير مسلم فقد انتفت عنـه صفـة المواطنـة، ولاشـك أن الحركـة الوطنيـة فـي مصـر والتـي صـهـرت المسـيحيين والمسلمين معاً فـي بوتقـة واحـدة فـي ثـورة ١٩١٩ وأيضـاً عندمـا ذابـت الفوارق في المشروع القومي الناصري، وعندمـا سـالت الدمـاء المصريـة دون تفريـق فـي حـروب ١٩٤٨، ١٩٦٧، ١٩٧٣ ولتواجـد حركـة ثقافيـة قومية عارمة لا تضع الدين كمعيار لها ثم لوضوح مصرية الكنيسة بكل طوائفها بشكل لا يقبل اللبس أنقذ بلادنا من مثل هذا الفكـر، والـذي طُـرح أكـثر مـن مرّة ومـازال لكـي يعـود بنـا إلـى عصـور الجهـل والظلمـات والتخلّف . ولقد وضـع نحميا حلاً نموذجياً لكيفية الولاء للوطـن فـي إطـار الولاء لله، فعندما عـاد نحميـا مـن بـابل وأخـذ ترخيصـاً مـن الملـك ببنـاء الهيكل المنهدم والمحروق بالنار جاء اليـه ثلاثـة مـن المعـارضين والذيـن يعتبرون أنفسهم وطنيين يحمون مصالح الملك وقوانينـه ووطنيتـه، وقـالوا لنحميا والذين معه ما هذا الذي تفعلون ؟ " أعلى الملك تتمردون " وكـأنهم هم وحدهم والوطنيون، وكانت إجابة نحميا واضحة نموذجيـة معبّرة عـن الولاء لله والولاء للوطن في نفس الوقت، وقال لهـم *" إلـه السـماء يعطينـا النجاح ونحن عبيـده (الملـك) نقـوم ونبنـي "*. بهـذا أعلـن نحميـا أن بنـاء الهيكل نافع للمملكة حتى ولو كان الملك وثنياً، فهذا البناء سوف يعبّر عـن الحرية والمساواة في الحقوق، وهذا يعطي امتيازاً للملك والسلطة العادلـة، والأمر الثاني إعلانه بأنه ينتمي لهذا الملك وحكومته رغم اختلافه معه في الدين، فالسلطة وثنية إلا أنه استخدم كلمة " عبيده "*أي* عبيد الملك، فنحـن ننتمي إليه، ولاؤنا له ونحن وطنيون لن نقوم في يوم مـن الأيـام بتدمير

المملكة، أما الشيء الأخير الذي نقوله لكم، أما أنتم فلن يكون لكم ذكر لا وجود. وفي مستقبل هذا البلد فأنتم الذين تثيرون الفتن وتعتبرون أنفسكم وطنيين أكثر من الآخرين وتحاولون أن تتقرّبوا للسلطة على حساب الآخرين وتستغلون المشاعر الوطنية وسذاجة معظم الشعب لتعلنوا أننا نقوم بعمل ضد الملك، أنتم لن يكون لكم مستقبل معنا لأنكم تخططون لتدمير بلادنا ... ولذلك فإذا تبنّت حكومة مباديء الحرية وحقوق الإنسان، والعدالة الاجتماعية والمساواة، وحاربت الفساد والجريمة والإرهاب فهي بذلك تحقّق مشيئة الله وتعيش وتتّبنى أخلاقيات الله، وهو ما عبّر عنه بولس بالقول في رومية ١٣ : ٣ - ٧" *إن من يقاوم السلطان يقاوم ترتيب الله ... فإن الحكام ليس خوفاً للأعمال الصالحة بل للشريرة ... لأن السلطان خادم الله للصلاح ... لأنه لا يحمل السيف عبثاً إذ هو خادم الله منتقم للغضب من الذي يفعل الشر ... فأعطوا الجميع حقوقهم الجزية لمن له الجزية والجباية لمن له الجباية والخوف لمن له الخوف والإكرام لمن له الإكرام*"

وعلى المجتمع المسئول أن يخضع لهذه السلطة مهما كانت هويتها أو ديانتها، أما إذا قامت السلطة بهدم كل ما سبق وعاشت أخلاقيات الفساد والتفرقة الدينية والعنف الجماعي أو إرهاب الدولة فلا يُطلب من أحد مهما كان أن يخضع لمثل هذه السلطة .

ثالثاً : إن عدم الخضوع للسلطة الفاسدة لا يعني الثورة والتمرد

عندما ترفض الكنيسة الخضوع لحكومة ما بسبب الفساد أو الإرهاب أو عدم تحقيق المساواة والعدالة الإجتماعية فلا يعني هذا أن تقوم الكنيسة بعمل تمرّد أو ثورة شعبية، لكن على الكنيسة أن تعبّر عن نفسها بعدّة طرق كالتالي:

١ - أن تقيم الكنيسة صلوات وتضرعات لأجل الحكومة أو السلطة لكي يرشد الله هذه الحكومة أو السلطة إلى ما هو لخير ولصالح الوطن الذي تحكمه والشعب الذي تسوده، وهذا ما قاله بولس لتيموثاوس " *واطلب أول كل شيء أن تُقام طلبات وصلوات ابتهالات وتشكرات لأجل جميع الناس لأجل الملوك وجميع الذين هم في منصب لكي تقضي حياة مطمئنة هادئة في كل تقوى ووقار* "[1]

وهذه الصلوات تُقام بصفة خاصة وبكثرة وبإعلان عنها عندما تتّخذ هذه الحكومات قرارات غير موفقّة أو غير عادلة .

٢ - أن تعلن الكنيسة رأيها من خلال الصحفيين والإعلاميين الذين يتفقّون مع رأي الكنيسة، خاصة من الذين لا ينتمون إليها، فلاشك أن القرارات غير الموفقّة لأى حكومة تثير الاعتراض من الكثيرين الذين يعيشون الوطن بكل جوارحهم. لذلك على الكنيسة أن تشجع هؤلاء للتعبير عن رأيهم، وأن تعلن هي رأيها بوضوح سواء من خلالهم أو من خلال

---

[1] رسالة تيموثاوس الأولى ٢ : ١ ، ٢

صحافتها وأبنائها الذين ينتمون إليها ويعملون بمناصب عامة، وهذا ما فعله يوحنا المعمدان عندما أعلن لهيرودس خطأه بزواجه من امرأة أخيه، فالكنيسة هنا تعبّر عن ضمير المجتمع .

٣ - أن تحمل الكنيسة الصليب وتسير به إلى الجلجثة

وهذا يعني المقاومة السلبية، فالكنيسة لكي تتخذ موقفاً صحيحاً عليها أن تعلن رأيها كما قلنا آنفاً، لكن إذا لم تدرك السلطة خطأها، وكان القرار يمس حقوق ومواطنة الكنيسة أو نشاطها وعبادتها وتحرّكها، فليس على الكنيسة إلا أن تحمل صليبها، وتتحمل الألم انتظاراً لميلاد جديد، ولقد حدث هذا كثيراً في تاريخ الكنيسة .

٤ - أن ترفض الكنيسة ما يُسمى بالحكومة الإلهية

أي الحكومة التي تتلقّى أوامرها من الله مباشرة، ومثل هذه الحكومة لم توجد بعد رغم ادعاء بعض الحكومات في الماضي بالحكم بالسلطان الإلهي، ورغم دعاوى بعض الحكومات الحالية بالحكم حسب شرع الله، والمشكلة في هذه الحكومات أنها لا تقبل المعارضة لأنها تضع نفسها والله في جانب واحد، فإذا انتقدتَ القرارات الصادرة منها فأنت تنتقد الله أو شرعه، وهنا تأتي الديكتاتورية المغلّفة بالدين لتقتل وتعذب وتشرّد باسم الدين .

إن أيةِ حكومة تحقّق لشعبها الحد الأدنى من مطاليب الله لها من عدالة وحرية ومساواة وأخلاقيات يمكن لها أن تدّعي برضاء وموافقة الله

عليها، لكن لايمكن أن تدّعي أنها آتية من عند الله، أو تـأخذ منـه الأوامر مباشرة، أما إذا فشلت الحكومة في تحقيق مهامها المكلفة بها والتي من خلالها يرضى عنها الله ويوافق عليها، هنا تفقد سلطانها وعلى الكنيسة أن تعلن بأن هذه الحكومة أصبحت ظالمة لا لأنهم ضد مثل هذه الحكومة في شكلها أو هويتها أو ديانتها، لكن لأنهم يؤيدون الحكومة الطاهرة المنضبطة .

فعلى الكنيسة أن تحسم الصراع بين الأمانة الشخصية والمسئولية الاجتماعية، فالمسئولية الاجتماعية للكنيسة جزء من الأمانة الشخصية، وليس ضداً لها كما يعتقد البعض، وإذا لم تقم الكنيسة بمسئوليتها السياسية والاجتماعية فهذا يعني أن هنالك نقصاً واضحاً في أمانتها الذاتية نحو إلهها .

خاتمة :

وهكذا نرى أن الكنيسة ترتبط بعلاقات متشابكة لا يمكن تجاهلها، فتاريخياً لابد وأن تحدّد علاقتها بإسرائيل شعب الله القديم حيث انتهى دوره واحتوت الكنيسة داخلها أعضاء هذا المجتمع السابق الذين آمنوا بشخص المسيح كالمسّيا المنتظر، أما الذين رفضوه فمازالوا يبحثون لأنفسهم عن دور بعيداً عن الكنيسة ومضاداً لها، وأما من الناحية الغيبية فعلاقة الكنيسة بإبليس علاقة عداء واضح منه، وتحاول الكنيسة القضاء على منابع الشر ونتائجه، بينما يحاول إبليس تحطيم الكنيسة بطرق مختلفة

ومتعدّدة، لكن الانتصار النهائي سيكون للكنيسة. أما علاقة الكنيسة بالمكان أو الدولة التي تعيش في ظلّها فهي علاقة لها طبيعة مختلفة، فهي ليست في عداء معها كابليس، وليست في رفض لها كعلاقتها بإسرائيل كالشعب القديم، ولكن علاقة مصالحة مع الحكومات طالما تقوم هذه الحكومات على شرعية العدالة والديمقراطية والحرية وحقوق الإنسان، فالكنيسة هنا هي الضمير الصالح للمجتمع .

الباب الخامس

الكنيسة والمصير

الكنيسة بين التجدّد والتجمّد والاغتراب

بعد أن تعرّفنا في الأبواب السابقة على نشأة ونوعية المجتمع الكنسي والعلاقات الداخلية والخارجية، نأتي الآن لنتحدث عن المصير الذي ينتظر هذا المجتمع، هنالك تعبير مشهور يقول " تجدَّد أو تبدَّد "، وقد استخدم هذا التعبير د. أحمد شوقي أستاذ الوراثة في جامعة الزقازيق في مؤتمر الهيئة الإنجيلية للخدمات الاجتماعية عن عصر المعلومات في الغردقة صيف ١٩٩٥ والمقصود منه أن المؤسسة التي لا تتجدَّد سوف تتبدَّد وتنتهي بالتأكيد . وسوف نفرد هنا ثلاثة فصول: الأول عن التجدُّد، والثاني عن التجمدُّ : أما الأخير فسيكون عن الاغتراب.

الفصل الأول

الكنيسة والتجدُّد

والسؤال الذي نحتاج الإجابة عليه هو ما الذي يجب أن تكون عليه الكنيسة في القرن القادم؟ هل يوجد شكل معين يجب أن تكون عليه الكنيسة أم ماذا ؟ !

ولكي نجيب على هذا السؤال علينا أن نعود إلى الكتاب المقدس

لنقيم الحوار، ونحاول أن نستشرف المستقبل في الشكل المطلوب للكنيسة، ولكي نحقِّق هذا يجب علينا العودة إلى الأشكال التي اتخذتها الكنيسة أو المجتمع المسئول من قبل .

أولاً : الخيمة

لقد اتخذ المجتمع المسئول الأول شكل الخيمة، وعلينا أن ننظر إلى الخيمة باهتمام خاص لأنها المكان الذي حل فيه الله بشكل ملموس . والسؤال هنا لماذا أمرَ الرب بإقامة الخيمة ؟!

لقد كانت الخيمة في العهد الموسوى رمزاً لحضور الله يقول " *فيصنعون لي مقدساً لأسكن في وسطهم*"[1] والفكرة المركزية هنا هي علاقة الله بشعبه، فالله لايمكن أن يحل في قلوبهم بسبب خطاياهم وعصيانهم، لذلك أمر الله ببناء خيمة وأعطى موسى التفاصيل حتى تُصنع كما يريدها الله، وقد أعلن له دقائق الخيمة[2] وهذا الشكل انتهى بمجيء المسيح الذي حقَّق في جسده مفهوم الخيمة .

يقول كاتب العبرانيين " *لأن المسيح لم يدخل إلى أقداس مصنوعة أشباه الحقيقية بل إلى السماء عينها ليظهر الآن أمام وجه الله*

[1] سفر الخروج ٢٥ : ٨

[2] سفر الخروج ٢٦ :٣٠، سفر الأعمال ٧: ٤٤، الرسالة إلى العبرانيين ٨: ٥

لأجلنا "[1] وهذا معناه أنه لم تعد هناك حاجة للخيمة الأرضية " *والكلمة صار جسداً وحل بيننا (أي خيّم) بيننا* "[2] فالمسيح من ناحية هو الخيمة الحقيقية والجماعة المسئولة، وكنيسة الرب جسد المسيح جزء من هذه الخيمة من ناحية أخرى، إذن فضرورة وجود خيمة حرفية انتفت– لماذا ؟ لأن الله الآن يحل مع شعبه وفي قلوبهم بالروح القدس " *ماكث معكم ويكون فيكم* "[3] ، ففي العهد الجديد نرى حلول الله في قلب المؤمن– ليس كرمز –ولكن بصورة ملموسة فالكنيسة هي مسكن الله في الروح " *الذي فيه أنتم أيضاً مبنيّون معاً مسكناً لله في الروح* "[4] .

وهناك بعد آخر أبدي لمفهوم مسكن الله مع الناس، فعندما رأى يوحنا المدينة المقدسة النازلة من عند الله كانت أول كلمات سمعها من العرش " *هوذا مسكن الله مع الناس وهو سيسكن معهم وهم يكونون له شعباً والله نفسه يكون إلهاً لهم* "[5]، وهذا هو معنى المدينة المقدسة حلول الله الأبدي روحياً بصورة حقيقية وكاملة مع شعبه، فالله والإنسان في اتحاد كامل أبدي، وهذا هو المعنى النهائي الكامل لشركة الروح القدس، وهكذا نجد ثلاث مراحل : في البداية حل الله رمزياً بين شعبه، وهذا ما

---

[1] الرسالة إلى العبرانيين ٩ : ٢٤.

[2] إنجيل يوحنا ١ : ١٤

[3] إنجيل يوحنا ١٤ : ١٧

[4] الرسالة إلى أفسس ٢ : ٢٢

[5] سفر الرؤيا ٢١ : ٣

سمّى بالخيمة، ثم حلّ الله بصورة ملموسة في قلوب شعبه بالروح القدس، ثم يحل أبدياً مع شعبه في اتحاد روحي كامل في الأبدية، فالحقيقة الأولى تؤدي إلى الثانية، والثانية إلى الثالثة .

ثانياً : الهيكل

في طريقنا من موسى إلى المسيح نقفز نحو ١٤٠٠ عام من تاريخ شعب الله مروراً بعصر الهيكل في عهد سليمان , ففي هذا العهد حلّ الهيكل مكان خيمة الاجتماع، فهل للهيكل نفس معنى الخيمة ؟ حسب ما جاء في العهد القديم هناك اختلاف بين الخيمة والهيكل، فعندما نقرأ تصميم التّابوت والخيمة في سفر الخروج ٢٥ : ١٠ – ١٤ نجده مُغشّىً بالذهب وعليه إكليل وغطاء من ذهب مظلّل بكروبين، وبالنظر إلى هذا الجّمال نلمس رمز الحضور الإلهي المقدس، لكن من الملاحظ أنه كان على كل جانب من التابوت حلقتان لتدخل فيهما العصي لحمل التابوت، وهذا رمز لله السائر مع شعبه المرتحل، فالله يسكن في خيمة للارتحال مع شعبه في البرية، فالسحابة ستتحرّك في الغد، والتّابوت سوف يُحمل لمرافقة الشعب ... والخيمة رمز لحلول الله مع شعبه، وكل شيء فيها صمم ليكون انتقالها سهلاً، ولم يكن هذا التصميم من أفكار موسى، لكنه كان طبقاً للنموذج الذي أُعطي له من الله، فإذا كانت الخيمة مكان حلول الله فلابد أنها تقدم الجانب الديناميكي من طبيعة الله وشعبه المرتحل المتحرّك، لقد خلق الله لنفسه شعباً مرتحلاً في البرية. انه درس عظيم للشعب قبل أن يستقر في أرض الموعد " *ومتى ارتفعت السحابة عن*

الخيمة كان بعد ذلك بنو إسرائيل يرتحلون ... وفي المكان حيث حلت السحابة هناك كان بنو إسرائيل ينزلون حسب قول الرب "[1]

وعلى عكس الخيمة المتحرّكة جاء الهيكل ثابتاً، والذي فكّر في بناء الهيكل كان داود، وفكّر فيه على نسق الخيمة فلقد كان داود غنياً ويسكن في قصر فخم، ولذلك قال لناثان النبي "*انظر إني ساكن في بيت من أرز وتابوت الله داخل شقق* "[2] وكان فكر داود أنه إذا كان الملك يملك قصراً عظيماً فلماذا لا يملك الله مثله ؟ وهنا أرسل الله لداود قائلاً "*أأنت تبني لي بيتاً لسكناي لأني لم أسكن في بيت منذ يوم أصعدت بني إسرائيل من مصر إلى هذا اليوم بل كنت أسير في خيمة وفي مسكن في كل ما سرت مع جميع بني إسرائيل هل تكلّمت بكلمة إلى أحد قضاة إسرائيل الذين أمرتهم أن يرعوا شعبي إسرائيل قائلاً لماذا لم تبنوا لي بيتاً من الأرز* "[3] ولقد رفض الله أن يعطي شرف بناء الهيكل لداود لأنه كان سفّاكاً للدماء، وأراد أن يبني الهيكل على يد سليمان، وكان تصميم الهيكل مشابهاً للخيمة، وبينما كان سليمان يبني الهيكل جاءت الكلمة من الله " *هذا البيت الذي أنت بانيه إن سلكت في فرائضي وعملت أحكامي وحفظت كل وصاياي للسلوك بها فإني أقيم معك كلامي الذي تكلمت به إلى داود أبيك وأسكن في وسط إسرائيل ولا أترك شعبي إسرائيل*"[4] ولقد

---

[1] سفر العدد ٩ : ١٥ – ٢٣

[2] سفر صموئيل الثاني ٧ : ٢

[3] سفر صموئيل الثاني ٧ : ٥ – ٧

[4] سفر الملوك الأول ١٦ : ١٢ ، ١٣

ساعد الله سليمان في كل شيء وأعلن لسليمان بأنه سيحل في البيت، وسوف يستمر العهد معهم طالما كان سليمان وشعبه أمناء له . لكن بعد فترة معينة عصى الشعب، وكانت النتيجة الطبيعية هي تحطيم الهيكل وسبي الشعب، لقد فكّر الشعب أن الله سوف يحميهم بالهيكل والكهنة رغم عصيانهم وخطاياهم، لكنهم صُدموا عندما رأوا الهيكل ينهار أمام عيونهم، والمفاجأة الأكبر كانت عندما سمعوا صوت الله من خارج الهيكل من خلال صوت الأنبياء في السّبي .

نخلص من كل هذا أن الرّمز الأساسي لحضور الله على الأرض كان الخيمة والهيكل، لأنهما يوضحان كيف يعمل الله في التاريخ، وهناك رموز هامة يشير إليها الهيكل في العهد القديم مروراً بملكوت داود الأبدي كرمز لملكوت يسوع الأبدي، وهذا يبدو واضحاً من خلال المزامير التي عبرّت عن كرسي داود وملكه، والذي لا يقتصر على فترة حكمه فقط، فأورشليم هي المدينة المقدّسة مدينة الملك، والهيكل هو المكان المقدّس لحلول الله، والإشارة هنا للمُلك الأبدي للمسيح، وكل هذا انتهى نتيجة خطايا داود في نسله وفي نسل نسله، وامتلاء المدينة المقدسة بالدّماء، ونهاية العبادة في الهيكل إلى نظام ميت .

ثم جاء الأنبياء المتأخرون ليتحدثوا عن الهيكل برؤية أخروية كرؤيا حزقيال عن الهيكل، وفي وقوف أرميا ضد الإيمان المزيف في الهيكل. ونستمع إلى المعاني العميقة في كلماته "*لا تتكلوا على كلام الكذب قائلين هيكل الرب هيكل الرب هو* "[1]

---

[1] سفر أرميا ٧ : ٤

وهذه النظرة إلى الهيكل كبيت الله ظهرت عندما بدأ بناء الهيكل بعد السّبي، وخاصة في نبوّة حجّي، وذلك عندما أمر الله بتجديد أو إعادة بناء الهيكل قائلاً " *هكذا قال رب الجنود اجعلوا قلبكم على طرقكم اصعدوا إلى الجبل وأتوا بخشب وابنوا البيت فأرضى عليه وأتمجد قال الرب* "[1] ولقد رأى حجي أربع رؤى خاصة بالهيكل حيث كان الهيكل وقتها خراباً والشعب مهتم أكثر ببناء بيوتهم الخاصة، في الرؤيا الأولى يوصيهم الله بإعادة بناء الهيكل وذلك لأن الشعب ترك محبته الأولى، ولأن الهيكل هو رمز لحضور الله، فإهمالهم للهيكل هو إهمال الله نفسه، وفي هذه الرؤى كانت هنالك نظرة أخروية للهيكل وليست زمنية فقط[2] وعندما تحدث حجي عن مستقبل الهيكل لم يتحدث عن المستقبل المادي للهيكل، لكن عن المستقبل الأخروي، إذن فالنقطة المركزية في نبوّة حجّي هي ببساطة أن الناس أصبحوا غير أمناء، ووصية الله هي إعادة بناء الهيكل لإحياء العهد الذي كان مع سليمان، وحتى هذا الهيكل الأرضي ليس له أهمية في ذاته، فحجي يضع له تصوراً أبدياً[3] ورؤية أشعياء لله في سفره والأصحاح السادس لا علاقة لها بالهيكل الأرضي، فقد رأى أشعياء الله في هيكله السماوي، ومن المثير حقاً أن الكتاب لم يذكر أن أشعياء كان في الهيكل عندما رأى الله على الرغم أننا نظن هذا عادة. إذن فنحن نرى الخيمة والصحراء صورة العهد القديم للمجتمع المسئول،

---

[1] نبوة حجى ١ : ٧ ، ٨

[2] نبوة حجى ٢ : ٣ – ٩

[3] نبوة حجى ٢ : ٢١ – ٢٣

أو الكنيسة في التاريخ كشعب الله المرتحل والمتحرّك نحو هدف، ونرى الهيكل صورة لملكوت المسيح الأبدي، والمستقرّ الذي سيتحقق في المستقبل، والاثنان معاً -الهيكل والخيمة- يقدمان معنى سكن الله مع شعبه. لكن ما يهمّنا هنا هو أن كليهما نموذج لشعب الرب المرتحل والمستوطن في نفس الوقت، وأن كليهما كان له تصميم خاص معين .

ثالثاً : الكنيسة (المجتمع المسئول)

مع ميلاد الكنيسة انتهت الحاجة إلى خيمة طبيعية أو هيكل طبيعي، لا يوجد بعد مكان مقدس للذبيحة والعبادة "*لا في هذا الجبل ولا في أورشليم ... الله روح والذين يسجدون له فبالروح والحق ينبغي أن يسجدوا* "[1] فالذبيحة قُدمّت مرة لأجل الجميع، لكن مع بداية الكنيسة كان من الضروري وجود مكان لاجتماع المسيحيين، وكان أقرب مكان لذلك هو المنزل[2] ولقد استمر اليهود الذين قبلوا الرب يعبدون في الهيكل لفترة معينة، ولكن بالتدريج انتهى هذا الأمر بالنسبة لهم ثم خرب الهيكل تماماً عام ٧٠ م . وهذا ما يوضّحه استفانوس في خطابه "*وأما خيمة الشهادة فكانت مع آبائنا في البرية كما أمر الذي كلم موسى أن يعملها على المثال الذي كان قد رآه* "[3] وأيضاً " لكن العلي لا يسكن في هياكل مصنوعات

[1] إنجيل يوحنا ٤ : ٢٠ - ٢٤

[2] سفر الأعمال ٢ : ٤٦ ، ٥ : ٤٢

[3] سفر الأعمال ٧ : ٤٤

بالأيدي "[1] والكلام هنا يبدي بطء فهم اليهود في قلوبهم لأن يعرفوا العلامة الحقيقية لحضور الله، لقد قاوموا الروح القدس بثقتهم في الهيكل المادي، لقد فشلوا في أن يروا يسوع كتحقيق للاثنين معاً الخيمة والهيكل، الملك والكاهن، وكانت هذه نتيجة طبيعية، فالبشر الذين رأوا الله في حجارة الهيكل لايمكن أن يتعرّفوا عليه في جسد بشرى حي "*كان في العالم وكوّن به العالم ولم يعرفه العالم إلى خاصته جاء وخاصته لم تقبله*"[2] لذلك رفضوا يسوع وآمنوا بالهيكل .

كل هذه الأفكار تصل بنا إلى بعض الحقائق الأساسية، فلاهوتياً الكنيسة ليست في حاجة إلى هياكل، ومباني الكنيسة لا تعبّر عن طبيعة الكنيسة الحقيقية، ومعنى سكن الله هو حلول الله بالطبيعة في مجتمع الكنيسة، فالشعب هو الهيكل وهو الخيمة أيضاً، والخيمة لم تُصنع بفكرة بشرية، فالخيمة الآن هي جماعة المؤمنين الذين يسكن فيهم الرب، وهي هكذا أعظم وأكثر كمالاً من الخيمة التي كانت في العصر الموسوي "*وأما المسيح وهو قد جاء رئيس كهنة للخيرات العتيدة، فبالمسكن الأعظم والأكمل غير المصنوع بيد أي الذي ليس من هذه الخليقة* "[3] لذلك فبناء الكنيسة على شكل معين لا سند له، والشعب ليس في حاجة إلى نظام كهنوتي لأن كل المؤمنين كهنة والكل يمكن أن يتّصل مباشرة بالله من أي مكان يوجد فيه وفي أي وقت يشاء. وكلمة "بيت الرب " في العهد الجديد

---

[1] سفر الأعمال ٧ : ٤٨

[2] إنجيل يوحنا ١ : ١٠ –١١

[3] الرسالة إلى العبرانيين ٩ : ١١

لم تُطلق على مكان أو بناء إنما أُطلقت على شعب"[1] وكاهن عظيم على بيت الله "[2] وليس مبنى الكنيسة هو المكان المقدس، لأنه لايوجد مكان مقدّس إنما يوجد فقط شعب مقدس، وليس ثمة أدلة كتابية لشكل بناء الكنائس . وفي الواقع إن تعليم العهد الجديد وخاصة الرسالة إلى العبرانيين يوضّح أن نظام الذبيحة والكهنوت قد انتهى، لذلك فالكنيسة الآن لا تحتاج أن تحتوي داخل مبان لها شكل معين، أو كهنوت جديد، أو ذبيحة جديدة. والحقيقة التاريخية تقول بأن الكنيسة الأولى لم تبن أي مبان للكنيسة، فلاهوتياً وكتابياً لا تحتاج الكنيسة إلى مبان لها شكل خاص . ولاشك أننا لاحظنا في حلول الله في الخيمة ثم الهيكل علامة لسكنى الله، فبالنسبة للخيمة كان الله هو المحرك لشعبه والسائر معهم، وهذا يوضّح لنا طبيعة شعب الرب أي الكنيسة أو المجتمع المسئول، فهم في حالة التغرّب والارتحال المستمر، أما الهيكل فيعبّر عن الوجود المستقر لهذا الشعب الذي طبيعته الحركة، لذلك لم يدع الله الكنيسة أن تبني هياكل، لذلك فمباني الكنيسة هي مكان اجتماع شعب الرب لا أكثر .

وهنا يبرز سؤال : إذن كيف يكون شكل الكنيسة المحلية التي يجتمع فيها شعب الرب ؟ وهل لابد وأن يكون لها شكل واحد محدد في كل مكان أم يختلف الشكل باختلاف المكان والزمان ؟

وللإجابة على هذا السؤال علينا أن نعود إلى الله الحي في حياة

---

[1] الرسالة إلى أهل أفسس ٢ ، تيموثاوس الأولى ٣ : ١٥

[2] الرسالة إلى العبرانيين ١٠ : ٢١

وحركة الكنيســة الحيـةً فـي رسـالة بطـرس الأولـى " *الـذي إذ تـأتون اليـه حجراً حياً مرفوضاً من النــاس ولكـن مختـار مـن اللـه كريـم، كونـوا أنتـم أيضاً ...* " ٢ : ٤، ٥ .

والفعـل " تـأتون " هنـا يثير قضيـة، فهذا الإتيـان يحتـوي علــى حركة، لكن هذه الحركة لايمكن رسـمها علـى خريطـة، إنهـا حركـة نحـو شخص غير مرئي وغير محدود المكان، وطبقاً لذلك فالحركة تجاهه هـي اعتراف الإيمان بحياة ومـوت يسـوع، هـذه الحركـة جـاءت نتيجـة تغيير الفكر بمعان الكلمات، بوسيلة أو بأخرى، وبهـذا التغيـير فـي الفكـر تحـس جماعة المتغيرّين بوجـود اللـه بينهـم، إذن الحركـة الفعليـة هنـا للـه الحـي وليس للإنسان، وطاعة الشعب لوصيته تعبير حقيقـي عـن وجـوده بينهـم، واكتفائهم به، وشهادة واضحة له .

ثـم يكمـل بطـرس قـائلاً "*كونـوا أنتـم مبنيين كحجـارة حية بيتـاً روحياً كهنوتياً مقدساً لتقديم ذبائح روحية مقبولة عند الله بيسوع المسيح*"[1]

وهذا الفكر يتضّح بالسؤال كيف ؟ بمجيء الأحجار المختلفة فـي أشكالها وأحجامها لحجـر آخـر (حجـر الزاويـة.) تبنـي نفسـها فـي نظـام معين، وهذه الأحجار في حركتها تجعلنا نتخيل كيـف يكونـوا معـاً أشـكالاً عجيبة، عندما تكون كل حركة نحو حجر الزاويـة بإنكـار ذات واتضـاع، هذا النظام يخلق فـي الحقيقـة نوعين مـن النشـاط يتفـاعلان معـاً : حركـة

---

[1] رسالة بطرس الأولى ٢ : ٥

الإتيان، وحركة تكوين البناء. والفعل اليوناني هنا (ابنوا أنفسكم) أو "لتبنوا أنفسكم " نجد عمل الإنسان وعمل الله معاً ككل، أو حركة الإنسان وحركة الله معاً، ولا يوجد خط فاصل بين العملين والحركتين .

وشكل الكنيسة هكذا يتكّون على أساس أمرين في منتهى الأهمية، الأول هو تقديم ذبائح روحية مقبولة عند الله بيسوع المسيح، والمقصود هنا العبادة والشركة معاً كجماعة الرب والمجتمع المسئول، وهنا لابد من أسلوب عبادة معين ونظام معين يختلف من جماعة إلى أخرى في الشكل والأسلوب -وأحياناً المضمون- أما الأمر الثاني فيوجد في العدد التاسع " *كهنوت ملوكي، أمة مقدسة، شعب اقتناء لكي تخبروا بفضائل الذي دعاكم من الظلمة إلى نوره العجيب* "

هنا يأخذ المجتمع المسئول أهمية أعظم فالجوهر ليس في النظام الكنسي وأسلوب العبادة لكن قضية فكر عن تكميل شكل البيت من خارج الأحجار الحية أي للشهادة والكرازة "*لكي تخبروا بفضائل الذي دعاكم* " ما يهمنا في كل هذا أن اللوحة تحتوي على صورة بيت غير كامل تحت التشييد، ولذلك يقدم لنا بطرس كنيسة متطورة غير جامدة، كنيسة حية، فهو لا يقدم لنا نظرية ثابتة للكنيسة مثل نظريات العلم الطبيعي، ولكن الكنيسة يمكن أن تتغير وتصلح ذاتها باستمرار، وما يقوله بطرس عن الكنيسة هو التطبيق الأمثل لكلمات يسوع والتي بها أجاب على تساؤلات

الفريسيين " لماذا يتعدّى تلاميذك تقاليد الشيوخ ؟[1] ولماذا يصوم تلاميذ يوحنا كثيراً ويقدمون طلبات وكذلك تلاميذ الفريسيين أيضاً وأما تلاميذك فيأكلون ويشربون "[2] قال لهم يسوع " ليس أحد يجعل خمراً جديدة في زقاق عتيقة لئلا تشق الخمر الجديدة الزقاق فهي تهرق والزقاق تتلف بل يجعلون خمراً جديدة في زقاق جديدة فتحفظ جميعاً "[3]

وهنا يقارن يسوع بين شيء أساسي (الخمر) وآخر ثانوي لكنه ضروري " الزقاق " فالخمر هو الإنجيل، والزقاق هي الأشكال والأساليب والأنظمة التي يقدم الإنجيل من خلالها، فالزقاق تتكّون عندما يلمس الإنجيل الروحي الحضارة الإنسانية، إنها تفاعل الإنجيل مع المكان، فالزقاق (الكنائس·) هي نقاط الاتصال بين العالم والإنجيل، لذلك فهي تختلف من مكان لآخر، وتتجدّد من زمان لآخر، والسؤال الذي يبرز الآن ما هي نوعية الزقاق التي تكون أكثر مناسبة للإنجيل اليوم في عصر ما بعد الحداثة ؟ الحقيقة إن كل جيل يجُرب بنسيان أن الإنجيل دائماً جديد " *ذلك لأنه يقول العتيق أطيب* "[4] لكن مع الوقت تبدأ الزقاق العتيقة في تسريب الإنجيل، ولذلك يتحتّم تغييرها، وقد حدث هذا أكثر من مرة في تاريخ البشرية، فالطبيعة البشرية تحاول أن تبقى جامدة لكن الطبيعة

---

[1] إنجيل متى ١٥ : ٢

[2] إنجيل لوقا ٥ : ٣٣

[3] إنجيل لوقا ٥ : ٣٧ ، ٣٨

[4] إنجيل لوقا ٥ : ٣٩

الرّوحية تتجدّد دائماً، وهذا يبدو غالباً كقانون. ولاشك أننا نلاحظ اليوم وفي كل بلاد العالم إن الأشياء التي نمت حول الإنجيل أصبحت عتيقة، لأنها لا تتفاعل مع تغير، ونمو الحضارة والمجتمع، لذلك يريد الله أن يحطّم الزّقاق ويجعل خمر الإنجيل يجدّد عالم الإنسان ثانية، وليس معنى هذا أن الإنجيل يتغير لكن لأن الإنجيل نفسه هو (الدينامو) الذي ينتج الطاقة لعمل التغيير فالخمر الجديدة يجب أن توضع في زقاق جديد ليست مرة واحدة ولكن باستمرار ودورياً. ويبدو هذا كقانون للحياة، فالحياة تعني التجديد، وقانون الموت هو الجمود. لذلك لا يوجد شكل معين للكنيسة يمكن القول أنه نهائي وكتابي، وهكذا لا مفر أمام الكنيسة سوى التجديد المستمر في الحياة والنمو والتأثير .

الفصل الثاني

الكنيسة والتجّمد

وهنا لابد وأن نتساءل إذا كان الفكر الكتابي الأصيل يتحدث عن أهمية النظام مع أهمية التجديد المستمر كما ذكرنا في الفصل السابق. فماذا حدث في التاريخ الكنسي جعل هذا الأمر - التجدّيد - هامشياً وغير أساسي في حياة الكنيسة، مما وصل بالكنيسة إلى أن تعيش على هامش المجتمع والحضارة؟ سوف نحاول في هذا الفصل العودة إلى الجذور التاريخية لكي نكتشف الأسباب التي أدّت إلى ما وصلت إليه الكنيسة اليوم .

أولاً : الكنيسة من القرن الثاني حتى القرن السادس

فى بداية القرن الثاني بدأ يظهر التركيز على مركزية الإدارة الكنسية، حيث أنه لم يكن هنالك نظام إداري مركزي في الكنيسة حتى نهاية القرن الأول، بل كانت الكنائس شبه مستقلّة. وجزء من هذا النظام المركزي هو الترتيب الهرمي الكهنوتي، النساء يخضعن للرجال، الصّغار للكبار، الجمهور للشّمامسة والشّمامسة للشيوخ، والشيوخ للأساقفة. ولقد اختير الشمامسة لهذا الغرض . وبعد حوالي اثني عشر عاماً من بداية القرن الثاني نجد أن أغناطيوس[1] حدّد النظام بأكثر دقّة فعندما حُكم عليه

---

[1] اغناطيوس واحد من أوائل أباء الكنيسة بعد التلاميذ الإثنى عشر مباشرة وهو أغناطيوس الأنطاكي أسقف أنطاكية (٩٥-١٥٠م) .

بالإعدام رمياً للوحوش في المسرح الروماني عام ١١٧ م تقريباً، وفي طريقه إلى روما لتنفيذ الحكم كتب سبع رسائل. وفي واحدة منها والتي كُتبت لكنيسة سميرنا كتب يقول " لتكن كل الأشياء معمولة بنظام جيد في المسيح دع العلمانيين يخضعون للشمامسة، والشمامسة للشيوخ والشيوخ للأسقف، والأسقف للمسيح "[1] ولقد أوصى أغناطيوس أن لا يحدث شيء في الكنيسة بدون الأسقف سواء المعمودية أو الاحتفالات أو موائد المحبة، أما العشاء الرّباني فيمكن أن يعيّن بدله في حالة غيابه. وفي ذلك العصر كانت كل كنيسة مستقلة ورأسها أسقف أو عدة أساقفة والأسقف هنا يعني ناظر أو شيخ أو قسيس لكن نظام الأسقفية امتد من أسقف لكل كنيسة إلى أسقف لكل مدينة، ثم مجموعة من الأساقفة إلى رئيس لهؤلاء، إلى جسد رئاسي محكم للكنيسة .

والحقيقة أن الذي أوصل الكنيسة إلى هذا أنه كان جلّ اهتمام الآباء في ذلك الوقت هو النظام والوحدة داخلياً، وبحثهم عن نظام لمقاومة البدع والهرطقات خارجياً. ولقد حققّوا هذين الهدفين بنجاح، لكن الثمن الذي دُفع كان غالياً جداً، فلقد خلقوا نظاماً كهنوتياً طارداً للعلمانيين، وبهذا الأسلوب وُضع الأغلبية من المؤمنين خارج النظام .

ثم جاء بعد ذلك إيرينارس (١٣٠ م - ٢١٢ م)

ولقد كان عصر إيريناوس هو عصر الآباء المدافعين (١٥٠ م

---

[1] رسالة أغناطيوس إلى سميرنا

Earl D. Radmacher, *What the Curch is all About*
Chicago II : Moody Press. 1972 . page 30

- ٣٠٠ م) وهؤلاء الآباء هم الذين شرحوا المسيحية ودافعوا عنها ضد الوثنية ونقّوها من الأفكار الغريبة، وبدأوا ما يُسمى الآن باللاهوت النظامي. ولقد كان إيريناوس أسقفاً لليون في جنوب فرنسا من عام (١٧٨م - ٢٠٢ م) ولقد مات شهيداً، وفي عصره تبنّت الكنيسة النظام الطبقي الكهنوتي سواء في كنائس الريف أو المدن أو العاصمة، فقد كانت هنالك كنائس مدن كبرى كأورشليم وأنطاكية والإسكندرية والقسطنطينية وروما . ولقد ركّز إيريناوس على ما يُسمى " الأخطاء وتحريف الإنجيل". ولكي يحفظ الكنيسة كتب مركّزاً على أن الاتحاد العضوي للكنيسة كما هو موصوف في الإنجيل يجب أن يكون له تعبير واضح في وحدة سياسية للكنيسة، ولكي نصل إلى هذه الوحدة السياسية أو الكيان السياسي ونحافظ عليه لابد وأن تكون من خلال نظام وضع الأيدي على الأساقفة أو التسليم، والذي يعود إلى المسيح نفسه. ولقد ركّز في هذا على أن الرسل الاثنى عشر قد تسلموا التعليم من المسيح الذي اختارهم مباشرة، ثم قاموا هم بتعيين من يخلفوهم. ولاشك أنهم سلّموا لهم الحق الذي تسلّموه من المسيح. ويقول إيريناوس " لأن التقليد الذي سُلم إلى الرسل ... والذي وصل إلى روما من أعظم رسولين بطرس وبولس والذي جاء إلينا في وقتنا هذا بواسطة الأساقفة الذين عُينوا منهم، لذلك فمن الضروري والهام أن كل كنيسة محلية يجب أن تخضع للكنيسة العامة ولسلطانها "[1] ولنلاحظ هنا نقطة التحوّل التي صنعها إيريناوس

---

[1] "Irenaeus Against Heresies "3:3:1-2. as quoted by Jim Peterson. Church Without Walls. Navpress. 1992. page 90 .

بتحويل الكنيسة من جماعة الرب إلى مؤسسة. ولقد عبّر عن هذا التحّول التاريخي ديفيد بوش قائلاً " أن النبي صار كاهناً للنظام والكرازة صارت وظيفة، والحب صار روتينياً، والهدف لم يعد العالم كما أوصى المسيح، ولكن صار حدود الكنيسة المحلية "[١]

ثم جاء كبريانوس[٢] بعد إيريناوس ليضيف بأن الكنيسة هي الأسقف والأسقف هو الكنيسة، وأن أي إنسان لا يخضع للأسقف هو خارج الكنيسة وليس منها ... والكنيسة لا يمكن أن تنقسم لأنها مرتبطة معاً بأسمنت الكهنة، والذين يربطون الواحد بالآخر ... وكانت الخطوة التالية لذلك والمتوقعّة هو أنه لاخلاص خارج الكنيسة، وذلك عندما قال أنك لا تستطيع أن تأخذ الله كأب لك إن لم تأخذ الكنيسة كأم .

ثم جاء اغسطينوس أسقف هيبو بعد ذلك، والذي تأثرت بتعاليمه معظم الكنائس ليتحدث عن المدينة السماوية والمدينة الأرضية، وأن الكنيسة هي التي أنتجت الإنجيل، وبالتالي تتحكّم في تفسيره وهي الجسد المرئي للمسيح ولا يوجد خارجها خلاص من أي نوع، وأن المعمودية والعشاء الرباني ضروريان لخلاص الإنسان وبدونهما لاخلاص، ولكن في نفس الوقت لا يوجد ضمان لأي شخص داخل الكنيسة يمارس

---

[١] David D. Bosh . *Transforming Mission*. Mary Knoll. Ny : Orbis Books. 1991 page . 5

[٢] Caprion as quoted by Jim Peterson. page 95.

الفرائض في الوصول إلى السماء، فهذا الأمر بيد الله الذي يختار البشر، وطالما أن الإنسان يعيش في هذا الجسد فهو لا يضمن النهاية. وهكذا ومن خلال هذا اللاهوت أصبحت السماء والجحيم في يد الكهنة وأصبح خلاص الأفراد بين أيديهم .

وإذا كان هذا هو الذي حدث في كنيسة الغرب، فالسؤال المُلح هو ماذا حدث في الشرق في هذه الأربعة قرون الأولى ؟!

الحقيقة أن ما حدث في الشرق لا يختلف كثيراً عما حدث في الغرب، فعندما جاء الرسل الأوائل إلى مصر كانت هنالك معابد وكهنة مصريين. والمسيحيون القادمون كانت لهم خلفية يهودية بعد خراب أورشليم إذ ساروا بمحاذاة البحر حتى الإسكندرية، ولقد بدأت الكنيسة المصرية تحت حكم الإمبراطورية الرومانية الشرقية وانتشرت في الشرق كله وفي الأربعة قرون الأولى انتشرت المسيحية بقوة في شكل قصص ومسرحيات وآداب ... الخ، إلا أن الطابع المؤسسي، والمركزية الإدارية تفشّت بصورة قوية لعدّة أسباب :

الأول : محاولة الكنيسة الوصول إلى صياغة لاهوتية تواجه به ما عُرف بالبدع والهرطقات، ولاسيما الهرطقة الأريوسية[1]، وعندما تتجه الكنيسة في الشرق إلى هذا الاتجاه -خاصة وإن علاقتها بالله علاقة صوفية سّرية

---

[1] جورج بباوى محاضرات ١٩٩٠ ص ١١ ، ١٢

Mystical بين الله والإنسان بيسوع المسيح والروح القدس- فهي لاشك ستضع صياغة لاهوتية في إطار عقلاني مغلق، وهذا الإطار له جانب إيجابي من أجل وضوح الإيمان، لكن جانبه السلبي هو الاختلاف على الكلمات والمصطلحات.

وهنا تصبح المسيحية بقوتها الداخلية الروحية عقيدة يمكن الجدل حولها من خلال النصوص. ولقد بدأ انتكاس اللاهوت الشرقي بالجدل حول الأريوسية، وفي نفس الوقت اتسع تفسير وتطبيق الإكليروس للكلمات فصار التفسير بين أيديهم والسلطان أقوى من ذي قبل، وأصبحت لديهم السلطة في استبعاد من يريدون استبعاده وقبول من يريدون قبوله .

الثاني : قيام حركة مراجعة ما كتبه الآباء أنفسهم لاسيما في الشرق، والمثال الصارخ على بشاعة حركة المراجعة هو الحكم على العلاّمة أوريجانوس، وبداية تحريم كتابات الآباء الذين كتبوا في القرون الثلاثة الأولى، وقد كانت حركة المراجعة هذه تهدف إلى خلق فكر لاهوتي رسمي حول كل الموضوعات المُختلف عليها، ولقد حكم على أوريجانوس بعد ٣٠٠ سنة من وفاته، وتم حرق معظم كتاباته وكانت مشكلة أوريجانوس عندهم هي قوله أنه يجب وضع حد أدنى للاتفاق وترك الباب مفتوحاً للاجتهاد، ولاشك أن حركة المراجعة هذه أغلقت باب الاجتهاد وإلى الأبد في الكنيسة، فقد جبن كل صاحب فكر للتعبير عن رأيه وأصبح الاجتهاد كفراً، وهذا أيضاً أعطى المؤسسة سلطاناً أعظم من ذي قبل .

الثالث : فُصلت الأخلاق المسيحية عن الأساس الخاص بها في الليتورجية (العبادة) وقد أضعف هذا المسيحية وسّهل انتشار الإسلام بعد ذلك، فعندما جاء الإسلام في بداية القرن السابع كانت الكنيسة مؤّهلة فكرياً لقبوله حيث كان هناك فاصلاً ضخماً بين العبادة والأخلاق. وقد أدىّ هذا إلى الجمود، وأحياناً إلى التطرف وإلى قمع الفكر الآخر، يقول الشاعر السرياني يعقوب الروحي " إن الإنسانية الجديدة تحيا في ظلال شجرة الحرية وتأكل من ثمرة الشجرة الوحيدة وهي المحبة، هذه الإنسانية الجديدة لايمكن أن تؤخذ أسيرة وتكبّل بقيود أخلاقية تطالب الإنسان بالجمود وبعدم البحث. الحياة بلا عقيدة هي دعوة مغلقة إلى حياة مغلقة "[1]

بجانب كل ما سبق هنالك التأثير السلبي للحركة النسكية والتي دخلها الكثير من التعاليم الوثنية، وقد صارت الرهبنة مؤسسة قائمة بذاتها تحكم في الكنيسة من خلال الاشتراط على أن يكون الأساقفة ورئيس الأساقفة من غير المتزوجين ويأتون بهم من الدير، مما جعل لهذه الحركة قوتها، ولاشك أن الحركة النسكية بكل ما تعطيه من تأثيرات نفسية وعمليات التطهير والبعد عن العالم كان لها التأثير في الفصل بين العلماني والإكليروس وتقديس الإكليروس وخاصة الرهبان مما فصل الأغلبية العظمى من المؤمنين عن العمود الفقري للكنيسة، وتركّزت كل الأدوار في يد الإكليروس الذين تسلّموا التقليد من الرسل الأوائل، والذين تسلّموها رأساً من مرقس الرسول .

[1] بباوى ١٩٨٩ محاضرة ص ١٨

ومما هو جدير بالذكر هنا أن الأربعة بطاركة الأوائل للكنيسة المرقسية، والذين أتوا بعد مرقس مباشرة كانوا من العلمانيين[1] وهم : أينانوس (٦٨ -٨٣) وميليوس (٨٣ -٩٥) وكرونوس (٩٥ -١٠٦) وأبريموس (١٠٦ -١٥٢) ثم البطريرك التاسع كالاوتيانوس الأول (١٥٢ - ١٦٦) ثم البطريرك الثاني عشر ديمتريوس الأول (١٨٨ - ٢٣٠) ثم في عصر النهضة الفكرية الكنسية جاء ثاونيانوس (٩٥٢ - ٩٥٦) من العلمانيين وغبريال الثاني (١١٣١ - ١١٤٥) ومرقس الثالث (١١٦٦ - ١١٨٩) ثم يؤانس السادس (١١٨٩ - ١٢١٦ م) ومن عام ١٢١٦ وإلى اليوم لم يجلس على الكرسي المرقسي أي علماني.

وهكذا لم يختلف الشرق عن الغرب كثيراً، ولتحليل ما سبق بشكل موضوعي علينا أن ندرك أن تركيز الآباء على المؤسسة وتعضيدهم لها وإعطائها كل هذا السلطان كان بهدف حماية الكنيسة سواء من الهرطقات أو الانقسام، لكن السؤال هو هل كان دورهم هو أن يحموا الكنيسة بأفكار بشرية غير كتابية ؟ لقد صلّى يسوع لأجل الكنيسة قائلاً" *أيها الآب القدوس احفظهم في اسمك - أي بقوة اسمك -... لكي يكونوا واحداً كما نحن حين كنت معهم في العالم كنت أحفظهم في اسمك الذين أعطيتني ... لست أسأل أن تأخذهم من العالم بل أن تحفظهم من الشرير ... كما أرسلتني إلى العالم أرسلهم أنا إلى العالم*"[2] فلم يقل يسوع أبداً أن

---

[1] تقرير الحالة الدينية . مركز الأهرام الإستراتيجي ص ٨٤ - ٨٦

[2] إنجيل يوحنا ١٧ : ١١ - ١٨

المؤسسة هي التي تحفظ شعب الله، إن حفظ الشعب هو دور الخدام والرعاة لكن ليس المؤسسة، والمؤسسة ليست هي الخدام والرعاة، فالمؤسسة هي السلطة الإدارية الهرمية التي تتحكّم في كل شيء وكل فرد، وتحاول أن تسيطر بكل الطرق القانونية وغير الشرعية بحجة الحماية، إن يسوع لم يكن ضد المؤسسة فالمؤسسة ضرورية -كما سنرى فيما بعد- لكن مهّمة حماية شعبه قد أسندت لمن هو أعظم، وهو الروح القدس والذي سوف يحل على شعبه للحماية عندما يعود هو إلى أبيه. فالروح القدس سوف يعلمهم كل شيء ويحفظهم ويقويهم .

ثانياً : الكنيسة والإصلاح

لاشك أن المصلحين غيّروا الخريطة لأجل الإنجيل، وحاولوا تقديم الكنيسة حسب فكر الإنجيل فلقد رفض المصلحون عقائد الخلاص بالأعمال الصالحة وعصمة البابا والكهنوت الخاص بجماعة معينة، وأعلنوا كهنوت جميع المؤمنين، وأعطوا لكل مؤمن الحق في قراءة الكتاب المقدس وتفسيره. وسوف نختار من بين هؤلاء المصلحين جون كالفن (١٥٠٩ م - ١٥٦٤ م) لنتحدث عنه لأنه أول وأعظم من وضع أفكار الإصلاح في شكل منظّم، فعندما كان عمره ٢٦ عاماً ألفّ أول جزء له من The Institutes of Christian Religion في بازل بسويسرا، وقد عرض في كتابه هذا الإيمان المسيحي بصورة عميقة ومنظّمة وواضحة، ولقد كان كالفن يراجع كتاباته باستمرار طوال حياته ويضيف ويحذف، وقد أصدر مراجعته الرابعة والأخيرة عام ١٥٥٩ م .

فى عرضه لموضوع الكنيسة، قال إن الكنيسة الحقيقية لا تتفق أو تتوافق مع أي مؤسسة ظاهرة موجودة اليوم، لكن الكنيسة الحقيقية هي التي تضم جميع المختارين، فهي كنيسة معروفة فقط من الله أما عن الكنيسة الظاهرة فقال إنها توجد حيثما توجد كلمة الله واضحة تعلّم وتُسمع وتمارس الفرائض حسب النظام الذي وضعه المسيح. وفي تعريفه لأعضاء الكنيسة قال إنهم الذين يعترفون بإيمانهم ويمارسون الفرائض ويعترفون بالله والمسيح. ولقد كان كالفن مهتماً بصفة خاصة بالنظام داخل الكنيسة فقد تحدث عن أن الكنيسة بها رسل وأنبياء ومبشرين ورعاة ومعلمين. ويؤمن كالفن بأن الثلاث وظائف الأولى وضعها الله بصفة مؤقتة لظروف خاصة، بينما الرعاة والمعلمين يوجدون حيث توجد الكنيسة في أي مكان وزمان، وهو بهذا يعني انتهاء مهّمة الرسل والأنبياء والمبّشرين. فالرسل هم الاثنى عشر، أما المبشّرون فلا داع لهم وذلك بسبب عقيدة الاختيار والتي تقول بأن الله قد اختار جماعة للإيمان والحياة وأخرى للهلاك .

ويعتقد كالفن أن الكنيسة والدولة يجب أن يكونا معاً، وحاول أن يطبق هذا في مدينة جنيف لتكون نموذجاً لتعاون الكنيسة والدولة، فالدولة تحتاج الكنيسة لتحويل المجتمع إلى الأخلاقيات الصالحة، والكنيسة تحتاج قوة الدولة للإسراع بهذا التغيير .

لكن يبقى السؤال، هل نجح الإصلاح في استعادة المفهوم الكتابي

للكنيسة كشعب الرب الذي أُرسل للعالم للشهادة ؟ هل أعاد المصلحون للمؤمن الفرد مكانته في الخدمة ؟

لقد نظر المصلحون إلى الكنيسة من خلال بُعدين :

البُعد الأول : الكنيسة الحقيقية العالمية، والتي تضم جميع المؤمنين المختارين .

البُعد الثاني : الكنيسة الظاهرة، والتي تجد تعبيرها في الكنيسة المحلية .

لكننا عندما نقارن هذين البعدين مع صورة الكنيسة المُعبَّر عنها في العهد الجديد نجد أن الكنيسة التي يُعَّبر عنها " بالظاهرة " توصف من المصلحين وكأنها مجرد تجمُّع بشرى أكثر منها شيء آخر، كما أننا نجد أن حرية المؤمن في حركته لدراسة الكلمة وتقديم اجتهادة والحوار لم يحدث بعد بالصورة الكاملة فهناك دائماً الأوصياء، وأيضاً لم تتحرر الكنيسة بعد من صورة الكنيسة البابوية، ولكن الفرق هو أن البابوية انتقلت من الكنيسة العامة إلى الكنيسة المحلية، وفي أحد التعبيرات الطريفة عن هذا الفكر قال أحدهم إن البابا يعظ من على المنبر والماما تعزف على البيانو، فلقد أصبح كل راعٍ بابا في كنيسته وكل زوجة راعٍ ماما، لدرجة أنه لكي تجتمع مجموعة من الشباب معاً لدراسة الكلمة لابد من تصريح خاص من البابا ولا يسمح بأى نشاط لا يوافق عليه الراعي أو على الأقل زوجته .

ومن الأمور الملفتة للنظر أن ثلاثة من أربعة أهم حركات إصلاحية وهي اللوثرية والكالفينية والإنجليكانية (الأسقفية) أصبحت كنائس دولة . فلقد أصبحت المشيخية واللوثرية امتداداً للكثلكة في بلادهم، ويمكن أن نقول هذا أيضاً عن الكنيسة الأسقفية، وهنا لم يتغّير شئ، فما زال الإكليروس بأي مسمى (كهنة - رعاة - خدأم - إخوة) يمتلكون الخدمة ولايسمحون لغيرهم للقيام بها. وعندما نتساءل لماذا يحدث هذا ؟ نستطيع القول أن المصلحين كانوا يتعاملون مع الاحتياج الموجود في وقتهم، ولقد نجحوا نجاحاً عظيماً في تغيير عجلة الدوران إلى الأمام طبقاً لإنجيل المسيح، لكن ما صنعوه يحتاج دائماً إلى مراجعة في ضوء تغّير المكان والزمان والإنسان حتى يستطيع الإصلاح أن يستمر، فكلمة Reformation تعني الإصلاح بلا توقّف .

الفصل الثالث

الكنيسة والاغتراب (التغّرب)

بعد أن درسنا التاريخ نحتاج الآن أن نحلّل الواقع. فمصر بها كنيسة أرثوذكسية كأغلبية ساحقة، وهي كنيسة تقليدية في تاريخها وحاضرها، ويوجد بجانبها أقلية كاثوليكية وأخرى إنجيلية، وإذا فكّرنا في الشيء الذي يربط هذه الكنائس معاً رغم اختلاف عقائدها نجد أنه نوع من الاغتراب عن المجتمع الذي تعيش فيه، ونحن هنا لا نستطيع التعميم فهناك أنشطة كنائس تواصلت مع المجتمع وتعيش بلا غُربة، وهناك أفراد من المفكّرين الكنسيين والعلمانيين العاديين الذين يعيشون مجتمعهم بكل ملئه، لكننا نحن هنا نقصد السمة العامّة التي تبدو على معظم القادة وأفراد الشعب فهم يشعرون أنهم غرباء وأن موطنهم ليس هنا في الوقت الذي يشعرون فيه بعدم الانتماء للوطن -ربما بسبب الإحساس بالأقلية- أو الأزمات الاقتصادية التي يعاني منها المجتمع، أو غير ذلك من الأسباب، ولذلك دعونا أولاً نعرّف

مفهوم الاغتراب :

هنالك تعريفات كثيرة للاغتراب، لكن أهمها أن الاغتراب هو الانسلاخ الزمني عن المجتمع، وعدم التلاءم معه أو عدم المبالاة والانتماء (العيش داخل النفس بنفور مقصود أو غير مقصود عن المجتمع) فالمغترب إنسان أو جماعة لا تنتمي إلى الزمن الحاضر، فالنطاق الزمني لديهم مفتوح يتداخل فيه الحاضر مع الماضي، البعض

يعيشها أحلاماً والبعض الآخر يحاول تطويع الحاضر للماضي، وينشأ الاغتراب من عدم القدرة على مواجهه الحضارة والتضارب بين ما نتربّى عليه في الأسرة والمدرسة والكنيسة، وبين الواقع وأهم مظاهر الاغتراب هو فقدان الهوية أو اختلافها، ولكن ماذا تعني كلمة هوية؟ نستطيع أن نفهم كلمة هوية إذا أدركنا الطريقة التي تستخدم بها كلمة عقيدة، فكلمة عقيدة التي كثر استخدامها اليوم دون أن تشير إلى شيء واضح ومحدّد -ومع تحليل الأبعاد الحقيقية لاستخدامها- نرى أنها تستخدم لتكريس قوالب محدّدة في الفكر والسلوك والأخلاق في العبادة والإدارة الكنسية، وتكريس الاختلاف مهما كان ضئيلاً وغير جوهري، مع أن هذا ليس كل مدلول معناها، مما يودي ذلك إلى تبلّد وجمود ينعكس بالسلب علي عوامل التحضّر والتفاعل مع المجتمع المعاصر والآخرين، فإذا كانت كلمة " العقيدة " بهذا المعنى تعّبر عن عمق المشكلة فربما تطرح كلمة الهوية الحل الذي تتحرك به الكنيسة، فالهوية أشمل من العقيدة تحتويها وتتجاوزها .

وأول ما يستوقفنا هنا هو تعدّد أشكال الهوية ومستوياتها، فهناك الهوّية الدينية، والهوية الفكرية اللاهوتية، وهوية الفرد وهوية الجماعة، وغير ذلك لكنها جميعاً لابد وان تُصب في مجرى واحد هو هوية الكنيسة.

وهوية الفرد مرتبطة بالضرورة بهوية الجماعة، فما الفرد بهمومه

ومشكلاته إلا مجرد خيط في نسيج الجماعة ... وهكذا تأخذ المستويات المتعدّدة للهوية شكلاً نهائياً تنفجر معه ينابيع الفهم الحقيقي للواقع الذي تعيشه الكنيسة وصراع متناقضاته . وقبل تعريف الهوية بشكل محدد يجدر بنا الإشارة إلى ما نسميه بالهوية الزائفة والتي فيها يُركّز على جانب دون آخر، وذلك عندما تكون العقيدة هي الهوية. وسوف نضع هنا بعض النماذج، فمثلاً ذلك الصراع الذي لاينتهي على مواهب الروح القدس، ما مدى أهميته وتأثيره على المجتمع العربي المعاصر بكل ما فيه من مشكلات وتناقضات؟ ثم مشكلة الملك الألفي الحرفي للمسيح، أو تحديد مواعيد لمجيء المسيح، أو التركيز على الإيمان الفردي دون الجماعة، أو العكس. ولقد أدّى التركيز على العقيدة كهوية إلى انعزال الكنيسة عن الحياة العامة وخاصة السياسية . وإلى عدم فهم طبيعة العصر الذي نعيشه وتطوره والانفتاح عليه واعتبار كل تطور خطية، وأدى أيضاً إلى عدم فهم مسئولية الأقلية تجاه المجتمع التي هي جزء منه، ونتيجة لهذا الوضع الذي تعيش فيه الكنيسة من قرون طويلة ظهرت في الخمسين سنة الأخيرة بدائل للكنيسة أذكر بعضها : ظهرت فكرة الهيئات الأجنبية Para - Churches أي حركة موازية للكنيسة ومساعدة لها، لكنها في الحقيقة هي بديل ظهر نتيجة لتجمّد الكنيسة، ثم ظهرت المجموعات الصغيرة التي تجعل من نفسها كنيسة وتكسر الخبز معاً، وهذه الحركة تنتج اختباراً مسيحياً غير صحي أهم ملامحه الإحساس بالتقوية ودينونة الآخرين. ثم أخيراً ظهرت الحركة الكارزماتية وهي حركة قوية في إعلانها، وفي تدريب المواهب الروحية، لكن عيبها أنها ضعيفة كتابياً

وكل هذا يعبّر عن هوية منقوصة لأنها تركّز على جانب واحد دون الآخر، فإذا ركّزنا على هوية الفرد فقط أو على العمل الاجتماعي فقط كهوية تكون الهوية مزيفة أو منقوصة .

ونعود الآن إلى الهوية في مفهومها الصحيح، فنرى أن الأبعاد الحقيقية للهوية تتشكّل خلال ثلاثة محاور رئيسية تنغرس هذه المحاور في باطن الفرد، وتربط بينه وبين الجماعة الصغيرة التي ينتمي إليها والتي ترتبط بالجماعة الكبرى، وهذه المحاور الثلاثة على وجه التحديد :

١ - التاريخ العام للكنيسة في إطار تاريخ الوطن والعالم .

٢ - مكانة الكنيسة على خريطة الوطن والعالم .

٣ - وحدة الهموم والأهداف .

أو بتبسيط أكثر تتكّون الهوية من تاريخ (تراث) - جغرافيا (مكان) - فلسفة أو لاهوت (عقيدة) .

وقبل أن نتكلم عن هذه المحاور التي تكّون الهوية بالتفصيل، هناك علامات ظاهرية توضّح إن كانت الكنيسة في مصر متغّربة أم لا، وعلى أساس هذه العلامات نقيس هل فقدنا هويتنا أو نعيش متغّربين ؟ !

العلامة الأولى : الحضور

هل للكنيسة حضور في مجتمعها ؟، بمعنى هل لها دور أو تأثير المجتمع؟ وإلى أي مدى

العلامة الثانية : التعبير عن الذات

هل تعبّر الكنيسة عن ذاتها بطريقة صحيحة ؟ هل رجل الشارع غير الكنسي أو غير المسيحي يستطيع أن يفهم لغة الكنيسة أو المصطلحات المستخدمة داخلها مثل نعمة - خطية ؟ بل هل يستطيع أن يقرأ المجلات الكنسية الصادرة ويفهم ما يقرأ. إن اللغة المستخدمة داخل الكنيسة لايمكن إدراكها إلا للكنسيين، ولذلك يبدو وكأنهم يتحدثون لغة غريبة .

العلامة الثالثة : الامتداد

هل الكنيسة تمتد أم لا ؟ وهل تنكمش الكنيسة وتتراجع؟، فعندما كانت الكنيسة حركة ورسالة استطاعت أن تمتد، لكن عندما تحوّلت الكنيسة إلى مؤسسة تراجعت الرسالة على حساب المؤسسة . .

فعندما يكون للكنيسة حضور، وتعبير صحيح عن الذات، وتفاعل مع العصر، وامتداد يكون هذا نتاج هوية واضحة المعالم وعدم إحساس بالغربة، وعندما تفقد كل هذا أو بعضه تكون كياناً بلا هوية وتعيش الاغتراب .

إن المشكلة الحقيقية في مصر ليس هو مجرد اغتراب الكنيسة، لكن عدم اعتراف الكنيسة بأنها مغتربة، لأنه لو اعترفت الكنيسة باغترابها لكان هذا أول درجات الحل للمشكلة، لكن الحقيقة أن الكنيسة لا تعترف

باغترابها، بل تبرر هذا الاغتراب بتبريرات لاهوتية مما يجعل المشكلة أكثر تعقيداً .

وسوف نحاول شرح مظاهر اغتراب الكنيسة، مع محاولة فهم الخطاب التبريرى لهذا الاغتراب .

مظاهر اغتراب الكنيسة	الخطاب التبريري
١ - الجهل بالتاريخ سواء تاريخ الكنيسة العام أو تاريخ الوطن الذي نعيش فيه .	عدم أهمية ذلك للحياة الروحية، فنحن غرباء ووطننا هو السماء، ولذلك لابد أن نهتم بالروحيات أكثر من التاريخ الأرضي .
٢ - الجهل باللاهوت - تحكّم الإكليروس مع تهميش العلماني - التوتّر بين العلماني والإكليروس وانحراف مفاهيم : التجسّد - الحب ... الخ	الاهتمام بالعبادة (الطقس) على حساب اللاهوت-الاهتمام بالتكنيك أي كيف نفعل هذا ؟ وليس لماذا نفعل هذا ؟ لذلك فالطقوس تُمارس دون إدراك المعنى من وراءها .
٣ - إهمال الثقافة ... تهميش المثقفين وعدم الاستماع لهم أو حتى محاورتهم، بل طردهم من الكنيسة وحرمانهم .	الاكتفاء بشعارات كتابية، فالكتاب يجيب على كل قضية، وفيه كل ما نحتاج إليه من علم وطب وجغرافيا ... الخ فلا مكان للثقافة أو المثقفين .

٤ - غياب عن المجتمع (المكان وخريطة المجتمع المحلي والعالمي) .	الكنيسة تحفظ نفسها حتى لا يدخل العالم إليها بكل شروره ومفاسده .
٥ - غياب الإبداع الفكري ... رفض كل تجديد، واعتبار كل إبداع لاهوتي معاصر تطاولاً على تراث الكنيسة في الوقت الذي فيه لم يدّع أبناء الكنيسة ولاهوتيتها أن لا توجد أجيال جديدة بعدهم.واقتصر التجديد على الوعظ والمعاني، وهذا ليس تجديداً أو إبداعاً فكرياً لاهوتياً .	هذه ليست أزمة إطلاقاً ... فاللاهوت الجديد تجده كله في التراث والسلف الصالح، فليس في الإمكان أبدع مما كان، ولاجديد تحت الشمس، ونحن نحتاج للعودة للعصور الذهبية الأولى. لا للتجديد .
٦ - أزمة هوية حادة ... من نحن ؟ أين نحن ؟ إلى أين نتجّه ؟	هوية المسيحي هي المسيحية ببساطة .
٧ - الإكليروس والقسوس والخدّام حفظة الإيمان وهم يقومون بكل العمل عكس فكر الإصلاح .	جهل الشعب وانشغاله عن الكنيسة .

هذا فضلاً عن سقوط الكنيسة في مصر في ثنائيات أفقدتها هويتها تماماً مثل :

أ – الفصل بين ما هو زمني –بمعنى مادي– وما هو روحي ...
والفصل بين مـا هـو زمنـي –بمعنـى عصـري أو الآن –ومـا هـو أبـدي– بمعنى أخروي ليس الآن .

ب – اختلاف تفسير أو تعريف ما هي الأرض ومـا هـي السـماء وحـدود الملكوت أين ؟ وكيف ؟

ج – التّوتر بين العـالم والكنيسـة أو المجتمـع والكنيسـة، ومـازالت مسـألة العلاقة بين الكنيسة والعالم غير مطروحة كقضية لاهوتية وتاريخيـة، فـي الوقت نفسه فهناك مسافة بين الوعي اللاهوتـي والوعـي التـاريخي، نحـن في الغالب أمام ثنائية تظهر في اعتبار الكنيسة في مواجهة العـالم، أو فـي موازاة معه .

إذن كيف تُحل مسألة الهوية ؟ !
دعونا معاً نعود إلى المحاور الثلاثة للهوية: التاريخ، والمكان، والفلسفة.

أولاً : التاريخ (الزمان)

هوية الكنيسة تعنـي تحديدهـا لذاتهـا ولعلاقتهـا بالعـالم. فـي نفـس الوقت تثير الهوية[1] العلاقة مع الماضـي، فالهويـة أمـر ينتمـي إلـى الزمـن الطويل، فهي لاتتشكّل في أحداث الحـاضر لكنهـا تتفـاعل معهـا بـدءاً مـن

---

[1] د. طارق متري . محاضرة مجلس كنائس الشرق الأوسط ١٩٨٨

خبرة الماضي، ماذا يعني الماضي بالنسبة للكنيسة ؟ كيف ننظّمه في وعينا ؟ ماهي مكانته في حياتنا ؟ البعض يعترف بثقل الماضي، وبأن الأوضاع التاريخية للكنائس في مجتمعنا العربي تؤثر في وعيها لهويتها ورسالتها إلى حد كبير بتصرفاتها، لكنهم يشدّدون على اعتماد الأمانة لإنجيل المسيح كمقياس أولّي - إن لم يكن وحيداً - في كل اختبار وحكم.

أما البعض الآخر فيعترف بأن جوهر الرسالة ثابت لا يتغير، لأنه قائم عند كل تصرف أو اختبار، فهناك أحاسيس واقعية من جهة، تقابلها أحاسيس نبوية أو مثالية من جهة أخرى . أما الاختلاف الثاني في الرسالة بين الماضي وتحدّيات الحاضر الكنسي فهو يتركّز في البحث عن مثال في حقبة تاريخية يجب الاقتداء بها، وإذا اعتبرنا أن هذه الحقبة بدأت بالرسل فالسؤال الأهم متى توقّفت ؟ هل في مجمع أفسس أم عند انتهاء المجمع المسكوني السابع ؟ أم أنها تستمر في تواصل أم في تُقطع ؟ وهل الحقبة المثال لها حدود تاريخية نستطيع حصرها والاشارة إليها بدقّة أم هي تندرج في زمن الكنيسة الذي يخترق الزمن العادى بمعنى مجموعة الأحداث والأشخاص التي توضح عمل الروح القدس في حياة الجماعة المؤمنة .

إن هذه الاختلافات وغيرها توجد في صلب موقف المسيحيين في بلادنا من ماضيهم، وهي من هذه الزاوية مؤثرة في إدراكهم لرسالتهم في مواجهه تحدّيات الحاضر .

وهنا تثار مشكلة التقليد أو التراث. والسؤال المطروح الآن هو كيف يتغذّى المسيحيون من تراثهم من غير الوقوع في أسره[1] خاصة وأن بعضاً من العودة إلى التراث تتحكّم به خصوصية لغوية وثقافية، أو شبه ثقافية تبدو وكأنها هروب من مواجهة تحوّلات تاريخية هائلة أو اختيار في زمن توقّفت مسيرته، إن تجاوز مشكلة التقليد والتجديد من جهة أولى واستيعاب التراث بين الأصالة والمعاصرة يستدعيان تعاملاً مع التاريخ من نوع جديد . وعلينا أن ندرك أن منطلق الإدراك الدقيق لما هو كنسي هو الاعتراف بخصوصيته. في الوقت الذي فيه ندرك أن التاريخ الاجتماعي والسياسي والثقافي للجماعة المسيحية ليس منفصلاً عن التاريخ العام للوطن، وهذا الفكر يحصننا ككنيسة مصرية ضد ما يسمى بالتاريخ المنفصل .

إن المعرفة بالتاريخ بشكل موضوعي ليس سهل المنال، لكنه في منتهى الأهمية لكشف واقعنا الحالي، ولا يوجد إدراك للهوية وتخطيط للمستقبل دون مواجهة لهذا الواقع وقدرته على الإحاطة بمختلف مكّوناته ومؤثّراته، إن معرفة التاريخ تفترض الحرية كما ذكرنا من قبل في بداية هذا الباب، إن معرفة التاريخ تثير مسألة عقلنة الحياة الكنسية حتى نخفّف من آثار تقلبات الأمزجة وضبطها للنزعات الاستبدادية عند أهل السلطة داخل كل جماعة مسيحية[2] .

---

[1] طارق متري د . نفس المرجع السابق.

[2] طارق متري د. نفس المرجع السابق.

إن عدم فهم التاريخ بشكل موضوعي جعل الكنيسة متغّربة في الزمان، ويتضح هذا التغّرب في الزمان عندما يعتقد البعض أن كل العالم يعيش في زنى إن لم يتزوج علي يد كاهن أو بسر كهنوتي معيّن، فالمسلمون والشيوعيون والهندوس والبوذيون والمسيحيون من غير المنتمين لهذه الطائفة واللادينيون ... كل هؤلاء يعيشون في زنى. أليس هذا اغتراب في الزمان ؟

وعندما يتحدث البعض أيضاً أنه لاخلاص خارج عقيدتهم الكنسية الضيقة، فلا خلاص لكل من لا يؤمن بالكهنوت في الوقت الذي يقول فيه الآخر أنه لاخلاص لمن يؤمن بالكهنوت، ولاخلاص لمن لا يعتمد بشكل معيّن وأسلوب معّين. ولكى ينتمي شخص إلى كنيسة أخرى لابد من إعادة معموديته ... أليس هذا اغتراباً في الزمان ؟

عندما ينادى البعض بمُلك للمسيح حرفي لمدة ألف عام من فلسطين، أليس هذا اغتراباً في الزمان ووقوعاً في أسر التاريخ والتراث بدلاً من أن يكون التاريخ منطلقاً للتجديد المستمر ...
إن تعزيز المعرفة التاريخية مع عقلنة الحياة الكنسية شرطان ضروريان، لكنهما غير كافيين من أجل رسالة متجددة في الزمان .

ثانياً : المكان (الجغرافيا)

من خلال الرؤيا التاريخية الواعية يأتي المحور الثاني ... إدراك مكانة

الكنيسة على خريطة الوطن والعالم ... ومدى انفصالها عن الواقع أو إندماجها فيه، هنا نتعرف على إمكاناتنا الفعلية وعلى ما يجب علينا من توجّهات تجاه الكيانات الأخرى التي لابد وأن تتفاعل معها مثل كيان الكنائس المتعدّدة، وكيان الهيئات المسيحية الأخرى، والكيانات الإسلامية والاجتماعية وباقي المجتمع ... إن الذي يقرأ كتابات الآباء خلال الفترة السابقة لمجمع نيقية يكتشف أن خطّاً لاهوتياً وعقائدياً رئيسياً عندهم كان يتمركز حول الفكرة القائلة بأن الإنسان ينتمي إلى الإنسانية الساقطة في آدم الأول وإلى الإنسانية الجديدة في يسوع المسيح، من هنا، ومن وجهة نظر لاهوتية لم يميّز الآباء في تلك الفترة بين الأدب المسيحي والأدب غير المسيحي، فالتمييز يقوم في الاكتشاف الدقيق لما افتدي بالمسيح وما هو بحاجة إلى الفداء، لقد فقدت مدارس اللاهوت منذ الانتصار القسطنطيني فضيلة التمييز، فلقد تم " الحجز الإداري والقضائي[1] على هذه الفضيلة في كليات اللاهوت ... ففي القرن الرابع حدث الخلط بين الإنتماء المسيحي للإنسانية للمكان والحضارة، والانتماء إلى المسيحية الرومانية أو البيزنطية. ولقد كتب باسيليوس الكبير مقاله عن فوائد الأدب الوثني، واعتبر أن إنجازات العقل الإنساني قبل المسيح قابلة للاستخدام بشكل جيد في حياة الكنيسة، ولقد تعمق اللاهوتيون القدماء في دراسة الفلسفة اليونانية والعلوم والفنون التي أنتجتها الحضارات السابقة، إن التكوين الاجتماعي للكنيسة في العهد البيزنطي وعلاقاتها بالسلطة السياسية أدّيا إلى تحريم الكتب الوثنية، وكذلك إلى تحريم مخالطة اليهود

---

[1] جورج بباوي د.محاضرة مجلس كنائس الشرق الأوسط . قبرص ١٩٨٧

بعد أن كان الزواج المختلط (مع الوثنيين ومع اليهود) مباحاً من القرن الأول حتى الرابع .

وقد صدرت حوالي عام ٤٠٠ م تعليمات الامبراطور بمنع الزواج بالهراطقة، وفيما بعد صدر أيام تيودوسيوس قراراً بإزالة المعابد غير المسيحية وبدأ منذ ذلك الحين الفصل بين ما هو مسيحي وما هو غير مسيحي ... وبدأ الاغتراب في المكان ... وقد امتد هذا التغّريب حتى يومنا هذا في علاقة المسيحية بالحضارة التي تعيشها ... وفي علاقتها مع الكيانات الأخرى في نفس الحضارة، ومدى تفاعلها معها، وهل التفاعل على نفس مستوى التفاعل مع الكيانات المسيحية خارج الحضارة أم لا ؟ وعندما يكون أسلوب الوعظ غربياً والموسيقى غربية أليس هذا اغتراباً في المكان .

إننا عندما نتحدث عن مكان نتحدث عن حضارة، والحضارة لغة وثقافة وقيم، ولكل حضارة قيمها الخاصة. فهل نعيش قيم الحضارة الشرقية العربية أم أننا متغربون في المكان .

إن الهوية المسيحية تتأكد من خلال الحضور الإلهي في طبيعة الإنسان، وهذا لا يتحدد في إطار منظومة سوسيولوجية لاهوتية بقدر ما هي " عيش " لهذا الحضور، هذا العيش هو في الأساس موقف تحّول في كيان الإنسان الداخلي حتى يصبح على صورة الله، وهذا يتحقق بأصل

الانتماء إلى الإنسانية ككل من خلال الانتماء إلى حضارة ومكان محدد دون اغتراب .

ثالثاً : اللاهوت أو الفلسفة

على الكنيسة أن تجيب وبوضوح عن مفهومها عن ما هو زمني وما هو روحي ؟ ما هو أرضي وما هو سماوي ؟ هل خدمة التعليم أمر روحي أم لا ؟ هل الخدمة الاجتماعية تدخل في الروحانيات أم لا ؟ هل درس الكتاب يدخل في الزمنيات والأرضيات أم لا؟ عندما كانت الكنيسة تتبّنى التعليم والخدمة الاجتماعية في وقت لم يكن غيرها يفعل ذلك كان هذا تعبيراً عن هويتها ورسالتها، وعاشت عصرها أما اليوم فما هو التعبير عن الهوية والرسالة ؟ وكيف يكون ؟

على الكنيسة أن تفلسف التوّتر بين المجتمع والكنيسة، العلماني ورجل الدين، الفكر والعمل .

على الكنيسة أن تترجم اللاهوت إلى حياة :

١ – كيف تعيش الكنيسة فكر التجسّد في العالم العربي (اللغة – الحضارة – الثقافة) بفكر شرقي عربي، لا بترجمة لاهوت وتفاسير الغرب، بل ليكن لنا لاهوتنا الشرقي الخاص بنا، نحن الذين نصنعه، ويأتي نتاجاً طبيعياً من التراث والمكان.

٢ – على الكنيسة أن تجيب على السؤال هل هي تملك الروح القدس أم

أن الروح القدس يملكها ؟

بأي منطق تعيش الكنيسة غريبة في الزمان والمكان دائماً أينما كانت وأينما ذهبت ؟

على الكنيسة أن تخرج من الانزوائية في التاريخ الإنساني، فلكي تعيش زمانها ومكانها لابد من تحقيق المعادلة التالية : معرفة لاهوتية صحيحة + ممارسة لاهوت التجسّد = الالتزام بالتاريخ في الوطن العربي.

خاتمة :

عندما يتحوّل الثبات في الكنيسة إلى جمود مع تغّيرات العصر، فالكنيسة هنا تخون ذاتها، وتخون التاريخ. وتعيش متغّربة على هامشه، ولكن إن كانت تريد أن يذكرها التاريخ فعليها أن تلتزم به وتتجاوزه، فليس عليها أن تغرق في التاريخ (السلفية) وليس عليها أن تترّفع وتنفصل عنه (الروحانية المزيفة) والاثنان ليس من مقاصد السيد الذي قال

" لست أسأل أن تأخذهم من العالم "[1]

عندما تكون المؤسسة في خدمة الرسالة سوف تراعي التاريخ والجغرافيا والفلسفة برؤيا واضحة متكاملة، وسوف تقدم رسالة واضحة ومحددة ومؤثرة، وسوف تكون لها هويتها الخاصة التي لا تتنافى مع

---

[1] إنجيل يوحنا ١٧ : ١٥

الهوية العامة للمجتمع الذي تعيش فيه بل تتآلف معها وتكملها، ولكن عندما ُتسخّر الرسالة لخدمة المؤسسة هنا يكون الدفاع عن الكيان الإداري والمؤسسي، فتضيع الرسالة وتبهت. وبضياع الرسالة تفقد المؤسسة هويتها وسر وجودها أصلاً الذي هو في الأصل رسالة .

وهكذا نرى أنه أمام الكنيسة ككائن حي متحرك ثلاثة طرق :
الأول هو أن تستمر في التجّمد فتموت الأطراف شيئاً فشيئاً حتى ينتهي الأمر بتوقّف القلب، أو تستمر في الاغتراب فتعيش في عالم وهمي من صنعها، ولا تتفاعل مع مقوّمات العصر، وينتهي بها الأمر إلى جماعة متحوصلة تحيط ذاتها بسياج محكم، وتبدأ في الاندثار شيئاً فشيئاً إلى أن تنتهي دون أن يشعر بها أحد . أما الطريق الثالث والذي يحتاج شجاعة وحكمة وقدرة على الحركة فهو طريق التجدّد والتفّاعل مع العصر .
ترى ما الذي ينتظر الكنيسة ؟

هذا ما سوف نحاول أن نتناوله في الباب القادم عن الكنيسة وتحدّي المستقبل .

الباب السادس

الكنيسة وتحدي المستقبل

لكي نضع تصوّراً مستقبليا للكنيسة في القرن الحادي والعشرين، أو بمعنى أخر لكي نضع (أجندة) لكنيسة القرن الحادي والعشرين في مصر نحتاج إلى ثلاثة أمور : الأول هو أن نتعرّف على طبيعة الكنيسة الأصيلة، أو بمعنى آخر طبيعة تكوين الكنيسة، وما يحتم عليها هذا التكوين في علاقتها مع المجتمع الذي تعيش فيه، ثم بعد ذلك علينا أن نعرف طبيعة العصر الذي تعيشه الكنيسة سواء الواقع العالمي أو الواقع المحلي، وعلينا أن نناقش أهمية وجود كنيسة إنجيلية في واقع ومستقبل مصر، ثم في النهاية ونتيجة هذين البحثين نحتاج أن نضع أجندة لكنيسة مصر في القرن الحادي والعشرين، وهو ما سوف نفرد له بَاباً خاصاً وأخيراً في هذا الكتاب.

الفصل الأول

الطبيعة الأصيلة للكنيسة

لكي ندرك طبيعة الكنيسة (المجتمع المسئول- جماعة الرب) نراها مبنية على عمودين : شخص المسيح من جهة، والروح القدس من جهة أخرى، فالمسيح هو الذي أسس الكنيسة، بينما الروح القدس هو الذي يملأها، فالمسيح هو الرأس وبولس يعلن لكنيسة أفسس قائلاً " *ولكن لكل واحد مِنّا أعطيت النعمة حسب قياس هبة المسيح، لذلك يقول إذ صعد إلى*

العلاء سبى سبياً وأعطى الناس عطايا... وهو أعطى البعض أن يكونوا رسلاً، والبعض أنبياء والبعض مبشرين والبعض رعاة ومعلمين لأجل تكميل القديسين، لعمل الخدمة لبنيان جسد المسيح إلى أن ننتهي جميعنا إلى وحدانية الإيمان ومعرفة ابن الله، إلى إنسان كامل إلى قياس قامة ملء المسيح." [1]

ولنلاحظ هنا أن عمل المسيح والروح القدس تداخلا معاً، أو كل واحد منهما يمكن أن يعمل عمل الآخر، أو تبادلا العمل معاً لأجل الكنيسة فالروح القدس هو مصدر الحياة، وشعب الله بدونه لا شيء، وبه كل مؤمن يصبح له عمل ودور في الكنيسة والمسيح هو الرأس وعلاقته بكل فرد على حدة بدون وسيط علاقة مباشرة فنحن "جميعنا لنا فكر المسيح" [2] ولأن المسيح له لاهوت وناسوت فالكنيسة تعيش الاثنين معاً: فكيان الكنيسة إلهي إنساني إذ يشركها المسيح في كيانه الإلهي الإنساني أي في ارتباطه الخاص بالآب، وارتباطه بالبشر. فعلاقة الكنيسة بالمسيح هي على مثال علاقته هو مع الآب، وكما أن الآب أرسل المسيح إلى العالم هكذا أرسل المسيح الكنيسة إلى العالم" كما أرسلني الآب أرسلكم أنا "[3] وكما أنه أحب البشر إلى المنتهى، وبذل حياته من أجلهم أراد لكنيسته أن تقوم بنفس العمل....و لكي ندرك طبيعة الكنيسة جيداً علينا أن نحاول معاً

---

[1] الرسالة إلى أفسس ٤ : ٧-١٣

[2] الرسالة إلى فيليبي ٢ : ٥

[3] إنجيل يوحنا ٢٠ : ٢١

فهم الطبيعة الثنائية لها أو ازدواجيتها. وكلمة (ازدواجية) هنا أو ثنائية لا لا يقصد بها المفهوم السلبي للكلمة، لكنها تأتي بمعنى أن الكنيسة تجمع في داخلها بين عنصرين، والمقصود ائتلافهما معاً في وحدة لا تقبل الانفصال[1]

و سوف نرى هذه الثنائية في عدّة نواحٍ هي:

أولاً :أن الكنيسة تجمع بين السرائر والمعلنات أو (التراث والمعاصرة)

فالكنيسة هنا تجمع في داخلها كل ما أعلنه الله لها من نحو العالم. الإعلان عن الله الخالق الواحد، والإعلان عن الله الفادي الذي أسلم نفسه من أجل العالم، والإعلان عن جماعة الرب والكلمة المقدسة، أو الإعلان عن أسرار الملكوت ...الخ. وهذا هو تراث الكنيسة.

لكن هنالك مازالت سرائر لم تعلن بعد، وهي ما أسماها يسوع (تمييز علامات الأزمنة) أو بمعنى آخر المعاصرة، أي أن الكنيسة تستطيع أن تتحدث عن المستقبل بعيون مفتوحة ليس كتنبوات مفاجئة غير معلومة، لكن بناء على أساسيات قدّمها لها الرب. فهي تعلن مثلا أن الدولة التي لا تراعي حقوق الإنسان والمساواة بين البشر وتزدريبالكرامة الإنسانية سوف تنهار، ولقد حدث هذا فعلاً أكثر من مّرة، ولقد تنبأت الكنيسة بانهيار الشيوعية، وقد انهارت الشيوعية بعد سبعين عاماً، وهنالك سرائر كثيرة عن العالم لم تُعلن بعد، وسوف يعلنها

---

[1] فاضل سيداروس – الأب . من أنت أيتها الكنيسة، سلسلة دراسات لاهوتية. بيروت، دار المشرق، ١٩٩٣ ص٢٥

الله لكنيسته ليس كمعجزات خارقة لكن كتحقيق لمواعيد تؤكد صدق الله من نحو محبته للخير ورفضه للشرّ، فالكنيسة تحمل في داخلها السرائر والمعلنات.

ثانياً : أن الكنيسة تجمع بين التجسّد والصعود

فهي في طبيعتها مثل يسوع *"الذي أخلى نفسه آخذا صورة عبد صائراً في شبه الناس...لذلك رفعه الله وأعطاه اسما فوق كل اسم لكي تجثو باسم يسوع كل ركبة ..."* [1]

و التجّسد هنا يعني أن الكنيسة تخلي ذاتها حتى الموت لأجل العالم الذي تعيش فيه، وعليها أن تتأقلم مع الواقع المحيط فلا تبدو غريبة عنه بل جزء منه كما أخذ المسيح جسد الإنسان ليعيش معنا حسب طبيعتنا دون خطية، ولقد عبّرعن هذا البطريرك اغناطيوس هزيم بطريرك الروم الأرثوذكس بالقول" ليست الكنيسة حدثاً جامداً يبقى هو هو على مّر الأزمان، ولكنها واقع يتكيّف حسب العصور، ويتطّور حسب الحاجات. ويتغّير فيه مركز الثّقل كلما دعا إلى ذلك داعٍ موجب" [2]

و كما أن لوقاً يتحدث عن تجسد الكنيسة" ملكوت الله داخلكم " فبولس يتحدث عن صعودها وهي في الأرض" إن كنتم قد قمتم مع المسيح فاطلبوا ما فوق حيث المسيح جالس" [1]

---

[1] الرسالة إلى فيليبي ٢: ٦-١١

[2] فاضل سيداروس. من أنت أيتها الكنيسة سلسلة دراسات لاهوتية. بيروت، دار المشرق، ١٩٣٣ ص ٢٩

[1] رسالة كولوسي ٤ : ١

والمشكلة أن هنالك كنائس تركّز فقط على تجسّد الكنيسة في العالم وعلى وضعها البشري الزمني، ولذلك تغوص في المجتمع والعمل الاجتماعي دون اهتمام بالجانب الروحي الصاعد. وهناك كنائس أخرى تركّز على جانب الصعود الروحي، وتعتبر أن العالم نجس ولا يجب أن تمسّه الكنيسة، والاتجاهان مخطئان لأن الكنيسة تحتاج إلى الاثنين معاً.

ثالثاً : أن الكنيسة تجمع بين االإنتصار المؤكد في المسيح والإحباط في مصارعة الطبيعة

فالكنيسة هنا تجمع بين القداسة التي صلّى من أجلها يسوع " قدسهم في اسمك " وبين الواقع في جهاد الكنيسة حتى الدم ضد الخطية، عندما نقرأ أسماء التلاميذ الذين اختارهم يسوع للمهمة العظمى نجد أنهم أناسا عاديين يمكن أن تقابلهم في أي مكان. إنهم بشر يخطئون ويصيبون، وهكذا نرى أن سمو المهمة الإلهية لا تتعارض مع إنسانية حامليها، فالله يرى الإنسان والكنيسة في الصورة التي سوف يصيرون إليها؛ لا في واقعها الحالي، فهو كالمثال الذي يرى تمثاله في الصخر قبل أن تمتد إليه أنامله وتخرجه منه، ولقد كان التلاميذ خليطاً عجيباً من البشر فبطرس واندراوس طبيعتهما عكس بعضهما البعض، ويوحنا الواثق عكس توما الشكّاك، ومتّى العشّار الذي باع نفسه للرومان عكس سمعان القانوي أو الغيور المتعصب لدينه وقوميته وهكذا. إنهم مجموعة متباينة رأى يسوع في اختلافهم غنىً لأن كل واحد منهم يستطيع أن يقدّم خدمة بطريقة مختلفة،

يعيشون الجهاد والنقص، يثقون بانتصارهم في المسيح، وهذا هو حال الكنيسة في كل زمان ومكان.

رابعاً : أن الكنيسة تجمع بين التنظيم والقوة الروحية

عندما ما أرسل يسوع تلاميذه أعطاهم قوة قائلاً "*اشفوا مرضىً طهروا برصا أقيموا موتى. أخرجوا شياطين. مجاناً أخذتم مجاناً أعطوا*"[1] لكنه في نفس الوقت حدد لهم مساحة جغرافية لا يتعدّونها" *إلى طريق أمم لا تمضوا وإلى مدينة للسامريين لا تدخلوا بل اذهبوا بالحرى إلى خراف بيت إسرائيل الضالة. وفيما أنتم ذاهبون اكرزوا قائلين انه قد اقترب ملكوت السموات*" [2] فأرض الأمم إلى الشمال سوريه وإلى الشرق العراق وهو يقول لهم لا تذهبوا شمالاً أو شرقاً أو جنوباً إلى السامرة، ركّزوا خدمتكم في الجليل...لماذا؟ لأن القوة الروحية لا تتعارض مع التنظيم وترتيب الأوليات، ولقد وضع الله في الكنيسة أولاً رسلاً، ثانياً أنبياء، ثالثاً مبشرين ثم رعاة ومعلّمين، وهذا التنظيم المؤسس لا يتعارض بحال مع القوة الروحية الممنوحة للكنيسة، والمشكلة التي تعاني منها الكنيسة في مصر أن البعض يركّز على التنظيم ويرفض القوة الروحية بكل أشكالها، بينما ركّز البعض الآخر على القوّة الروحية رافضاً كل تنظيم.

خامساً : أن الكنيسة تجمع بين عظمة الرسالة وبساطة حامليها، أو

---

[1] إنجيل متى ١٠: ١، ٨

[2] إنجيل متى ١٠: ٥، ٦

كمال الرسالة ومجانيتها

لا شك أن دخول ملكوت الله لا يحتاج إلى جهد بشرى" مجاناً أخذتم مجاناً أعطوا" فكون النعمة مجانية لا تعني أنها رخيصة بل تعني أنها كاملة غير ناقصة في شيء، ولا يستطيع أحد أن يدفع ثمنها. ولقد حاول سيمون الساحر في سفر الأعمال أن يشتري مواهب الروح القدس بدراهم، كما حاول جيحزي في القديم أن يأخذ ثمناً للنعمة وكلاهما هلك. إن هذا الكمال الذي تحمله الكنيسة للناس مجاناً بكل إمكانياته لا يتعارض مع حقيقة أن حامليه من الأقليات المضطهدة أو الفقيرة أو البسيطة" *لا تقتنوا ذهباً ولا فضة ولا نحاساً في مناطقكم. ولا مزوداً للطريق ولا ثوبين ولا أحذية ولا عصا. لأن الفاعل مستحق طعامه"*[1]. [EC1]

والمعنى هنا أن الذي يحمل عظمة الملكوت داخله عليه أن يتحرر من سلطان المادة، وهذه ليست دعوة للفقر بل على العكس إنها دعوة لعدم التربح من الرسالة، فالذي يحمل الرسالة يقدمها مجاناً للآخرين، بينما يقوم هؤلاء الآخرون بالاهتمام به، وهنا نضع أيدينا على مفهوم الشركة في الجسد الواحد، في نفس الوقت الذي فيه دعوة لعدم الانخداع بالمظهر، فهنالك بشر بسطاء المظهر، لكنهم يحملون داخلهم إمكانات عظمى، وهناك بشر يلمعون من الخارج وفي داخلهم تفاهة، فالقبور مبيضة من الخارج وداخلها عظام الأموات.

سادساً: أن الكنيسة تجمع بين ملكوت بدأ وبين عدم اكتماله . أي

---

[1] إنجيل متى ١٠: ٩، ١٠

ملكوت بدأ ولكنه لم يكتمل بعد

فالله يعمل من خلال نعمته العامة، فيبارك الحكومات والمؤسسات ومن خلالهم يحجّم الشرّ الموجود في العالم، وقد طلب يسوع من الكنيسة أن تتخلّل هذا العالم كالملح والنور. فالملح له مجال والنور له مجال آخر، الملح يذوب في الطعام بشكل غير مرئي، والنور يسطع بوضوح لكي ينير الظلمة، ومازال يسوع يعمل من خلال كنيسته -النور والملح في العالم- من أجل تقدم الصحة والتعليم، واحترام المرأة وحقوق الطفل والإنسان، وصحة البيئة والتقدم الاجتماعي. ومع كل ذلك لم تأت السماء الجديدة ولا الأرض الجديدة بعد. من خلال هذا تقوم الكنيسة بتحسين العالم، لكن الكمال لم يأت بعد، وهذا هو التوتر الذي تعيشه الكنيسة اليوم من أجل بداية ملكوت لم يكتمل بعد.

كل هذه الأمور التي تجتمع في طبيعة الكنيسة تجعلها تعيش التوتر بين ما هو حادث وما لم يتحقق بعد، أو لم يكتمل بعد، هذا التوتّر الخلّاق هو الذي يجعل الكنيسة دائماً مستيقظة عاملة خلّاقة قادرة على الفعل، فالتوتّر بين المعلنات التي نعرفها والسرائر التي تعلن لنا يوماً فيوماً، والتوتّر بين كون الكنيسة تعيش العالم وفي نفس الوقت تحيا الصعود

و التوتّر بين يقين الانتصار وجهاد الخطية، والتوتّر بين بداية الملكوت وعدم اكتماله بعد. والتوتر في الجمع بين التراث والمعاصرة، هذا التوتّر الخلّاق بطبيعة الكنيسة يدعوها دائما إلى أن تقف مع نفسها في

كل حقبة زمنية معينة لتسأل: ترى ماذا أنجزت؟ وهل كان من الممكن أن يكون الإنجاز أفضل؟ وماذا عن الواقع الذي أعيشه؟ وترى كيف أستطيع تشكيل مستقبلي؟

وبعد أن تعرفّنا على الطبيعة الثنائية للكنيسة نأتي إلى أربعة أبعاد للكنيسة لايمكن أن تُفهم الكنيسة بدونهم جميعاً مجتمعين، وهم اللاهوت والنظام والإرسالية والحياة :

البعد الأول : أن الكنيسة يجب أن تكون مدركة لذاتها ومحققّة لها. (لاهوت الكنيسة)

فعلى الكنيسة أن تفهم ذاتها جيداً، وذلك من خلال لاهوت الكنيسة، فهناك صورتان مزّيفتان للكنيسة ؛الأولى صورة النادي الديني، فالكنيسة هنا مجموعة أعضاء ينتمون لبعضهم البعض ويمارسون نشاطاً دينياً، وتكون الكنيسة فيه كأي نادٍ آخر إلا أن هدف هذا النادى هو أن طبيعة نشاطه دينية، وأعضاء هذه الكنيسة يستمتعون بالقيام بالأمور الدينية معاً كبشر متدينين. فهم يقومون بنشاطات مختلفة لأجل بعضهم البعض وقد تناسوا أن الكنيسة هي المجتمع الوحيد في العالم الذي أُسس لخدمة غير الأعضاء فيه. ولكن هذا لا يجعلنا ننسى أنه من أهم نشاطات الكنيسة هو محبة وتعزية بعضنا البعض، لكن الكنيسة وُجدت أساسا للعبادة معاً والكرازة لمن هم من خارج كما ذكرنا من قبل.

والصورة المزيفّة الأخرى للكنيسة هي عكس صورة النادي

الديني، لكنها صورة مسيحيين غير متدينين فهم رفضوا العبادة الحرفية، وترجموا عبادتهم لله والمسيح من خلال ممارستهم للحب للآخرين وخدمتهم، وهو ما يُسمى بالإنجيل الاجتماعي. لكن هنالك طريق ثالث لفهم الكنيسة والتي من خلالها تصير الكنيسة مسئولة عن العبادة لله وخدمة المجتمع في وقت واحد، وهذه هي الهوية المزدوجة للكنيسة أو التجسّد المسيحي، وبهذا المعنى تتكّون الكنيسة من بشر دعوا من العالم لكي يعبدوا الله ثم أُرسلوا ثانيةً ليشهدوا للعالم، وهاتان صفتان قديمتان للكنيسة أنها مقدسّة رسولية، فهي (مقدسّة) بمعنى دُعيت لعبادة الله و(رسولية) بمعنى أنها أُرسلت إلى العالم. فالكنيسة (مقدسّة) لكنها ليست منفصلة عن العالم و(عالمية) لكنها لا تتّبنى القيم العالمية. فالكنيسة هنا وهي ضمن العالم هي التي تضبط الأمور ونموذج هذه الحياة المقدسة في العالم نجدها في المسيح الذي أخلى نفسه آخذا صورة عبد صائرا في شبه الناس، ومشكلة الكنيسة اليوم هي إما أنها تتطرف ناحية الجسد(الناسوت) أو تتطرف ناحية الروح(اللاهوت). ويقول الأب فاضل سيداروس في كتابه من أنت أيتها الكنيسة " أن الكنيسة القبطية الأرثوذكسية بسبب لاهوت الطبيعة الواحدة توصّلت تدريجياً إلى أن تؤثر الحديث والوعظ والتأمل في لاهوت المسيح على الحديث في ناسوته. ويقول د. جورج بباوى إن الكتاب يعلن لنا أن " الكلمة صار جسداً " أما الكنيسة فتعلن أن" الجسد صار كلمة" فالكنيسة الأرثوذكسية تركّز على اللاهوت أكثر من الناسوت. وهناك الخط المضاد للأرثوذكسية أي التشّديد على الناسوت على حساب اللاهوت، وقد تمادى فيه النظام اللاهوتي

الكاثوليكي"، أما الإصلاح فقد ركز فيه لوثر على المسيحية الروحية، وأضاف اليها كالفن فكر الكنيسة الحقيقية (غير المرئية) التي ليست لها شكل ظاهري، والتي تتكون من المختارين، أي أن اتجاه الإصلاح كان روحياً في مفهومه عن الكنيسة، بينما شدّد اللاهوت الكاثوليكي على المسيحية الجسدية الخارجية. وهنا نستطيع القول بأن كل نظرة من هاتين النظرتين تتطّرف في اتجاه واحد، لكن الكنيسة حسب فكر الله يجب أن تشمل الاثنين معا، فلكي تكمل الكنيسة شهادتها عليها أن تقوم بالأمرين معا حتى تكون هويتها متكاملة.

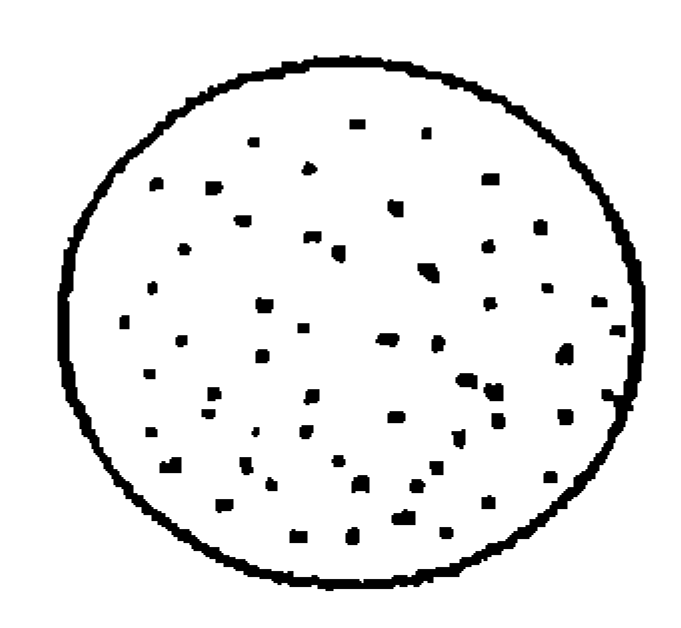
فإذا لم تكن الكنيسة مقدسة وشعب الرب مقدسٌ فلا يوجد لديها ما تقوله إذ هي بهذا تساوم، وإن لم تكن الكنيسة في العالم فلن تجد من تخدمه وتوجه له رسالتها. لذلك فالدعوة للكنيسة أن تكون مقدسّة وعالمية في وقت واحد وبدون هذا التوازن لن تحقق الكنيسة ذاتها.

البعد الثاني: نظام الكنيسة

يجب على الكنيسة أن تنظم كيانها بطريقة بها تعّبر عن فهمها لذاتها، فنظامها يعبّر عن لاهوتها، وخصوصاً هويتها المزدوجة. لقد فشلت الكنيسة لأنها نظمت ذاتها على أن تكون مقدسّة أكثر منها عالمية، عندما بنت حياتها على العبادة والشركة أكثر منها على الكرازة والإرسالية. فالكنيسة المرسلة لا تهتم كثيراً بذاتها أنها كنيسة لأجل الآخرين.. فمركزها خارجها، إنها يجب أن تعيش لأجل الآخر، إن

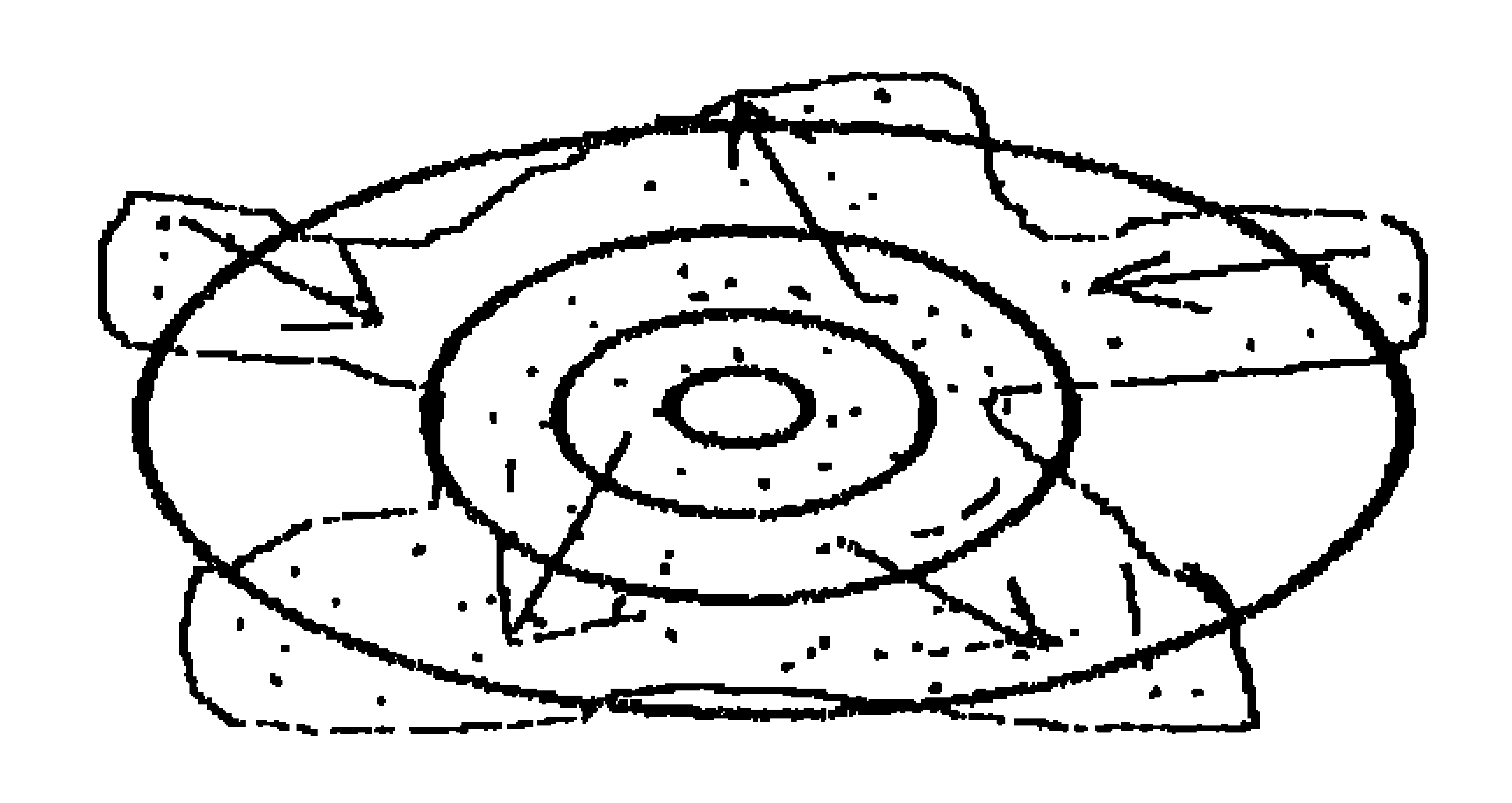
الكنائس وخصوصاً في بلادنا مصر أصبحت كنائس منتظرة أو قاعات انتظار متوقّعة حضور الأعضاء، وكما أسماها البعض (الكنيسة الضفدعة) التي لا تتحرّك لأجل الغذاء، لكن تنتظر أن تأتي حشرة وتقف على لسانها لكي تبتلعها، بينما الكنيسة المُرسلة وُصفت بالكنيسة (السحلية) التي تتحرك دائما لأجل الغذاء.. لقد صُممّت الكنيسة على أساس وضع خط فاصل بين من هم من داخل ومن هم من خارج. وبناء عليه وُضع النظام القيادي الذي يجب أن يحقق هذا الانفصال. ووضع بالتحديد ما الذي نؤمن به وما الذي لا نؤمن به حتى في أدق التفاصيل الشخصية مثل الزينة واللباس وغطاء الشعر... الخ. ما هي النشاطات التي تتوافق معنا؟ وما هي النشاطات التي لا تتوافق ؟ ما هو السلوك المناسب لنا وما هو السلوك غير المناسب؟ لذلك فالخط الفاصل بين من هم من خارج ومن هم من داخل مرسوم بطريقة شديدة الوضوح، ولا شك أن المركز في هذا البنيان هو الكنيسة وليس المسيح، ولكن عند ما يكون المسيح هو المركز يختلف الأمر.

فإذا كانت الكنيسة في المركز يصبح شكل الكنيسة كالتالي:



(شكل ١) : حدود الدائرة واضحة جداً وغير مسموح بالحركة خارجها .

لكن عندما يكون المسيح هو المركز يصبح الشكل كالتالي:



*(شكل ٢): هنا يكون المسيح هو المركز، فالحدود واضحة ولكن يسمح بالحركة خارجها

إن علامات الكنيسة الناجحة في مصر هي الكنيسة التي بها نشاط يومي طوال أيام الأسبوع، والتي بها أكثر من اجتماع يومي، وكأن هدف الكنيسة هو شغل الناس دائما حتى لا يفكّروا في شيء آخر حتى أصبحوا كنسيين أكثر منهم نوراً للعالم، ولكي تقوم هذه الكنائس بعمل كرازي فهي تقيم ما يسمى بحفل كرازي، وتدعو الناس إلى الكنيسة ثم

تقّدم لهم عظات كرازية، وهؤلاء البشر الذين ينشطون في الحفلات الكرازية لا يقومون بالكرازة في حياتهم اليومية العملية فهم يكرزون عندما يكون الحفل قائماً.

فى واحدة من الخبرات العملية في الحياة الرعوية كان قائد اجتماع إعدادي في الكنيسة التي أرعاها مهندسا، لكن دخله من العمل لم يكن يكفيه، وقد عُرض عليه أكثر من مرة أن يعمل في إحدى الشركات الأجنبية والتي تدفع عشرة أضعاف مرتّبه، لكنها تأخذ من وقته الكثير مما يحرمه من خدمته في الكنيسة. وكان يرفض في كل مّرة، إلى أن قارب على الزواج، وبدأ يتردّد في قبول العرض، وعندما جاء يسألني طالباً المشورة قلت له: "جرِّب العمل مع هذه الشركة. وبعد أن عمل بحوالي ستة شهور قرّر أن يستقيل إذ أحس بأنه قد فقد خدمته، وعندما جاء يسألني المشورة سألته هل فكّرت أن تخدم في شركتك، فرفع حاجبيه مستغرباً قائلاً كيف؟ قلت : "هل حاولت أن تجد مجالاً للخدمة في عملك؟ قال: "إني لم أفكر في هذا الأمر مطلقا لأن كل مفهومي عن الخدمة هو داخل الكنيسة" قلت: "عندما تركت اجتماع إعدادي كان أمامنا أكثر من شاب يصلح لقيادة الاجتماع، لكنك إذا تركت عملك فمن الصعب جداً أن تجد من يصلح أن يخدم في موقع عملك".

إن التربية الكنسية التي تركّز على الخدمة داخل الكنيسة أفقدت الكنيسة المعنىالامتدادي لخدمتها .

فى دراسة على بعض الكنائس وجد أن الكنائس التي تفقد بُعدها الامتدادي تمتليء بالمشاكل المادية والإدارية بين الرعاة وبعضهم البعض،

والرعاة والشيوخ، والشيوخ وبعضهم البعض، وتمتلىء أيضا بالمشاكل القيمية.

و لقد أطلق جون ستوت على هذه الكنائس وهي الكنيسة التي تتحصر حول ذاتها، ولا ترى بُعدها الأشمل أنها تتبع عقيدة هرطوقية عن الكنيسة[1] .

إذن السؤال هو: كيف تنظّم الكنيسة ذاتها على لاهوت العبادة والإرسالية؟

أولاً: على كل كنيسة أن تعيد دراسة الواقع الذي تعيشه من خلال نوعية البشر الذين يترددون عليها، والبشر المحيطين بها، أديانهم، أجناسهم، مستواهم الاجتماعي والاقتصادي...الخ. وعليها أيضا أن تعرف احتياجات المدينة أو القرية أو الحي الذي تخدمه.

ثانياً: على الكنيسة أن تمتحن ذاتها إن كانت تخدم فقط الأعضاء الظاهرين والأغنياء منها، أم تخدم كل المستويات الموجودة داخلها ، وهل مراكز القوى في الكنيسة هم الأغنياء أم أصحاب الخدمة الحقيقية والروحية، ومن الذين يتمتعون بصداقة الراعي؟ هل النخبة الثرية والمثقفة أم آخرين...الخ.

---

[1] Stoot, John R.W, The Contemporary Christian Evangelism Through the Local Churches. Applying God's Word to Today's World, Downers Grove :University, 1992

ثالثاً: هناك متردّدون على كل كنيسة يأتون مرة شهرياً، إيمانهم ليس ثابتاً، إنهم يعيشون على هامش الكنيسة، هل تقدّم الكنيسة خدمة خاصة بهم، أم لا؟

رابعاً: هل تقوم الكنيسة بعمل تدريب دائم لأعضائها على الكرازة في المجتمع الذين يعيشون فيه، هل تقوم بتدريب الأطباء مثلا على الكرازة لمرضاهم ثم المهن الأخرى، وهكذا.....هل أعضاء الكنيسة هم الذين يسكنون في نفس الحي أو الذين يأتون إليها من أماكن بعيدة؟

خامساً: هل تخصّص الكنيسة خداماً للمجتمع وتعفيهم من المسئولية في الكنيسة، وتتابع خدمتهم وتعضّدهم في ما يقومون به؟ أم أن كل الخدّام يعملون داخل الكنيسة؟

سادساً: هل تقوم الكنيسة في تعليمها لأعضائها بالتركيز على لاهوت الكنيسة من حيث العبادة والإرسالية، وهل يصل هذا الفكر إلى كل فرد فيها؟

إذا قامت الكنيسة بتحقيق الخدمة للمجتمع والعالم على نفس المستوى لخدمتها لذاتها، ودرّبت أعضائها على ذلك، وساوت بين الجميع، وخدمت الكل تصبح كنيسة قادرة على أن تجعل نظامها يجسّد لاهوتها دون أدنى شك.

البعد الثالث: رسالة الكنيسة (على الكنيسة أن تعبّر عن ذاتها)

ليس كافياً أن الكنيسة تفهم ذاتها طبقاً لهذا الفهم، لكنها أيضا تحتاج أن تعبّر عن هذه الذات من خلال الرسالة التي تقوم بها، فعليها أن تجعل رسالتها بسيطة وعميقة في ذات الوقت، فالكرازة هي بالأخبار السارة. وقلب هذه الرسالة هو الرب يســوع المسيح، فالمسيح هو موضوع اهتمامنا بالآخرين سواء كانوا مسيحيين أم غير مسيحيين وما فعله الله لأجلنا في المسيح ملأ حياتنا بالابتهاج والفرح وعندما يوجَّه هذا الفرح إلى الله في صورة شكر وتمجيد، ويظهر في حياة الكنيسة والمؤمنين على اختلاف ظروفهم وطرق الحياة التي يعيشونها تكون هذه شهادة واضحة للعالم المحيط.

إن القضية المركزية في الشهادة هي شخص يسوع المسيح الإنسان الله، أو الله الإنسان. ولذلك يجب أن تركّز الشهادة في عمل الله في المسيح لأجل الإنسان، وليس عمل الكارز أو الشاهد هو البحث عن النتائج لكنه يقوم بالعمل ويترك النتائج لله" إذن نسعى كسفراء عن المسيح كأن الله يعظ بنا نطلب عن المسيح تصالحوا مع الله" [١] . وهنالك حقيقة تقول أن لا يوجد على الإطلاق أي تصور كتابي لاستراتيجية معينة بذاتها، أو نظرية معينة للكرازة يجب السير عليها، لكن ما ذكره الكتاب

---

[١] رسالة كورنثوس الثانية ٥: ٢٠

أمثلة، ولا يوجد تفويض أو أمر رسمي لدى أية كنيسة لإرسال كارزين في شكل أو فورمة معينة، وعلى الساحة الآن طريقتان للكرازة : الأولى تضع الفكرة في برشامة، وهي ما نطلق عليها (التكنولوجيا الروحية) فهي أطعمة مُعدّة سابقا take- away service، فتجد من يحدثك عن نظرية الكوبري، وآخر عن الأربع خطوات، وثالث عن العشر خطوات، وهم يضعون هذه الرسائل في شكل جميل وملون مثل" دم يسوع" أو تحرير الإنسان" أو " التبرير بالإيمان" أو غيرها الكثير، وهذه الأشياء تُباع أو تُوزّع جاهزة لكل إنسان مهما كان تعليمه، أو حضارته، أو دينه، أو مستواه الاجتماعي...الخ. فهي كرازة سابقة التجهيز.

أما المدرسة الأخرى فهي عكس ذلك، إنها تقول انك لا تقدّم الإنجيل إلا بعد أن ترى احتياج معين، فعندما تدرس الاحتياج أو الحالة سوف تكتشف إجابة الإنجيل عنها -أي الواقع في البداية ثم الإنجيل- وليس العكس كالمدرسة الأولى.

ولقد لوحظ أن أولئك الذين يقومون بعمل زرع كنائس جديدة يذهبون إلى الأماكن المستهدفة وفي ذهنهم خريطة واضحة المعالم لمّا يجب أن تكون عليه الكنيسة، بحسب الكنيسة التي نشأوا فيها، وذلك بغض النظر عن احتياج المكان. أما المدرسة الثانية فتقول إن المفروض هو العكس، فعمل الزارع في الأماكن الجديدة هو جذب غير المؤمنين للكنيسة، ومن خلال وجودهم وسداد احتياجهم يتشكل شكّل الكنيسة.

ويحاول جون ستوت[1] التوفيق بين المدرستين بالقول بأن ما تقوله المدرسة الأولى بأن الإنجيل أرسل من الله إلى الإنسان صحيح، وليس من حقنا تغيير الوحي أو تزييف النص. وما تقوله المدرسة الثانية من أهمية الخلفية والحضارة لانتشار الإنجيل صحيح أيضا، فالإنجيل الذي كُتب لكل العالم يحتاج أن يصل إلى كل فرد على حدة في موقعه، وحسب خلفيته، وحضارته، لذلك علينا أن نتعلّم كيف نوفّق بين المدرستين على أرض الواقع، ولكي نوفّق بين الإنجيل والحضارة وبين الوحي وتعدّد طرق تطبيقه باختلاف المكان والزمان، علينا أن نكون أمناء للإنجيل وحسّاسين للبشر.

البعد الرابع: حياة الكنيسة أو شهادتها (يجب على الكنيسة أن تكون ذاتها)

. المفروض أن الكنيسة هي مجتمع الله، إنها الإنجيل الحيّ المتحرك وسط الناس؛ إنها علامة مجيء ملكوت الله، أنها نموذج للسماء، والناس ترى أكثر مما تسمع، وتسمع الأعمال أكثر من الأقوال، وتتعلّم من الخبرات أكثر مما تسمعه أو تراه، إن الناس تحتاج أن ترى أن الإنجيل الذي نعظ به قد غيّر حياتنا. قال أحدهم يجب على المؤمنين أن يدركوا عن ماذا يتكلمون؟ فالبشر هم الذين يتعاملون أساسا مع الآخرين

---

[1] The Contemporary Christian Evangelism through the local church . John Stott

وليس الكلمات. إن الله غير واضح للعيان وهذه أكبر مشكلة للإيمان، لقد سخر الوثنيون من اليهود قديماً لأن إلههم غير ظاهر مثل آلهة الوثن في المعابد، فإلههم له عيون وأياد وأذان وأرجل، ولذلك تساءل اليهود في المزامير لماذا يقول الأمم أين هو إلههم"[1] لا شك أن اليهود كانوا يعرفون أن الله روح وأن الأصنام لها أفواه ولا تتكلّم وأذان لا تسمع، وإله إسرائيل يسمع صلاتهم ويستجيب لهم...

نفس المشكلة تتحدّى الكنيسة اليوم في بلادنا وفي كل العالم، إن قضية كنيسة مصر أن إلههم قد اختفى عن عيون الآخرين بسبب منازعاتهم ومشاكلهم وفسادهم، إن الفساد الذي انتشر في المؤسسات الكنسية بلا استثناء جعل الله الذي كان يظهر من خلال شعبه قد اختفى تماماً، إن الشباب الذي تعوّد أن يختبر كل شيء بحواسه الخمس وأولئك الذين يرفضون فكرة موت الله حباً للبشر -هؤلاء وأولئك- يقولون لنا دعونا نرى هذا بعيوننا، ونختبره فيكم وحينئذ سوف نؤمن.
لقد أرسل الله ابنه إلى العالم منذ ألفيّ عام لكي يراه العالم ويؤمنوا به، لكن إنسان اليوم يسأل هل يمكن لله أن يعلن عن نفسه بشكل واضح اليوم؟ يقول يوحنا في إنجيله *"الله لم يره أحد قط، الابن الوحيد الذي في حضن الآب هو خبّر"* [2] لكنه يعود في الرسائل ليقول "إن أحب بعضنا بعضاً فالله يثبت فينا ومحبته تكملّت فينا"... في دراسة عن كنائس

---

[1] سفر المزامير ١١٥ : ٢

[2] إنجيل يوحنا ١ : ١٨

الإرساليات في العالم الثالث في باكستان والسودان وغانا وبنجلاديش، ثبت أنه بعد ترك الإرساليات للكنائس تقلّص امتداد الكنائس وذلك بسبب منازعاتهم ورفضهم لبعضهم البعض، وإلى وقت قريب في مصر كان المسيحيون لا يقسمون في المحاكم، وتُقبل شهادتهم. وكان معظم الصيارفة وعمّال البنوك ووكلاء الدوائر من المسيحيين لأنهم معروفون بالأمانة، وكانت العلاقة داخل الكنائس وبين القادة نموذجية، واليوم يقول لنا المجتمع: أين إلهكم؟!

إننا لا نستطيع أن نعلن إنجيل محبة الله دون أن يكون واضحاً في محبتنا لبعضنا البعض *"بهذا يعرف الجميع أنكم تلاميذي إن كان لكم حب بعضكم لبعض"*[1]، هنالك كنائس تحتاج إلى أن تتحوّل داخلياً وخارجياً إلى الحب وإلا تموت، وعلى رأسها كنيسة مصر. في تقرير مؤتمر لامبث ١٩٧٨ جملة تقول: "إرسالية بدون تجديد هرطقة".

وهكذا نرى أن فهم الكنيسة للاهوتها وتطبيق لاهوتها في نظامها مع إحساسها بذاتها وشهادتها التي تأتي بصورة تلقائية هي أساسيات ينبغي أن تدرسها الكنيسة مع الطبيعة الأصيله التي وضعها الله فيها للتعامل دوماً مع تغيير الزمن، أو مع المستقبل في توتّرها الدائم بين السرائر والمعلنات، والتجسّد والصعود، بين الانتصار والإحباط، بين بداية الملكوت وعدم اكتماله .. كل هذا يجعلها من أكثر التجمعّات القابلة

---

[1] إنجيل يوحنا ١٣ : ٣٥

للتعامل مع المستقبل .

الفصل الثاني
طبيعـــة العصـــر

عندما رفع يسوع صلاته الشفاعية لأجل الكنيسة قائلا : *"لست أسأل أن تأخذهم من العالم ولكن أن تحفظهم من الشرير"*. إنما كان يعبّر عن رؤيته للكنيسة، فهو يرى الكنيسة في قلب العالم وليست بمعزل عنه كما أنها ليست مترفّعة عليه. إن الله وهو يضع خطّته لأجل العالم وضع الكنيسة في المركز من هذه الخطة . وكلمة عالم هنا يمكن أن تترجم إلى عصر وكأن بيسوع يقول" لست أسأل أن تفصل الكنيسة عن مقومات العصر الذي تعيشه بل اجعلها دائما تتفاعل معه". ولذلك علينا أن نتعرّف على ملامح العصر الذي نعيشه حتى ندرك المعاني العصرية لحياة كنيسة اليوم . فإذا نظرنا إلى العصر الذي نحياه نكتشف أن الإنسان كإنسان لم يتغّير بصورة عنيفة، لكن الحضارة الإنسانية تغيرت من حوله، فإذا بالإنسان يجد نفسه في عالم مختلف تماماً عما ألفه من قبل، فالعالم اليوم يتحّرك بقوة وسرعة وحّدة أكثر مما كان في الماضي، فالأحداث والتغّيرات تبّين أنه لن يستقر على وضع معين ولكن سيكون طابعه هو التغّير والتحّرك. فقد تقدّم الإنسان في الخمسين عاماً الأخيرة أكثر مما تقدّم منذ وجوده على الأرض من ملايين السنين حتى بداية هذا القرن واليوم تتضاعف المعلومات كل عام، وإذا أردنا أن نحدد ملامح العصر الذي نعيشه، والأمور التي تؤثر فيه بقوة غير عادية وتشكلّه نجد أنها كما يلي:

أولا: التكنولوجيا

لا شك أن التكنولوجيا انتقلت بالإنسان من العصر الصناعي ومن عصر العلوم النظرية إلى العصر الذي فيه سُخرِّت هذه العلوم لخدمة الإنسان، وقد أصبح الإنسان اليوم أكثر قدرة على التعامل مع الأشياء والأشخاص. فهو يستطيع أن يحقّق ما يريد من اتصالات شراء أو بيع أو حجز أو إلغاء، وكل ذلك وهو مستريح على كرسيه في مكان مُكيَّف يستمع إلى موسيقى هادئة. بل إن التكنولوجيا اليوم تستطيع أن تنتج بضائع وأطعمة دون تدخلّ إنسان. لكن مشكلة التكنولوجيا أنها أفقدت الإنسان بعضاً من إنسانيته، فقد أصبحت علاقة الإنسان بالآلة أكثر كثيراً من علاقته بأخيه الإنسان. فعلاقة الأستاذ بالقلم والمكتب أكثر كثيراً من علاقته بالتلميذ، وعلاقة التاجر بما يبيع ويشترى أكثر من علاقته بالبشر الذين من حوله. لقد تحوّل الإنسان إلى آلة تتحرّك بالأسلوب الذي يوافق العصر، لقد أصبح الإنسان يعمل ليلاً ونهاراً، ويتحرك يميناً ويساراً دون وعي بالبشر الذين من حوله. لقد تهرأت العلاقات الأسرية والإنسانية، لم يعد الإنسان في حاجة إلى أخيه الإنسان. لم تعد هناك علاقة خاصة بين البشر، لقد أصبح الإنسان الفرد مستقلاً بذاته ولا يهتم بأحاسيس الآخرين أو مشاعرهم ولقد تغّيرت العلاقات الأسرية وأصبح الأساس هو حساب المكسب والخسارة.

فى السبعينات كنت أخدم في إحدى قرى الصعيد، كان البشر قريبين من بعضهم جداً، عند ما حاولنا بناء الكنيسة تجمّع كل أهل القرية

من مسلمين ومسيحيين وقدّموا يد العون، وهو ما يحدث عادة عندما يقوم أحد أفراد القرية ببناء بيته. أما في الثمانينات فقد خدمت في كنيسة بالعاصمة، وعندما أردنا أن نبني كان الذين يعاونون بجهدهم مجاناً من داخل الكنيسة فرد واحد أو اثنان على الأكثر. وعندما عدت إلى القرية في التسعينات وجدتها قد تغيرت تماما بعد أن دخلتها الإنارة، وأصبح هناك تليفزيون وفيديو في كل بيت. ولقد تباعد الناس عن بعضهم البعض ولم تعد الكنيسة هي مكان التجّمع المفضل لعدد كبير من شباب القرية كما كان من قبل. إن التكنولوجيا بلا شك غيّرت اللاهوت، فاللاهوت المسيحي يهتم بالإنسان أكثر كثيراً من الآلة، أما التكنولوجيا فتقدّم العكس.

ومشكلة التكنولوجيا اليوم أنها تنظر إلى الإنسان كمجرد حيوان أو آلة، ويقوم علماؤها بعمل برمجة لهذا الإنسان حتى يحصلون على النتائج المطلوبة منه . وهم ينظرون إلى الإنسان نظرة دونية –مجرد جسد ومخ بلا روح– وهم لذلك يقومون بعمل تجارب خاصة في مجال الهندسة الوراثية. وهذه التجارب تبحث في إمكانية تغيير صفات الإنسان لكي يكون أكثر طولاً أو قوّةً أو جمالاً، ليس هذا فقط بل يبحثون كيف يقومون بعملية استنساخ –أي اختيار نموذج لإنسان ثم عمل آلاف النسخ من هذا النموذج الذكي القوى الذي يعيش طويلاً. وصاحب هذا الفكر د. مولر والحاصل على جائزة نوبل بسبب اكتشافه لعملية الاستنساخ قال: إن الاستنساخ هو فداء جديد للبشرية لأننا ننتج إنساناً قادراً وذكياً، ولكنه بعد ذلك رفض هذا الفكر بالقول "و من يستطيع أن يحدّد الإنسان النموذج،

ربما لو كنا سألنا الأمهات بعد الحرب العالمية الأولى عن النموذج الذي يريدونه لكانت الإجابة " لينين" . لكن لو حدث هذا وصنعنا جيلاً كاملاً من لينين لوقعت الكارثة، ولذلك يقول: إن الإنسان النموذج يتغّير من عصر إلى آخر.. إن الهندسة الوراثية لها فوائد عظمى في علاج الأمراض واكتشافها مبكراً، لكن عندما تستخدم الهندسة الوراثية لإعادة تشكيل الإنسان حتى يكون آلة أكثر منه إنسان، وتُنزع منه إنسانيته فهذا مرفوض، فعندما يتم الإنجاب دون علاقة بين رجل وامرأة، بدون سبب واضح أو ضروري لكن لمجرد الانجاب، ويتم الاستنساخ بطريقة آلية دون نظر للهدف السامي الذي من أجله كان الاستنساخ هنا نفقد إنسانيتنا ويكون من المستحيل علينا أن نستعيدها ثانية. أما إذا استخدمت الهندسة الوراثية والاستنساخ لخير البشرية وتقدمها وإتاحة الإمكانية ليكون للأفضل فهذا هو المطلوب والمنتظر .

ثانياً : المعلومات

لا شك أن العصر الذي نعيش فيه هو عصر المعلومات حيث تتدفّق المعلومات في كل ثانية من شبكات ضخمة للكومبيوتر والأقمار الصناعية . وصارت المعلومة اليوم أعلى قيمة من أي شيء آخر، إن عصر الكومبيوتر الذي نعيشه وشبكة الانترنت مكّنت الإنسان من أن ينفتح على العالم بشكل لم يكن يتوقّعه أحد، فإنسان اليوم يستطيع أن يُحضر أية معلومة يريدها عن أي شخص أو شيء أو مكان أو زمان، فلقد قفز عصر المعلومات بالإنسان قفزة ضخمة، إذ لم يعد هناك شيء يمكن أن يُخفى. فقبل أن يذيع تليفزيون مصر أي حدث داخلي يمكن أن

تراه وتسمعه على شبكة C.N.N . ولا شك إننا عشنا أزمة ختان الإنـاث أثناء مؤتمر الإسكان بمصر حيث قامت هذه الشبكة بتصوير عملية ختـان داخل مصر وأذاعتها لكل العالم أثناء مناقشة المؤتمر لدور المرأة وزيـادة النسل والإسكان.

إن عملية تدفّق المعلومات وتراكمها تأخذ شكلاً خطـيراً جـداً فـي هذه الأيام، ولقد استخدمت لصالح الإنسان في البلاد التي لا تعـترف بحقوق الإنسان، أو بها خلافات عرقية أو ظلم اجتماعي أو خلافه..لقد أصبحت المعلومــــة والخَبَر أكثر تأثيراً من كتاب أو فيلم فيديو يحكي عن قضية مـا. ومن أهم الإنجازات هنا هي الاستغناء عن المكتبات الضخمة ووضع المكتبة في .C.D أو ميكروفيش أو ميكروفيلم..

هذا القـدر من سـهولة نقل المعلومـة وتدفّقها وإن كان قد أفاد فهـو أفاد الباحثين والعلماء وحقـوق الإنسـان. والكنيسة في عصر المعلومات تحتاج أن تقيِّم أساليب كرازتها ووعظها وتعليمها، وتحتاج إلى أن تستخدم هذا العصر بكل ملئه.

ثالثاً : الإعلام والتليفزيون

من أكثر ما يميز العصر الـذي نعيش فيـه هـو التليفزيـون والإعلام، ولقد أصبح الإعلام اليوم له اليد العليا في توجيه البشر وفي إعادة تشكيلهم وذلك بحسب ما يريد المتحكّم في الإعـلام، فـإذا أراد المتحكّم أن يقنع الناس بفكـرة مـا أو بأسلوب حياة معين تـرك الفرصـة لوسائل الإعلام لكي تغذّى هذه الفكرة، وإن أراد محاربة نفس الفكرة التـي سبق أن قدمها في ظروف أخرى أعطـى الضوء الأخضر للإعلام لكـي

يقوم بهذا. ولقد عاصرنا نحن ذلك في السبعينات عندما أراد السادات أن يشجّع التيار الديني ضد الشيوعيين، فضاعف ساعات الإرسال الديني في التليفزيون وكان التوجُّه نحو دولة العلم والإيمان، وعندما أراد أن يحارب نفس الفكر بعد ذلك استخدم نفس الوسائل من تليفزيون وإعلام. وأي فكر يراد به أن يصل للناس مثل السلام مع إسرائيل أو الإصلاح الاقتصادي أو إصلاح التعليم أو غيره تسخّر وسائل الإعلام لأجل هذا الغرض. إن انتخاب رئيس الولايات المتحدة يتم من خلال قدرته على مواجهة كاميرات التليفزيون، وهناك خبراء من حوله يقولون له كيف يقف؟ كيف يتحدث؟ ماذا يلبس؟ كيف ينظر؟ .....الخ.

ولاشك أن بيل كلينتون كان أكثر نجومية من غيره، وأيضا نتنياهو كان أكثر تليفزيونيةً من شيمون بيريز. بل وأكثر من ذلك فإن المباديء التي يُراد أن تُغرس في النشء تتم من خلال وسائل الإعلام، خاصة التليفزيون، ويجلس الإنسان أمام هذا الجهاز مسلوب الإرادة يمتص ويكّرر ما يصل إليه دون وعى، ويتبّنى ما يقدم له دون مناقشة حتى يجد حياته ومبادءه قد تغيّرت دون إرادة منه.

وخطورة هذا الأمر أنه يغير المباديء المسيحية التي تقوم الكنيسة بتربية البشر عليها، فمثلاً الإعلانات الضخمة عن الشقق الفخمة والسيارات وغيرها والتي يتكرر فيها أن هذه الأمور سوف تتحقّق السعادة لمن يقتنيها، تجعل الشباب يقتنع بأن الأشياء هي التي تحقّق السعادة

وليس الأشخاص، وهذا تغيير جوهري في الفكر المسيحي. وعندما يقدم الإعلام الطلاق كأحد وسائل حل الخلافات الزوجية نجد الشباب المسيحي يتأثر بهذا الأمر...و هكذا.

لاشك أنه من خلال وسائل الإعلام توجّه رسائل متقنة إلى فكر الإنسان وعقله، لتعيد تشكيله، ويقوم بعمل ما يشبه غسيل المخ له. وإنسان اليوم مستهدف لعدد كبير من الرسائل.

خاتمة :

بعد أن تعرّفنا على الطبيعة الأصيلة للكنيسة في جمعها بين التراث والمعاصرة، التجسّد والصعود، الانتصار والإحباط، التنظيم والقوّة الروحية، بداية ملكوت وعدم اكتماله. ثم رأينا الأربعة أبعاد للكنيسة، وهي اللاهوت، والنظام، والرسالة، والشهادة. ثم انتقلنا بعد ذلك إلى طبيعة العصر من تكنولوجيا وعصر معلومات وإعلام، علينا وقبل أن نتحدث عن تحدّي المستقبل للكنيسة في هذا العصر أن نكون أكثر تركيزاً، ونتحدث عن أهمية وجود كنيسة إنجيلية في مصر في هذا الزمان الذي نعيشه والحضارة التي نحياها .

الفصل الثالث

الكنيسة الإنجيلية في مصر هذا الزمان

ربما يتساءل البعض لماذا نقحم مثل هذا الموضوع -أي مناقشة أهمية الكنيسة الإنجيلية في واقع ومستقبل مصر ؟ ونحن نرى أن لهذا الموضوع أهمية خاصة إذا حاولنا الحديث عن مستقبل مصر، ذلك لأنه منذ بداية الكنيسة الإنجيلية بمصر في القرن ١٩ وهي محل خلاف دائم بين بعض مفكري الكنيسة التقليدية الذين يعتبرونها حركة وليست كنيسة، ويعتقدون أنها ستنتهي مع مرور الزمن، وبين بعض مفكري الإسلام السلفي الذين يربطون بين الإرساليات والاستعمار من جانب وبين بعض المفكرين المستنيرين من الأرثوذكس والإسلام الذين يعتبرون الكنيسة الإنجيلية حركة تنوير استضاءت بها الكنيسة الأرثوذكسية والمسلمين في مصر، وأن للكنيسة الإنجيلية دوراً أعظم في مستقبل هذا البلد، ولذلك وقبل أن نضع أجندة القرن الحادي والعشرين لمصر نحتاج أن نناقش معاً أهمية الكنيسة الإنجيلية في مستقبل مصر .

لو ألقينا نظرة متأنية على المجتمع المصري اليوم لوجدناه يحتوي على فئات أو طبقات، و كل فئة أو طبقة لها احتياجاتها وهمومها، فضلا عن لغتها الخاصة بها، أهم هذه الفئات: [1]

---

[1] حسب إحصائيات المركز القومي للبحوث .

١- فئة الأميين والتي يصل عددها إلى حوالي ٣٠ مليون نسمة من جملة السكان البالغ عددهم ٦٠ مليون .

٢- فئة الشباب تحت سن ٢٥ سنة، ويصل عددهم إلى ١٨ مليون نسمة من إجمالي عدد السكان، منهم حوالي مليون شاب في مراحل الدراسة الجامعية، والباقي في مراحل التعليم المختلفة أو حرفيين.

٣- فئة الأطفال الذين يقل أعمارهم عن ١٥ سنة، ويقدّر عددهم بنحو ٢٠ مليون نسمة بكل ما تعانيه من نقص في الرعاية والتعليم.

٤- فئة المعدمين، فلو استبعدنا طبقة الحرفيين والتجار وبعض فئات الموظفين يمكن القول أن ٥٠٪ من الشعب المصري يعيش تحت خط الفقر.

٥- فئة النساء العاملات، وهن فئة متميزة في المجتمع نتيجة للأعباء الثقيلة التي تقع على عاتقها، والتي لم يتهيأ المجتمع بعد لكي يسدد احتياجات مثل هذه الفئة.

٦- فئة المهاجرين خارج مصر، سواء هجرة دائمة أو مؤقتة، ويبلغ عددهم أكثر من ٣ مليون مهاجر بكل ما لديهم من مشاكل واحتياجات.

ولو نظرنا إلى الأزمات الأساسية التي يمر بها المجتمع المصرىيلوجدنا أنها تنحصر فيما يلي:

١- أزمة إسكان طاحنة .

٢-التزايد السكاني والذي بلغ ٢,٨ ٪بحسب تعداد ١٩٨٦.

٣-ضيق الرقعة السكّانية.

٤- ضيق الرقعة الزراعية، والتي لم تزد على مدى ثلاثين عاماً رغم الزيادة السكانية.

٥- البطالة، فقد انخفضت نسبة العمالة من ٣٠٪عام ٧٦ إلى ٢٨،٤ ٪عام ١٩٨٦.

٦- الأمية التي تصل إلى ٤, ٤٩ ٪بحسب تعداد ١٩٨٦ الرسمي، وهي في الواقع أكثر من هذا بكثير ويقدّرها البعض بـ ٧٦٪ .

٧- الأزمة الاقتصادية .

٨- انهيار الخدمات بمعّدل أسرع من نمو الدخل القومي .

٩- الأزمات النفسية للشباب نتيجة لتزايد المسئوليات والضغوط وانتشار المخدرات بشكل وبائي .

١٠- أزمة التعليم من حيث الكم والكيف .

١١- مشكلة الاغتراب واللاانتمائية عند الكثيرين.

١٢- التيّارات الدينية المتطّرفة والتي هي نتيجة لكل هذه الأزمات، والتي تسبب قلقاً دائماً للمجتمع بلجوئها للعنف.

دور الكنيسة في مصر:

سوف نتكلم عن دور الكنيسة المصرية بصفة عامة. فلو ألقينا نظرة سريعة لما تقوم به الكنيسة من برامج وأعمال في ضوء تقسيمات المجتمع السابقة واحتياجاته المُلِحّة لوجدنا الصورة كالتالي:

١- تتركّز ٩٩٪ من الخدمات التي تقدمها الكنائس على طبقة المتعلّمين.
٢- تتركّز نوعية الخدمات في التعليم الكتابي والأنشطة الثقافية، بالإضافة للبرامج الاجتماعية مثل الرحلات والمؤتمرات، وتُصاغ هذه البرامج لتخاطب فئة المتعلّمين.
٣- تركّز البرامج الكنسية لسد الاحتياج الروحي للإنسان (علاقته مع الله) بنسبة ٩٨ ٪ مهملةً بقية الاحتياجات الفكرية والعاطفية والمادية، مما ينّفر عدداً كبيراً من الناس الذين يبحثون عن إجابة عملية لمشاكلهم اليومية، وهكذا لا يبقى في الكنيسة إلا من تعوّد حضورها وارتبط بها ارتباطا شخصياً. ففي بحث لعّينة من الشباب المسيحي يتراوح سنهم ما بين السادس عشر والواحد والعشرين عن أولويات مشاكلهم، وُجد أنهم جميعاً وبدون استثناء لديهم تساؤلات تتراوح بين العلاقات الجنسية، والمستقبل الغامض. وبرامج الكنيسة لا تعاني فقط من ضيق الأفق لكنها أيضا تعانى من التقهقر وعدم مجاراة العصر.

كل هذا يجعلنا ننتقل إلى فكرة هامة جداً ؛ لماذا إذن الكنيسة في مصر؟ وما ضرورتها في المجتمع؟

تنقسم الكنيسة في مصر إلى كنائس تقليدية (أرثوذكسية، وكاثوليكية) وكنائس مصلحة (الكنائس الإنجيلية بجميع طوائفها). والسؤال عن أهمية وضرورة وجود الكنيسة الأرثوذكسية يجد إجابته في التاريخ، فالكنيسة الأرثوذكسية بدأت في مصر من القرن الأول الميلادي، وتفاعلت مع الحضارة المصرية القديمة، ونجحت في الوصول

إلى الإنسان المصري القديم فهي ملمح من ملامح مصر وجزء من شخصيتها الوطنية، ولا يمكن تصوّر مصر دون الكنيسة الأرثوذكسية . فعلى مدى ألفيّ عام كان المسيحيون يشاركون في صنع مصر من ناحية الثقافة، الاقتصاد، والاجتماع. من هنا لا مكان للتساؤل عن وجود الكنيسة الأرثوذكسية إلا بقدر إسهامها في المجتمع، وعدم الإحساس بغربتها في العصر الحديث. والتغريب هنا لا يأتي من الأرثوذكسي العادي الذي يعيش في المجتمع. فالمصري الأرثوذكسي يتحدث اللغة العربية ويعيش الثقافة الإسلامية، لكن المشكلة في المؤسسة الكنسية التي تصرّ على ألحان وترانيم كنسية غير مفهومة لرجل الشارع العادي، وطقوس قديمة غير مفسّرة إلا للخاصة. هذا فضلاً عن عدم تجاوبها مع متغيّرات العصر. .

أما لماذا كنيسة إنجيلية في مصر، فهذا الموضوع يحتاج إلى أن نفرد له مساحة خاصة به.....

هناك نظريتان أساسيتان في تفسير الوجود الإنجيلي في مصر والشرق الأوسط، يتفرع من كل واحدة منها تفسيران يختلفان في النظرة، إلى بعض الأمور، وفي التشديد على هذه الناحية أو تلك، ولكن المنظور الأساسي واحد.

١-النظرية الأولى: الربط بين الإرساليات الأجنبية والاستعمار الأجنبي:

وتعود نشأة هذه النظرية إلى فترة ما بعد الحرب العالمية الثانية

حين ابتدأت معظم الدول المستعمرة تحصل على استقلالها من المستعمر الأجنبي -أو على الأقل تناضل في سبيل الاستقلال والتحرر- في هذا الجو التحرري ومع نزعة الاستقلال هذه صار الوجود الأجنبي -تقريباً- أمراً مرفوضاً ومشبوهاً. بما فيها الإرساليات الأجنبية في كثير من البلدان العربية، ونستطيع أن نجد التعبير الحقيقي عن هذه النظرية المتطرّفة القائلة بارتباط الإرساليات والاستعمار السياسي والاقتصادي في كتاب صدر عام ١٩٥٣ في بيروت بعنوان التبشير والاستعمار في البلاد العربية، وقد عرض لجهد المبشرين التي ترمي إلى إخضاع الشرق للاستعمار الغربي للكاتبين المسلمين؛ عمر فروخ ومصطفى خالدي، وآخر صدر في مصر عام ١٩٨١ بعنوان النشاط التبشيري الأمريكي في البلاد العربية حتى عام ١٩٣٢ للدكتور نبيل عبد الحميد سيد أحمد. ويعتقد مؤلفو هذه الكتب أن التبشير الذي قام به المرسلون الأجانب سواء أكانوا إنجيلين أم كاثوليك- هو أكبر خطر على البلاد الشرقية الإسلامية والعربية، لأنه منفذ الاستعمار إلى هذه البلاد. وهدف التبشير هو " بسط النفوذ الأجنبي "[1] على هذه المنطقة. فإن المبشّرين يحاولون دائما أن يثيروا الفتن والقلاقل في البلاد العربية والإسلامية حتى تتمكّن أممهم من السيطرة على البلاد العربية سياسياً واقتصادياً. أما الناحية الاجتماعية والثقافية فقلّما تهمهم إلا بقدر ما تسهّل لهم مهمّتهم السياسية والاقتصادية: فالتبشير إذن في رأي هؤلاء المؤلفين، إنما هو في الحقيقة تمهيد إلى السيطرة السياسية على بلاد الشرق للاستغلال الاقتصادي، لذلك

---

[1] فروخ وخالدي ١٩٥٣ ص ٩ ، ١٠

فالتبشير مسئول عن نكبات الشرق الأوسط السياسية والخلقية، وعن الفتن التي تثور بين الأديان والمذاهب، وعن تقسيم الوطن العربي (الخلافة الإسلامية) إلى مصر وسوريا والأردن والاعتزاز بالقومية على حساب الإسلام، ولذلك تهاجم هذه الكتب كل أنواع التبشير وكل الإرساليات، وكل المؤسسات والمدارس الأجنبية - الجمعيات الخيرية، والمدارس، والمستشفيات، ومؤسسات الإحسان-لأنها كلها إنما هي مؤسسات منظّمة للتبشير في الدرجة الأولى، والهدف هو بسط النفوذ الأجنبي، وهذا موقف رافض كلياً لكل ماله علاقة بالإرساليات وعملها ومؤسساتها، ومن اقتنع بهذا الموقف يستنتج أن الخطوة المنطقية لمعالجة هذه الغزوة الأجنبية هي محاولة اقتلاع كل هذه المؤسسات من هذه المنطقة ومحو أثرها في سبيل استقلال الشعوب الشرقية الإسلامية والعربية وتحررها من الاستعمار السياسي والاقتصادي. ومن الواضح أن هذا الفكر لا يتسم بالمنطق العلمي بالمعنى المفهوم، بل هي كتب تحريضية في الدرجة الأولى، ووليد نقمة على الأجانب، وهي مليئة بالمغالطات التاريخية والمنطقية وبالتناقضات في المنهج والمحتوى. والاهمُ من ذلك كله أن هذه الكتب صدرت من مؤلفين لهم موقف مبدئي يعتبر أن التبشير"خطيئة " بل جرماً- هذا مع العلم أنهم لا يحددون معنى التبشير في كتبهم أبدا، هذا فضلا عن أنهم لا يقرون ضمناً بالحرية الدينية، وحرية تغيير المعتقد.

و هذا التفسير للوجود الإنجيلي يعتبر أن المرسلين جاءوا بقصد

واضح، وهو إخضاع الشعوب الشرقية الإسلامية والعربية لنير الاستعمار الغربي، وهذا اعتقاد لا يؤخذ به جدّياً في دوائر العلم والبحث، ولكنه اعتقاد شعبي شائع خصوصاً في الأوساط الأصولية الإسلامية، وهو يشكّل خطراً عملياً وإن لم يكن نظرياً أو فكرياً. بينما يعترف المؤرخون أن الإرساليات الأمريكية، -و خصوصاً في القرن التاسع عشر وفي هذه المنطقة بالذات، ومعظم كنائسنا هي نتيجة هذه الإرساليات -كان لها في البدء، وحتى أواخر القرن التاسع عشر طابعاً روحياً لا غبار عليه، بينما تلّونت إرساليات البريطانيين والأسبان والهولنديين بخطوط سياسية [1] فالمصالح الأمريكية في الشرق الأوسط هي وليدة نهاية القرن التاسع عشر وبداية القرن العشرين. ويقول المؤرخ السوري عبد اللطيف طيباوى في هذا المجال" إن العمل التبشيري الأوروبي في البلدان الأجنبية غالباً ما اتخذ طابعاً سياسياً فضلاً عن طابعه الروحي في الأساس. لكن العمل التبشيري الأمريكي بالمقارنة لم يستفد من خلفية استعمارية أو سياسية كهذه، لهذا فإن طابعه الروحي لم يكن مشكوكاً فيه" ويقول طيباوي أيضا" إذا جاز أحيانا أن ننظر إلى الإرساليات الأمريكية فهي لا ينطبق عليها هذا القول، لقد كانت الغيرة الدينية طابعها الأوحد منذ البدء" إن نظرية الإرساليات كظاهرة استعمارية، إذن لا تفسر الوجود الإنجيلي في الشرق وخاصة مصر. ولا تشرح دوافعه وأهدافه وتطوره كلياً، وإن ألقت ضوءاً على بعض نواحيه اللاحقة.

---

[1] طيباوي ١٩٦٦ : ٤

٢- النظرية الأساسية الثانية : نظرية " الغرسة الغربية"

و لهذه النظرية تعبيران وتفسيران؛ التعبير الأول يقول : بأن الإنجيلية في هذه البلاد هي غرسة أجنبية زُرعت في تربة شرقية، ولكنها بقيت وستبقى غرسة غربية ما لم تتكيّف مع التربة الجديدة. أما التفسير الثاني فيقول الشيء ذاته إلا أنه يؤمن بعدم إمكانية التكيّف، ويرى أن لا مبرر لوجود غرسة غربية واستمرارها في تربة شرقية. وسنتحدث عن هذين الموقفين بالتفصيل.

الموقف الأول:

يقول أن المرسلين الأجانب أتوا إلى هذه البلاد، وبشرّوا، وأنشأوا كنائس إنجيلية ومؤسسات تعليمية واجتماعية وزرعوا بذلك بذور الشقاق بين المسيحيين، لأنهم لم يتفهمّوا وضع الكنائس الشرقية القديمة فخلقوا كنائس جديدة ذات نمط غربي لا يتوافق مع المحيط الشرقي، فصار الإنجيليون العرب غرباءً في وطنهم، وهذا هو بالضبط عنوان كتاب صدر عام ١٩٨٦ في بيروت للرئيس السابق لكلية اللاهوت للشرق الأدنى القس ونيس سمعان، وهو عبارة عن رسالة دكتوراه أعدّها وقدّمها في الولايات المتحدة الأمريكية عام ١٩٧٣، وتحليل سمعان للظاهرة الإنجيلية هو على حد تعبيره تحليل اجتماعي ديني، لذلك فهو يهتم أساساً بنتائج العمل المرسلي في الميادين الاجتماعية والثقافية والدينية. فيرى من هذا المنظار أن الكنيسة الإنجيلية المحلية التي نشأت

في مصر وسوريا ولبنان في أواسط القرن التاسع عشر بفضل عمل المرسلين للمجتمع الشرقي أنتجت طرق عيش وتراكيب اجتماعية وأنظمة حياتية مستوردة من أمريكا الشمالية مما أسفر عن مجتمع غرباء في وطنهم. فالوجود الإنجيلي إذن " غرسة اجتماعية-دينية منقولة، وعلى حد زعم سمعان فالحركة الإرسالية قطعت جذور الشرقيين الذين انتسبوا إلى كنائسها فخلقت بذلك عندهم أزمة هوية، وقد حدث ذلك لأن المرسلين الأمريكيين، بحسب ما يرى سمعان؛ لم يأخذوا بعين الاعتبار أبدا إمكانية التكيّف مع البيئة الحضارية في الشرق الأوسط. ويقدم سمعان مثالاً على ذلك في حديثه عن أهمية العائلة في المجتمع الشرقي وكيف أن المثل الغربية أدت إلى تفتيت وحدة العائلة، وبذلك اهتزت الأساسات التي إرتكن اليها المسيحيون في هذه المنطقة طوال عدة قرون.

وما يهمنا هنا أن نظرية سمعان لا تقود إلى الاستنتاج بأن الحركة الإرسالية كانت خطأ يجب الرجوع عنه بإزالة الوجود الإنجيلي من الشرق وعودة الإنجيليين إلى طوائفهم الشرقية السابقة، وإنما تقود إلى الدعوة إلى إعادة النظر في هذا الوجود، وتكييفه بشكل يتلاءم أكثر مع العقلية والعادات والتقاليد الشرقية.

إن هذا التفسير لنظرية " الغرسة الغربية " تفسير هام وشائع، وقد اعتنقهِ أو مال إليهِ كثير من الإنجيليين الغربيين الذين يعملون في العمل المرسلي وحقل العلاقات المسكونية في الكنائس الإنجيلية الأوروبية والأمريكية، وهو تفسير يستعمل أيضا من قبل غير

الإنجيليين في الشرق الأوسط لانتقاد الحركة الإرسالية والكنائس الإنجيلية، وإظهار ضررهما على المجتمع الشرقي وكنائسه القديمة.

وهنا لنا بعض الملاحظات على هذه النظرية:

يمكن مناقشة نظرية سمعان على مستويين: المستوى الأول هو المستوى الاجتماعي والديني كتحليل للكنيسة الإنجيلية في الشرق الأوسط، والثاني هو المستوى اللاهوتي، لأن الوجود الإنجيلي في الشرق الأوسط هو وجود لاهوتي روحي ولا يكفي أبدا أن يقوم هذا الوجود على أسس اجتماعية أو اقتصادية أو سياسية أو حتى دينية فقط. وبتعبير أخر نقول ليس الوجود الإنجيلي في هذه المنطقة من العالم ظاهرة اجتماعية أو دينية أو سياسية أو حضارية فقط، بل هو في الأساس -وقبل كل شيء- ظاهرة لاهوتية روحية.

فإذا أخذنا أولا الناحية الاجتماعية-الدينية نستطيع أن نثير سؤالا غاية في الأهمية هو: تُرى من كان فعلاً الغريب في وطنه في القرن التاسع عشر وفي كل أنحاء الشرق؟ هل هو الإنجيلي العربي الذي تمكّن بفضل جهود المرسلين الأجانب أن يقرأ الكتاب المقدس بلغته الأم لأول مرة في حياته، وأن يحضر العبادة الجماعية، ويفهم كل ما يُتلى ويقرأ ويقال، وأن يصلّي بلغة شعبه ووطنه وأن يرى رؤساء كنيسته يلبسون الملابس الوطنية العادية في مصر ويتحدثون بلغته(في الشام كان رؤساء الكنائس الشرقية أجانب!! هل هذا هو الغريب في وطنه أم جاره

الأرثوذكسي مثلا الذي لم يقرأ الكتاب المقدس في لغته الأم قط ويسمع القدّاس في كنيسته بلغة قبطية لا يتكلّمها ولا يعرفها، ولا يقدر أن يصلّي بها؟ اعتقد أن الإنجيلي في ذلك الوقت كان أشد الناس ارتياحا في وطنه وملائمةً معه.

أما الادعاء بأن المرسلين الأجانب لم يأخذوا بعين الاعتبار أبدا إمكانية التكيّف المشروع مع الحضارة المصرية والعربية، فهذا إجحاف بحق التاريخ. والباحثون لا يقرّون هذا الادعاء بل ينقضونه، يقول المؤرخ عبد اللطيف طيباوي في هذا المجال : أن المرسلين الأمريكيين بذلوا جهداً كبيراً للتكيّف، وعدم خلق طبقة من " المتفرنجين" والمقلّدين للأجانب، وذلك بإصرارهم على التعليم باللغة العربية فقط في البدء. وشجّعوا تلامذتهم على الاحتفاظ بتقاليدهم وعاداتهم، وتعلّموا (أي الأجانب) اللغة العربية وأتقنها منهم الكثيرون فترجموا الكتاب المقدس إلى العربية، ونشروا كتباً مدرسية وأدبية هامة جداً [1] ولا شك أنهم أسهموا في النهضة العربية بفضل الذين تعاونوا معهم وتأثروا بهم.

أما القول بأن المهتدين إلى الإنجيلية انفصلوا عن عائلاتهم الأرثوذكسية، مما أسهم في تغيير المفاهيم الاجتماعية وزعزعة التقاليد الشرقية للجذور، وهذا ما يعتبره سمعان من تأثير المرسلين السلبي، فإن كل هذا إنما هو أمر طبيعي جداً عند كل إنسان يتعلّم ويكتسب ثقافة

---

[1] طيباوى ١٩٦٦: ١٥٦

جديدة، فالعلم والثقافة يحدثان تغرّباً طبيعياً عند كل من يمارسهما، وهذا يحدث في كل أنحاء العالم ولكل أنواع البشر. وهذا جزء هام من النمو الشخصي لا مفر منه، أما إذا كان الاهتداء إلى الإيمان الإنجيلي أحدث ذلك فلأن التغرّب عن العائلة والبيئة والعقلية السائدة والتقاليد هو النتيجة الحتمية الضرورية لاهتداء الإنسان إلى إنجيل المسيح.

أنعيب على الحركة الإصلاحية في أوروبا في القرن السادس عشر نسفها للنظام الديني، والعائلي، والكهنوتي والاقتصادي والسياسي؟ إن هذا التغيير الشامل هو من منجزاتها العظيمة، فإذا حدث شيء من هذا في بلاد الشرق بسبب انتشار الحركة الإنجيلية فإن ذلك مدعاة للافتخار وليس للاستحياء.

الموقف الثاني:

وهو في نظري أخطر من السابق بكثير فالموقف الأول يقبل بشرعية الوجود الإنجيلي في هذه البلاد شرط أن يتكيّف مع البيئة الشرقية، لكن الوجه الآخر لهذه النظرية يقول بأن الوجود في هذه البلاد هو غرسة غربية (وبالتالي غريبة) لاهوتياً وفكرياً ودينياً وثقافياً واجتماعياً، فلا مكان لها هنا، ولا مبرر لوجودها، ذلك لأنها شيء مستورد، إنها غرسة غريبة، والتربة هنا غير ملائمة لها لأنها تربة شرقية. وقد يقّر القائلون بهذا الرأي بأن دوافع المبشّرين كانت دينية صافية، وأن الكثيرين منهم كانوا أناسا طيبين ومخلصين وأنهم أدوّا

خدمات تعليمية وإنسانية هامّة لبلدان الشرق، لكن ذلك لا يبرر محاولاتهم تبشير المسيحيين الشرقيين أو تكوين كنائس إنجيلية جديدة لأن الحركة الإنجيلية هي ظاهرة غربية، وهي أمر مستورد لا مكان له في الشرق المسيحي ويقوم هذا الموقف على فصل شديد بين الغرب والشرق في ميادين اللاهوت والفكر والبنية الكنسية والذهنية، بل إنه فصل وتمييز أساسي بين ما يُسمى حضارة شرقية وأخرى غربية، لهذا فإن القائلين بهذا الموقف يرون في الإرساليات ونتائجها غزوة حضارية ولاهوتية صليبية فيرفضونها كلية، فإن المسيحية الشرقية، في نظرهم. تختلف تماماً عن الغرب. ليس فقط عقيدياً -بل سياسياً أيضاً وحضارياً[1] ويذهب المطران خضر، وهو أبلغ المعبّرين عن هذا الموقف إلى أبعد من ذلك حين يؤكد" أننا لسنا واحداً أمام الله. فنحن كمسيحيين شرقيين ومسيحيين غربيين نختلف في الأصول".

هذا هو مفهوم الغرسة الغربية-لأنها غريبة-كما يعبّر عنها مسئولون كبار في الكنائس الشرقية القديمة، ويدينون بهذا الموقف كل اهتداء إلى الإنجيلية باعتبار أنه اقتناص، ولكنهم يرحبون باهتداء الإنجيلي إلى كنيسة شرقية قديمة لأنه رجوع طبيعي إلى الحظيرة.

و لقد اقتنع بعض المسئولين الكبار في الكنائس الإنجيلية - خصوصاً الأمريكية منها- بهذا المنطق، وباتوا آسفين لإرسالياتهم في

---

[1] خضر ١٩٨١ : ٨٥

القرن التاسع عشر، وشاعرين بالذنب تجاه الكنائس الشرقية القديمة، ومُحرَجين بسبب الوجود الإنجيلي في الشرق الأوسط، فصارت الكنيسة الإنجيلية في الشرق مثل فورموزا(تايوان) بالنسبة للولايات المتحدة الأمريكية (في وقت من الأوقات) الساعية لتحسين علاقاتها مع الصين الشيوعية، فهي إلى حد ما خلقت فورموزا وهي صديقة لها، ولكنها ترى فيها عثرةً وإحراجً.

هذه هي النظريات التي تحاول تفسير الوجود الإنجيلي في الشرق الأوسط، وأرى أن معنى تبرير وجود الكنيسة الإنجيلية في مصر والشرق الأوسط تخطّي هذه الأمور كلها، لأنه يرتبط بسؤال أساسي يجب أن تطرحه الكنيسة على ذاتها، وهو سؤال لم تتطّرق إليه كل هذه النظريات، وهو : هل الإصلاح الإنجيلي الذي وقع في أوروبا في القرن السادس عشر هو في الأساس ألماني - سويسري محلي أم هو عالمي؟ هل يخاطب إنجيل الإصلاح ابن بازل وبرن وفرانكفورت فقط أم أنه يخاطب ابن القاهرة وبيروت، ودمشق؟ هذا هو السؤال الأساسي الذي يجب أن يطرح نفسه على الكنيسة الإنجيلية والكنيسة الأرثوذكسية إن أردنا أن نفهم معنى وجود الإنجيلية هنا والآن، ونبحث في مستقبل هذا الوجود، فإننا نرى أن ما حصل في القرن التاسع عشر بغض النظر عما فعله المرسلون هنا وهناك، أو عمّا أخطأوا وأصابوا فيه، وعمّا أنجزوا أو لم ينجزوا، وعمّا تشابك من جهودهم بمصالح استعمارية أجنبية. إننا نرى أن ما حصل هو في الأساس امتداد إنجيل الإصلاح إلى هذه البلاد،

فإذا كان إنجيل الإصلاح أمراً أوروبياً محلياً فلا مكان له في الشرق، أما إذا كان شأناً عالمياً يخاطب الإنسان أينما وُجد فإن وجود الإنجيلية هنا أمر ضروري وحتمي، فأهمية الوجود الإنجيلي في الشرق ليس بسبب مؤسساته التعليمية، ولا بسبب مستشفياته ومؤسساته الأجتماعية والخيرية، ولا بسبب ممارسة الديمقراطية داخل الجهاز الإداري للكنيسة، ولا لأي شيء أخر قد يعتبره البعض ملازماً للإنجيلية الحضارية والثقافية، إنما أهمية الإنجيلية ومبرّر وجودها ينبعان من الاعتقاد الراسخ بأن لديها ما تسهم به لاهوتياً وإيمانياً في هذه البقعة من العالم وهنا يأتي السؤال الأساسي: هل ثمة شهادة إنجيلية في الشرق الأوسط؟ إذا قبلنا فكرة الفصل بين الشرق والغرب في اللاهوت والعقيدة والحضارة وحتى في" الأصول"، وإذا سلّمنا بأن المسيحية الشرقية هي" غير مسيحية الغرب" في كل هذه المجالات، إذن فلا شهادة إنجيلية في الشرق ولا مبّرر لوجودها. لكن القبول بهذا الفكر أمر خطير جداً لأنه في النهاية يطيح بعالمية إنجيل المسيح، ويشّوه هذا الإنجيل. ولاشك أن للإنسان الشرقي خصائص معينة ولفكره وتقاليده وروحانيته وعبادته طابع خاص. ونحن نعرف أن للاهوته خصائص تميّزه عن اللاهوت الغربي، ولكن التمييز بين الاثنين شيء، والفصل بينهما شيء أخر. ونحن لا يمكننا أن نقبل الفصل بينهما، لأننا نرى أن على الاثنين أن يلتقيا في الكتاب المقدس، فالكلمة هي مقياسهما الأخير، ثم أن النمو الإنساني والحضاري يكمن في تفاعل الحضارات واللاهوت والفلسفات والخصائص، ويوضّح التاريخ لنا أن هذا التفاعل مستمر ومتواصل، فليس هناك كيان شرقي بحت، ولا كيان

غربي خالص، فهذه أمور نسبية جداً. والدليل على ذلك أن من يرفض الحضارة الغربية يستخدم أدواتها من تليفزيون وأقمار صناعية لإعلان هذا الرفض، وهو بهذا يتفاعل معها ولا شك أن المستقبل في صالح هذا التفاعل إذ أصبح العالم اليوم قرية صغيرة لا مجال فيها للتقوقع في شرانق شرقية أو غربية.

أننا نعتقد بأن الإصلاح الإنجيلي هو أمر عالمي يخاطب كل إنسان من كل عرق ولسان، وفي كل زمان ومكان، ومع أنه بدأ في ألمانيا وسويسرا وألبس برداء أوروبي في كثير من الأحيان إلا أنه في صحيحه لم يزل لدى الكنيسة الإنجيلية الكثير لتقوله في بنيتها الشرقية، فلها شهادة يجب أن تؤديها في الشرق، إن إنجيل الإصلاح بعد أن مرّ في الاختبار الأمريكي الذي أغناه بعض الشيء، ولكنه أفقده الكثير على الصعيد اللاهوتي والعقيدي، علينا أن نعود به إلى الأصول الإنجيلية، وهنا سوف نكتشف أبعاداً هائلة لم نتعرّف عليها من خلال المرسلين. يكفي أن نتّعمق في مواقف لوثر وكلفن الإيجابية من آباء الكنيسة، وخصوصاً الآباء الشرقيين لكي نجد جذوراً تاريخية للإصلاح مع الكنيسة الشرقية. ورجوعنا إلى الجذور يعني العودة إلى الجذور التي عادت إليها حركة الإصلاح : إلى الكتاب المقدس، والكنيسة الأولى. ومفهوم الكنيسة كما ينبغي أن تكون في إصلاح مستمر، لأن الكتاب المقدس ليس شريعة جامدة.

والشهادة الإنجيلية تعني أيضا الاستعداد للاستفادة والاعتناء بشهادة الآخر في كنيسته وتراثه وفكره ولاهوته وهذا لا يعني زوال كل توّتر واحتكاك واختلاف، فان بقاء التوّتر ليس أمرا سلبياً بل إنه أمر طبيعي وضروري للمحافظة على الحيوية والخلق والإبداع.

خاتمة :

إذن إن كان الوجود الإنجيلي في الشرق الأوسط ليس ظاهرة استعمارية ولا غرسة غربية غريبة عن الشرق ،إنما هو امتداد لحركة الإصلاح، ونشر لإنجيلها، وهو عودة إلى الأصول والجذور في الكنيسة الأولى كما نراها في الكتاب المقدس. إذن فالمشكلة الأساسية للكنيسة في مصر سواء كانت أرثوذكسية أو إنجيلية هي وضوح تعريفها لذاتها وهويتها. ولا شك أن الظاهرة الملفتة للنظر هي أن الكنيسة في مصر على وجه العموم لا تعرف ما هي رسالتها الحقيقية التي تعيش من أجلها، وربما يكمن السبب في أنها حاولت أن تتمسك بالقشور دون اللب في الرسالة. أما الكنيسة الإنجيلية على وجه الخصوص فربما حاولت مسك العصا من النصف في أمر الإصلاح، لعل البعض يقول أن أنشطة الكنيسة الإنجيلية في مصر لا بأس بها بالنظرة العامة العادية. لكن هل يمكن أن نصنع شيئا جديدا؟ هل يمكن أن نعيد صياغة رسالتنا وتوجّهنا للمجتمع؟ هل يمكن أن نلتقي والقرن الحادي والعشرين؟ هذا ما سنحاول الإجابة عليه في الباب القادم.

الباب السابع

الكنيسة في مصر وأجندة القرن ٢١

لكي نتحدث عن المستقبل ونكون متلائمين معه لابد وأن يتوافر لنا أربعة أمور: الأول هو أن نتفق على مبدأ حرية التفكير كمبدأ عام، والثاني هو أن نطبقّ هذا المبدأ العام على الكتاب المقدس فنحرره من الأغلال المحيطة به أما الثالث فهو الشجاعة في أن تطأ أقدامنا أرضاً جديدة (الاجتهاد)، وأخيراً أن نضع ما نفكر فيه في برنامج عمل مستقبلي، ولذلك فسوف يتكوّن هذا الباب من أربعة فصول: الأول هو حرية أن نفكر، والثاني سقوط الأغلال التي تقيّد الكلمة، أما الثالث فسيكون محاولة لوضع بعض الأفكار عن لاهوت عربي مصري معاصر، وأخيرا سوف نتحدث عن أجندة عملية لكنيسة مصر، وما الذي يمكن أن تقوم به الكنيسة في مصر في القرن القادم.

الفصل الأول

حرية أن نفكر

لا يمكننا الحديث عن الكنيسة دون أن نتحدث عن المستقبل، ولا يمكننا أيضا الحديث عن المستقبل دون الحديث عن الكنيسة، ذلك لأن الإيمان بالمستقبل هو مسئوليتنا، والإيمان بالمستقبل يعني صنع المستقبل مع الله كما ذكرنا من قبل، ولأننا لا نستطيع أن نقدم إجابة كاملة وشاملة

عن سؤال المستقبل بدون الإيمان، لذلك علينا البحث عن المعنى من وجود الإنسان، فلا يمكن أن يقتصر معنى الوجود الإنساني على الحاضر فقط، ولكن الإنسان يعمل دائما بطبيعته للبحث عن المعنى في المستقبل الإنساني. وهو في بحثه هذا يجعل وجوده ممتداً وفعالاً، وعندما يحلل الإنسان الحاضر ويتوقّع المستقبل، هنا يتلّقى المعنى الخاص لوجوده كنعمة من يديّ الله. وتحاول الكنيسة كجماعة المؤمنين أن تدرك معنى وجودها في الزمن الحاضر، وذلك من خلال كلمة الله المقروءة والمسموعة في وسط الجماعة، ومن خلال التطبيقات اللاهوتية للكلمة خلال الفرائض والشركة، وأيضا بالخبرات المتراكمة لهذه الجماعة على طول السنين، سواء كانت هذه الخبرات مسجلة في الكتب المقدسة أو مُسجّلة تاريخياً أو حتى منقولة شفهياً، ولا يمكن للجماعة أن تقوم بتحليل الحاضر باستمرار لأجل صنع المستقبل إن لم تكن جماعة حرة، والحرية هنا تعني أن تكون لدى الجماعة الإمكانية، والقدرة على أن تعطي المضمون، والاتجاه والتعريف لمعنى وجودها. فإذا استطاعت جماعة أن تعّرف نفسها جيداُ في جملة واحدة أو جملتين، ثم تقدّم المضمون الذي تعيش من أجله ثم الاتجاه الواضح لمسيرتها في كل جيل- والجيل هنا عشر سنوات- أي تكرّر هذا كل عشر سنوات ويستطيع أن يردّده الجميع عن اقتناع وعلى كل المستويات، هنا تكون لها الحرية الحقيقية للحديث عن المستقبل. فالحرية بهذا المعنى مع توقّع المستقبل هما وجهان لعملة واحدة، فالحيوان لا مستقبل له، لأنه لا يدرك معنى الحرية، والطبيعة لم تعطها له فهو ليس حراً في أن يقدم معنى لوجوده، فالإنسان هو

الذي يقدّم للحيوان معنى وجوده. أما المستقبل وصنعه فهذا هو عمل الإنسان الدائم، فالإنسان على أساس ماضيه وحاضره يصنع مستقبله.

يقول ج. جيوسدورف G.Gusdorf " نحن فقط أحرار طالما المستقبل أمامنا يمثل مغامرة". بمعنى آخر إن الإنسان يظل حرا طالما إن مستقبله يظل سؤالاً مفتوحاً يحتاج إلى إجابة". فالقلق والرجاء عنصران أساسيان في طبيعة الإنسان منذ وجوده، ولا شك أن الذين يبحثون عن المستقبل في الماضي خاب مسعاهم، فالإنسان في عصر الحداثة وما بعد الحداثة، وحتى ما قبلها كانت سر نهضته وما زالت أنه لم يأخذ القديم أو الحالي كمقدسات، لكنه ثار عليه أكثر من مّرة فانتقل من العصر الصناعي إلى عصر النهضة إلى عصر الحداثة إلى ما بعد الحداثة، وإلى ما لانهاية. وفي كل لحظة يناقش ماضيه وحاضره يستخلص منه ما يصلح لمستقبله ويرفض وينبذ كل ما لا يصلح لهذا المستقبل، لكن شرقنا السعيد تزداد فيه قيمة الشيء بقِدمه، وتزداد قداسته، ورفض المساس به كلما كان قديماً ومنتشراً ومقبولاً من الناس، وما الدعوى للعودة إلى الخلف حيث العصور المزدهرة وإعادتها مثل الكنيسة الأولى في المسيحية وعهد الخلفاء في الإسلام إلا نوعا من هذا الفكر الذي يريد أن يلوي رأس الإنسان إلى الخلف ويجعله يسير بظهره. من المستحيل أن يجد الإنسان أن أمانه في الماضي مهما كان، إن الظروف التي يعيشها إنسان اليوم أرغمته على أن يفقد الأساسيات المطلقة التي لا تُناقش، لكن هل يعني هذا أننا ننطلق إلى الأمام بدون أساسيات؟ على العكس تماماً،

فأساسيات الإيمان التي بين أيدينا تحتاج إلى أن تناقش في ضوء العصر الحديث -لا للرفض وتقديم البديل- لكن لتكون أكثر وضوحاً، وأكثر عصريةً، وأكثر قبولاً، فهناك أشياء علقت بهذه الأساسيات سواء من التقاليد أو من صنع أشخاص فأصبحت هي والأساسيات شيئاً واحداً، ونتيجة لذلك فهذه الأساسيات تحتاج إلى أن تتنقّى من كل ما علق بها من أفكار لاهوتيين مجتهدين ووعّاظ، وعادات وتقاليد لكي تكون دائماً جديدة ومتجدّدة، فالحق لا يتغيّر مضمونه لكن بلا شك يتغيّر شكله الخارجي، وطريقة تقديمه، وأسلوب استيعابه...الخ

وعندما نتحدث عن الحق فنحن نقصد به شخص الله المتجسّد في يسوع، المعلن عنه في الكتاب المقدس. ولذلك لابد وأن نفرّق بين الكتاب المقدس، وشرّاحه، وبين الكلمة المقدسة واللاهوتيين الذين يتناولونها، فالكلمة إلهية أما اللاهوتيون والشرّاح والوّعاظ فهم بشر يحتاجون دائما إلى مناقشة أفكارهم، وإعادة نقدها من جيل إلى جيل لتناسب دائماً المستقبل. لقد نسينا أن الله يحل في الإنسان الذي خلقه، ويعطيه القدرة على الخلق، والتجديد الدائم وذلك بنعمته المتفاضلّه والمتجّددة دائماً، لقد فقدنا رؤية الحقيقة التي تقول أن الحرية الإنسانية هي التي صنعت التاريخ، والتي تطلّعت دائما إلى المستقبل، لقد خلق الله العالم وخلق الإنسان في قلب العالم لكي يعيد تشكيله حسب فكر الله. ولو أن الله كان يقصد خلق العالم دون نقص لِماَ وجد هناك شيئاً يمكن أن يعمله الإنسان، وعندئذ تنتفي حريته. إن الحرية الإنسانية هي

العاملة لأجل تقدّم وتطوّر وفهم الإنسان، ولقد وَضعنَا الله في عالم غير كامل، عالم مظلم وذلك لكي نعيد اكتشاف حريتنا. وحريتنا هي بصيص النور الذي يعيننا على إجلاء الظلام شيئاً فشيئاً، جيلاً بعد جيل حتى نصل إلى النور الكامل. وعدم استخدامنا لهذه الحرية، وسجننا في الماضي-مهما كان الماضي جميلاً- سوف يجعل المستقبل بالنسبة لنا مجهولاً".

وأول درجة في استخدامنا لحريتنا هي أن نعيد تعريف أنفسنا من نحن ؟! وإعادة تعريف الذات أو الهوية تأتي من خلال الحوار المتواصل مع الله والمجتمع المحيط، فهذا الحوار المتصل هو الذي يجعل المستقبل حقيقة حاضرة، فالجماعة المنعزلة عن المجتمع أو التي لا حوار متصل لها مع العالم بكل متغيراته السياسية والاقتصادية والاجتماعية والدينية لا تعيش الزمن ولا تحتوي التاريخ، وبالتالي إذا أرادت أن تضع تعريفاً لذاتها فسوف تضع التعريف الذي وُضع في الزمن الذي تأسست فيه الجماعة، أي في الزمن الذي حدث فيه الحوار، وتأسّست فيه الجماعة بناء على هذا الحوار، ثم توقّفت الجماعة عنده. ولذلك فعندما نسمع كنائس تحاول أن تعرف ذاتها تسمع التعريف، وكأنه قادم من القرن الثاني أو الرابع أو السادس عشر أو الثامن عشر، لكن هل يمكن أن يكون التعريف من القرن الحادي والعشرين؟ إن هذا لا يحدث إلا إذا كانت هذه الجماعة في حوار متصل مع العالم بكل ما يحويه من علم وتكنولوجيا، وعصر المعلومات والميديا، والمجتمع

الإسلامي....الخ أي في حوار متصل مع المجتمع الذي تعيش فيه. وفي نفس الوقت في حوار مستمر مع الله، وذلك لأننا مسئولون أمامه عن أن نعطي المعنى لحياتنا معاً في العالم وللعالم، فإطلاق تعبير " المجتمع المسئول" على الكنيسة بعيداً عن الله المسئول أمامه يصبح تعبيراً ناقصاً وبلا معنى فكلمة مسئول تعني مسئول أمام شخص حي، فالكلمة Responsibility تنقسم إلى جزئين الأول " Response وتعني رد الفعل والثاني Ability وتعنى القدرة، أي أن المسئولية هي القدرة على رد الفعل المسئول أمام من نحن مسئولون أمامه.

وإقامة هذا الحوار مع الله يجعلنا نتحدث إليه في الصلاة عن الأمور الأكثر أهمية، ونستبدل الحديث الدائم عن مشاكلنا كجماعة سواء من نحو الاضطهاد، أو المعاناة الاقتصادية، أو طلب شفاء أمراض لأفراد – وإن كان هذا مطلوباً إلى حد ما إلى حديث أكثر جديةً وأهميةً عن تغيّر المجتمع من حولنا والقرية الكونية وتغّير الإنسان والحروب المحيطة وعصر المعلومات...الخ . وهنا سوف يعطينا هو بنعمته الاستنارة الكاملة في الموقف الذي يجب أن تتخذه الجماعة في مثل هذه القضايا، كما يفعل عندما يستجيب في باقي الأمور الأخرى التي نطلبها كشفاء وحل أزمة شخصية....الخ

وأيضا يكون الحوار من خلال الكلمة المقدسة والتاريخ المقدس الذي من خلاله نكتشف فكر الله من خلال الأمور الحديثة والمحيطة بنا.

ومن أهم المشاكل التي تقابلنا دعوة أولئك الذين يقولون " اطلبوا أولا ملكوت الله وبره وهذه كلها تزاد لكم" ويفسّرونها على أن ما يجب أن نقوم به هو مجرد العبادة والعلاقة مع الله دون نظر إلى أية أشياء أخرى علمية أو اجتماعية، عالمية، ولكن إذا نظرنا معاً في تفسير تعبير ملكوت الله مع القرينة التي في الصلاة الربانية (ليأت ملكوتك لتكن مشيئتك كما في السماء كذلك على الأرض) نكتشف أن ملكوت الله هو سيطرة مشيئته على الأرض كما هي في السماء وإعلان وسيطرة المشيئة الإلهية تتم من خلال الإنسان الذي يحقق إنجازات كل يوم حسب إرادة الله، وهذا يعني أيضا أن ملكوت الله في الأرض كما هو في السماء. لذلك فهناك مستقبل أرضي للإنسان، كما يوجد مستقبل سماوي له، فالمؤمن كما يتوقّع مستقبلاً سماوياً يتوقّع أيضا مستقبلاً أرضياً للعالم الذي يعيش فيه ولا تناقض بين الاثنين. فباهتمام جماعة المؤمنين بملكوت الله الأبدي هنالك بُعد أرضي لهذا الاهتمام لا ينفصل عنه هو اهتمامه بالعالم المُعاش لكي يكون أفضل دائما. لقد قال يسوع" أتيت لتكون لهم حياة وليكون لهم أفضل" وكلمة أفضل هنا تعني أن الحياة التي نحياها فضلى وتكون أفضل بالمسيح.

وهكذا يأخذ العالم معنًى جديداً، ليس المعنى الذي يجده العالم في ذاته، لكن المعنى الذي يعطيه له المجتمع المسئول أو الكنيسة، فالجماعة المسئولة مسئولة أمام الله عن العالم وعن الإنسانية ككل، فهي مسئولة عن كل جماعة حيّة بها سواء كانت هذه الجماعة لها هدف سياسي

(حزب) أو هدف اقتصادي (بنك-شركة-مصنع) أو هدف اجتماعي (هيئة خدمات اجتماعية- مستشفى) أو هدف تعليمي (مدرسة- جامعة)، إنها مسئولة عن كل هذه الجماعات أمام الله وذلك من خلال إعلانها لما هو أخلاقي وصحيح من خلال أعضائها المنتشرين في هذه المؤسسات، ومن خلال إعلان موقفها الأخلاقي الواضح في كل قضية يناقشها المجتمع مثل تنظيم الأسرة والإجهاض والقضية الفلسطينية والإصلاح الاقتصادي...... الخ.

إن كان هذا هو معنى الحرية وأسلوب ممارستها فترى من أين نبدأ ؟ هذا ما سوف نتحدث عنه في الفصل القادم .

الفصل الثاني

سقوط الأغلال

أو تحرير الكلمة المقدسة

لقد تحدثنا في الفصل السابق عن أهمية الحرية للكنيسة لكي تفكر في واقعها ومستقبلها، وقلنا أن هذه الحرية تتحقق من الحوار بين الكنيسة وذاتها، وبينها وبين المجتمع المحيط، وبينها وبين من هي مسئولة أمامه وهو شخص الله. والآن نأتي لنتساءل عن تلك الأغلال التي يجب أن تتخلص منها الكنيسة لكي تدرك ذاتها ودورها في المجتمع الذي تعيش فيه وذلك من خلال الحوار المتصل بينها وبين الله والمجتمع.

إن أول ما يجب علينا عمله هو الحوار مع الله من خلال الكتاب المقدس، ومعنى هذا هو العودة إلى الكلمة المقدسة بعد أن نخلّصها من الأغلال التي قيدناها بها حتى نستطيع أن نعيد اكتشافها مرة ثانية لندرك ماذا تقول الكلمة عن عمل الله، وشعبه، ومكانهم في عمله، وطبيعة خدمتهم ففي رحلتنا ككنيسة على طول التاريخ وبانتقالنا من عصر إلى آخر، ومن مكان إلى آخر تُضاف أجزاء على فهمنا للكتاب المقدس من هنا أو هناك، أو تُحذف أخرى. وهذه الأجزاء أصبحت قيوداً على نقاء الفهم للكلمة فإذا تصورنا الكتاب المقدس على شكل مربع كالتالي:

الكتاب المقدس

ولا شك أن الكتاب المقدس يحوي كل ما أراد الله أن يعرفنا إياه، ليس فيه بالطبع كل المعرفة العلمية أو الجغرافية أو النفسية، لكنه كتاب الله للإنسان، فيه ما أراد الله إعلانه للإنسان عن ذاته لكي يدرك وجوده ويعيش بمقتضاه. *"كل الكتاب هو موحى به من الله وصالح للتعليم والتوبيخ للتقويم والتأديب الذي في البر لكي يكون إنسان الله كاملا متأهبا لكل عمل صالح"*. [1] لكن المشكلة ليست في كلمات الكتاب، وإنما في القيود التي تحدّ فهمنا له. والقيد الأول الذي وُضع على الكتاب المقدس هو:

القيد الأول: تقسيم الكنيسة إلى علمانيين واكليروس:

أو ما يمكن أن نسمّيه تعليم أباء الكنيسة، لقد حاول آباء الكنيسة أن يتعاملوا مع الأنظمة الوثنية التي كانت موجودة في زمنهم والتي كانت تهدد الكنيسة سواء من خارج أو من داخل، لذلك وجدوا الحل في وضع نظام هرمي داخل الكنيسة لكي يحفظ إيمانها. وكلمة "Hierarchy" تأتي من كلمتين في اللغة اليونانية تعنيان' الحكم بالكهنة' وبهذا قسّم الآباء

---

[1] رسالة تيموثاوس الثانية ٣ : ١٦، ١٧

الكنيسة إلى علمانيين واكليروس، ولا يستطيع العلماني تفسير الكتاب المقدس، فالاكليروس هم الذين لهم حق التفسير، ونحن نعيش بهذا القيد حتى اليوم حتى في الكنائس المصلحة، وإن اختلف الشكل، فالذين يحكمون الكنيسة هم القسوس. ولنلاحظ مثلا في الكنيسة الإنجيلية أن أول أربعة رؤساء للطائفة[1] كانوا من غير المتفرغين للخدمة ثم تغّير الحال، فالثلاثة الآخرون من القسوس[2]، ولم ينُتخب في تاريخ الكنيسة رئيساً للسنودس من غير المتفرغين للخدمة....و هكذا.

و هنا يصبح المربع هكذا:

تقسيم الكنيسة إلى اكليروس وعلمانيين

الكتاب المقدس

١-١.جرجس بك برسوم (١٨٧٨-١٩٠٢ م)
٢.أخنوخ فانوس روفائيل (١٩٠٢-١٩١١ م)
٣.الكسان ابسخيرون (١٩١١-١٩٤٩ م)
٤.الفريد جندي ويصا (١٩٥٠-١٩٥٦ م)
٢ . ١. د.القس ابراهيم سعيد (١٩٥٧-١٩٧٠ م)
٢.القس الياس مقار (١٩٧٠-١٩٨٠ م)
٣.د.القس صموئيل حبيب (١٩٨٠- حتى الأن)

Church Without Walls - Jem Qetson - Nov press 1993, p 135 2

القيد الثاني: الحضارة أو الثقافة:

نحن كثيراً ما نقرأ الكتاب المقدس من وجهة نظر الحضارة التي نعيشها أو نشأنا فيها، فنحن نعلم أن القيم الإنسانية واحدة في كل العالم لا تتغير مثل الحب والصدق والأمانة والشرف والكرم والشهامة العطاء...الخ. وهذه القيم جميعها نجدها في الكتاب المقدس، لكن ترتيب هذه القيم يختلف من حضارة إلى أخرى، فلو أننا رأينا القيم حسب الحضارة الغربية لوجدنا الحب على القمّة ثم الصدق، وبعدها تأتى الأمانة فالشرف فالكرامة فالكرم فالشجاعة فالشهامة وهكذا، في حين أننا لو رتبنا القيم في حضارتنا العربية لوجدناها العكس، فالشرف والشهامة والشجاعة والكرم يأتون كأولوية، ثم بعد ذلك تأتي الأمانة فالصدق وأخيرا الحب، والدليل على ذلك مثلا أن ريتشارد نيكسون رئيس الولايات المتحدة الأمريكية اضطر أن يترك الرئاسة بسبب فضيحة ووترجيت والتي فيها تجسّس على الحزب المعارض. وتركه للرئاسة لم يكن بسبب التجسس ولكن بسبب الكذب، لأنه عندما سألوه في البداية هل تجسّست أنكر! ثم ثبت بعد ذلك أنه تجسس، ومع كونه واحدا من أنجح رؤساء أمريكا. إلا أن إنجازاته لم تشفع له، وترك كرسي الرئاسة، في الوقت الذي فيه نجد السياسيين والقادة وحتى الخدّام في مجتمعنا يمكن أن يكذبوا بسهولة لمجرد الخروج من مأزق صغير أو إحراج معين اعتمادا على أن قيمة الصدق في حضارتنا ليست بالقيمة الأساسية.

و أيضا عندما نتحدث عن قيمة الحب، فنحن ننظر إلى أي زوج في الغرب يغفر لزوجته خيانتها على أساس أنه لا شرف لهم، لكن الحقيقة تقول أنه غفر كثيرا لأنه أحب كثيراً، ولأن قيمة الحب في حضارته أعلى من قيمة الشرف أو الكرامة، أما في الشرق فالزوج يمكن أن يقتل زوجته الخائنة، ذلك لأن قيمة الكرامة والشرف لديه أعلى من قيمة الحب. إذن ما نعتبره نحن خطيئة من وجهة نظر حضارتنا لا يعتبر كذلك من وجهة نظره حضارة أخرى، وإن كانت القيم واحدة ولكن الترتيب مختلف، هذا الترتيب في القيم حسب الحضارة يجعل نظرتنا للكتاب تختلف فنحن نركّز في الكلمة المقدسة على القيم التي تتوافق مع حضارتنا ونترك التي لا تتوافق، بل أحيانا نعتبر أن التي لا تتوافق مع حضارتنا خطيئة. ونحن نحتاج أن نرفع من على عيوننا عدسة الحضارة لكي نرى الكلمة أكثر وضوحا.

و هنا يصبح المربع كالتالي:

تقسيم الكنيسة إلى اكليروس وعلمانيين

الكتاب المقدس

الحضارة

القيد الثالث: النظام اللاهوتي:

ليس المقصود بالنظام اللاهوتي اللاهوت النظامي، لأن اللاهوت النظامي علم يبحث في كل ما يتعلق بالله بطريقة منظمة. ونحن لا نستطيع أن نتّفهم الكتاب المقدس والله بدون اللاهوت ومحاولة دراسته، والمشكلة تبدأ عندما يتحول النظام اللاهوتي الذي نتبّناه إلى كلمات مكتوبة صمّاء ترفض أية مناقشة، وكما يقول د. جورج بباوى عن حركة المراجعة التي حدثت في القرن الرابع في مصر" إن المشكلة إننا لا نستطيع من خلال نصوص اللاهوتيين أن نشرح السر –أي أن نعلن ألوهية المسيح أو محبة الله لنا– ولكي نتكلم عن لاهوت المسيح بطريقة واضحة يلزمنا خبرة روحية ومعايشة. وقد كان القديس أثناسيوس يدرك خطورة الحرف فصار يقول ليس من الضروري أن نقول" الهموسيس Homousios " أي مساواة الابن للآب في الجوهر (وهي كلمة وُضعت في قانون الإيمان) فكل من يقول إن يسوع له صفات الآب وله طبيعة مثل طبيعة الآب دون أن يستخدم تعبير (المساوي للآب في الجوهر) فإيمانه صحيح" [1] والمقصود هنا أنه عندما يكون الجدل على كلمة لاهوتية يكون الخطر هو أن يتحوّل الإيمان إلى حروف.

و يقول بولس الرسول" إن كان أحد يظن أنه يعرف شيئاً فإنه لم يعرف شيئاً بعد كما يجب أن يعرف "[2] . لقد قضى جون كالفن حياته في

---

[1] بباوى. دكتور–محاضرة ١٩٩٠ ص ١١

[2] الرسالة الأولى إلى كورنثوس ٨: ٢

كتابه " Institutes " وكما ذكرنا من قبل أنه قام بمراجعته في حياته وغيّر فيه أربع مرات، وأعتقد أنه لو كان حيّاً إلى اليوم لقام بمراجعته أكثر من مرة بقدر ما تعطيه الحياة طبقا لنموه الفكري وتفاعله مع التغيرات العالمية، ولأجل هذا نحن نجد طوائف مشيخية عدّة ومختلفة وكلها مؤسسة على تعاليم كالفن، فمنها من تمسّك بحرفيتها، ومنها من أضاف فكر كارل بارث إليها، ومنها من أضاف اجتهادات إليها من لاهوتيين مشيخيين أيضا (ففي كوريا مثلا أكثر من خمسين طائفة مشيخية)، لكن أن نتمسك بلاهوتي واحد منهم فقط وتصبح كلماته مقدسة تساوي كلمات الكتاب هنا تكمن المشكلة، فنحن نرى الكتاب المقدس بعدسة واحدة، ونحن علينا أن نفرّق بين الكتاب كوحي لا يجوز المساس به وبين مفسّري الكتاب المقدس. ونفس المشكلة اليوم مع مفكّري الإسلام فيقول المستشار محمد سعيد العشماوي: علينا أن نفرّق بين الشريعة والفقه_ بين القرآن ومفسّريه، فالشريعة والقرآن لا يتغيران لكن الذي يتغيّر هو الفقه والتفسير، فالفقه والتفسير، يمكن أن يناقش ويثبت صحته أو خطأه ويتغير مع الأيام والمكان والاجتهاد، فما زال البعض من مفكّري الإسلام يعتبرون الفقه وهو ما يساوي اللاهوت عندنا من المقدسات التي لا تمس ويمكن أن تصل إلى المساواة بالكتب المقدسة عند البعض، وهذا يثبت أننا نعيش نفس الحضارة ونفس الزمن. عندما نستخرج الـ Dogma من الكتاب المقدس فهذا أمر طبيعي لكن عندما يتوقف الكتاب المقدس عند الـ Dogma فهذا ما هو غير طبيعي، فالكتاب هو الذي يحتوي على الـ Dogma وليس العكس صحيحاً، وعلينا أن نراجع عقيدتنا

في ضوء الكتاب المقدس مّرة ومّرات، وربما نصل إلى نفس ما وصلنا إليه من قبل، ولكن بصورة أكثر عمقاً أو فهماً واتساعاً أو عصرية. لكن هذا لا ينفي أهمية العودة إلى الكتاب وبطريقة دورية.

<u>وهنا يصبح المربع كالتالي:</u>

تقسيم الكنيسة إلى اكليروس وعلمانيين

النظام اللاهوتي

الكتاب المقدس

الحضارة

القيد الرابع: تصورنا الإنساني عن الله:

لماذا طلب الله من شعبه في القديم أن لا يصنع له صورةً أو تمثال ما، مما في السماء من فوق وما في الأرض من تحت وما في الماء من تحت الأرض؟ هل لأن شعب إسرائيل شعب وثني ؟ المشكلة أن هذه الوصية موجهة إلى الشعب الذي يعرف الرب جيداً، فالرب يقول له في المقدمة "أنا الرب إلهك الذي أخرجك من أرض مصر من بيت العبودية". إذن هذه الوصية ليست لأناس لا يعرفون الله، إنهم يعرفونه تمام المعرفة، لكن مشكلتهم أنهم يضعون لهم تصورات ناقصة عنه لا تلم بكل جوانب شخصيته، فعندما تأخر موسى على الجبل أخذ هارون الذهب

لأنه يمثل لهم يهوة. إذ قال لهم هارون "هذه هي آلهتك يا إسرائيل التي أخرجتكِ من أرض مصر" فالسجود هنا كان للعجل كرمز للإله الذي أخرجهم من مصر، إذن أين هي المشكلة؟ المشكلة في أن هذا التمثال يعبر عن جانب واحد من شخصية الله، ويحجب كل الجوانب الأخرى، فإذا كان العجل يعبّر عن قوة الله فقد أغفل حكمة ورحمة وحنان الله فإن كان قد أظهر جزءاً فقد أغفل الأكثرية من صفات الله، وهذا العمل إهانة لله. فكأن الإنسان يقول للرب إنه يقتصر على القوة فقط أو السلطان أو قتل الأعداء...الخ

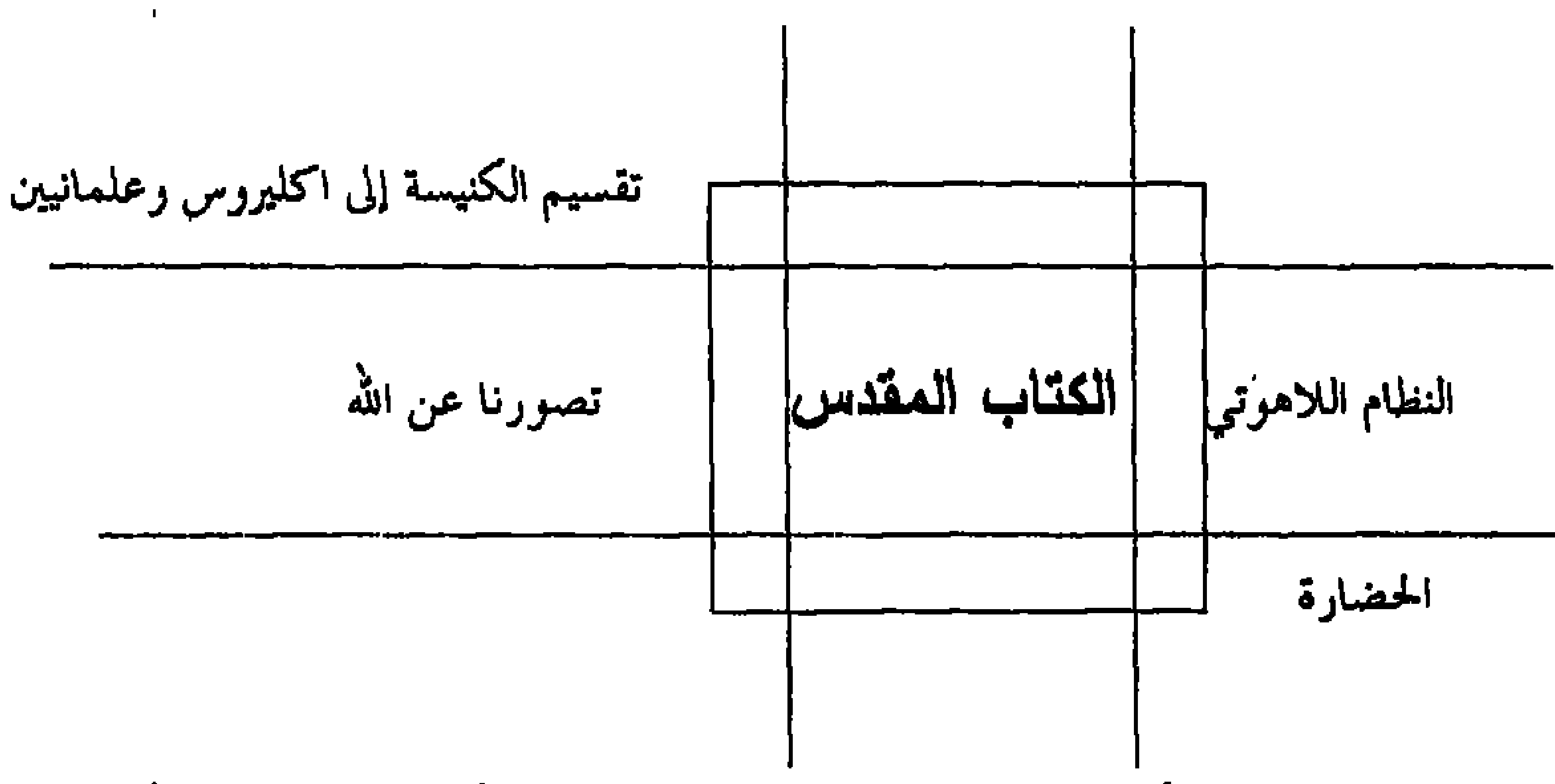
لذلك يرفض الله أن نضع له تصوراً محدوداً عنه حتى في صور المسيح التي نعلّقها على الحوائط، فكل صورة تعبّر عن جزء من شخصية الله. فإذا نظرنا إلى يسوع الطفل أغفلنا يسوع المعلّم، وإذا نظرنا إلى يسوع المصلوب أغفلنا يسوع المُقام، وإذا نظرنا إلى يسوع المقام أغفلنا يسوع المتألم. ولذلك قال بولس أنه لا يريد أن يعرف يسوع حسب الجسد، إن تصورنا عن الله حسب حالتنا يضع قيداً على فهم الكلمة المقدسة، فمثلا كنيسة مصر لأنها تعيش الألم والاضطهاد لأجيال عديدة أصبح تصورها عن الله هو الشخص المسالم المنسحب عن العالم الذي سوف تظهر قوته في الأيام الأخيرة وليس هنا في الأرض أو في الزمن الحاضر.

فى إحدى مؤتمرات إعدادي بالعجمي طلب راعي المؤتمر من

التلاميذ أن يرسم كل واحد تصوّره عن الله، وقد جاءت أكثر من مائتي صورة مختلفة، فمنهم من رسم الله في صورة كرباج أو وجه إنسان قاس أو عصا أو نار أو ماء أو نجم أو شمس، وهناك من رسمه في صورة أم أو راع أو خروف أو صليب، وهناك من رسمه في صورة كتاب أو زهرة...الخ

إن تصورنا عن الله يحد الله ويحد فهمنا له من خلال الكتاب المقدس، وبمقدار ما نترك لأنفسنا ولخيالنا العنان دون أن نضع له أي قيد بقدر ما نستطيع أن نكتشف الله من خلال الكلمة المقدسة، وهكذا .

و بالقيد الرابع سوف يكون المربع كالتالي:



و بتأملنا في هذا المربع نستطيع أن ندرك إلى أي حد يمكن للحضارة، وتصورنا عن الله، والنظام اللاهوتي، وتقسيم الكنيسة إلى اكليروس وعلمانيين أن يقيّد فهمنا للكتاب المقدس، ويعطينا إدراكاً خاطئا عن إرادة الله من نحو كنيسته. ونحن بلا شك لا نستطيع أن نسقط كل

هذه القيود دفعة واحدة، وإلا خسرنا الكثير، لكن على الأقل يجب أن نضعها في خلفيتنا لكي تكون لنا مساحة من الحرية ونحن نقرأ الكلمة ونفسّرها، فلا نجعل أحد هذه القيود يسيطر على فهمنا فينحرف بنا عن المعنى الصحيح والكامل والنقي لكلمة الله. ومن هنا نستطيع أن ننطلق ندرك إرادة الله الصالحة المرضية الكاملة من نحو كنيسته.

الفصل الثالث

كنيسة مصر وأجندة عملية للقرن ال٢١

لقد كان القرن العشرون فرصة عمل ضخمة للحركات التجديدية على مستوى العالم، ويمكن أن نذكر ستاً من هذه الحركات:

أولاً: في عام ١٩١٠ عقد مؤتمر العالم المرسلي في أدنبرة وخرجت منها حركة نمو الكنيسة والتي أسسها د.دونالد مجافرن Donald Mcgavran ، وحركة لوزان لكرازة العالم في لوزان ١٩٧٤ ومانيلا ١٩٨٩.

ثانياً: حركة اللاهوت الكتابي والتي قادها كارل بارت واميل برونر بين الحربين العالميتين، عن الله والكلمة، وكان تركيز اميل برونر على اللاهوت الطبيعي "The Otherness of God and His Word "– وتخفيف كارل بارت من فكرة عصمة الوحي، وقد نوقشت أفكارهم وحُللت بأسلوب علمي رصين من عام ١٩٤٥ إلى عام ١٩٦٠ من علماء كتابيين مثل جرهارد فون راد Gerhard Von Rad (العهد القديم) وأوسكار كولمان Oscar Cullmann (العهد الجديد) واللذان ركّزا على وحدة الكتاب المقدس.

ثالثاً: الحركة المسكونية: والتي بدأت فكرتها في أدنبرة ١٩١٠ ثم أصبح لها شكل واضح في مؤتمر مجلس الكنائس العالمي في أمستردام عام

١٩٤٨ وركّز على حاجة الكنائس للوحدة في شهادتهم للعالم.

رابعاً: حركة تجديد العبادة خاصة في الكنيسة الكاثوليكية، وكان الهدف منها تطوير عبادة العشاء الرباني لشعب الرب، وقد أعطاها مؤتمر الفاتيكان الثاني بعداً جديداً.

خامساً: الحركة الكارزماتية الجديدة، والتي بدأت بالتعاون مع الكنائس الرسولية، وكان الهدف منها إعادة القوى الروحية والمواهب الروحية لجسد المسيح.

سادساً: حركة العدالة الاجتماعية والتي أتت من حركة لاهوت التحرير لكي تيقظ الضمير الاجتماعي الإنجيلي، وتقيم توازناً للكنيسة وللخدمة داخلها وخارجها للحثّ على مسئوليتها من نحو العالم.

لذلك نحن نجد أن الإرسالية واللاهوت والوحدة والعبادة والقوة والعدالة هي اهتمام حقيقي وضروري للكنيسة في العالم، وها نحن على أبواب القرن الحادي والعشرين، فماذا كانت نتيجة هذه الحركات الست؟ يقول جون ستوت: إن النتيجة النهائية لهذه الحركات -رغم بعض الإيجابيات التي حققتها – غير مشجعة، وما نحتاج إليه هو رؤية جديدة للتجديد الحقيقي في كل بُعد من أبعاد خدمة الكنيسة.

فى مؤتمر الفاتيكان الثاني كان للكنيسة الكاثوليكية كلمتها "*إن عملية تجديد الكنيسة ضرورة حتمية حتى تكون كنيسة معاصرة لكي تقابل تحديات العالم المعاصر، فالعالم المعاصر يتغيّر بسرعة وحدّة غير عاديين، وعلى الكنيسة أن تحافظ على درجة تجدّدها مع هذا التحّول دون أن تساوم على مستواها الأخلاقي أو تتشكّل من العالم* " .

أما البروتستانت فهم يستخدمون كلمة" إصلاح" و" نهضة". وكلمة إصلاح تعني نوعاً من الإصلاح المستمر للإيمان والحياة في ضوء العودة إلى الكتاب المقدس، أما كلمة " نهضة" فتعني القوى الروحية التي تأتي للكنائس من وقت لآخر فتقوم بعمل تجديد للبشر وتوبة. وكلمة إصلاح تركّز على قّوة الكلمة المقدسة، وكلمة نهضة تركز على قوى الروح القدس. ويقترح جون ستوت أن نستخدم كلمة تجديد Renewal لكي نصف حركة تجمع بين الاثنين.

هذا هو ما حدث في الغرب في القرن العشرين، تُرى ماذا حدث في الشرق؟ إن جون ستوت وهو يحكى عما حدث للحركة الروحية على مستوى العالم في المائة عام الأخيرة لم يذكر شيئاً عن العالم الإسلامي، وهذه هي مشكلتنا. فالعالم الغربي لا يضع في وعيه العالم الإسلامي إلى اليوم حتى بعد أن وصل الإسلام إلى غرف نومهم من خلال التليفزيون وإلى قلب الغرب حيث تُعقد المؤتمرات الضخمة في قلب العواصم الأوروبية، وتُبنى المجمعات الإسلامية التي تحتوى على جامع،

ومدرسة ومستشفى. واللاهوتيون المسيحيون الغربيون يعيشون في عالم آخر، والقليل منهم جداً هو الذي بدأ حواراً مع الإسلام، أو محاولة لفهم التجديد أو الصحوة التي حدثت في الإسلام.

و سنحاول هنا أن نرصد ما حدث في العالم الإسلامي، وخاصة في مصر في خلال المائة عام الأخيرة:

أولاً: مع بدايات القرن العشرين كانت حركة الإصلاح، والتي جاء بها المرسلون من أمريكا واسكتلندا في أوج قوتها، وكانت تُقام النهضات في القرى والنجوع، وتمتليء الكنائس عن آخرها، وكانت هنالك كلية اللاهوت ١٨٦٣، وكلية رمسيس للبنات بالعباسية، ومستشفى الأمريكان في أسيوط، ومدارس ومستشفيات في كل أنحاء الجمهورية .

ثانياً: في عام ١٩١٩ قامت ثورة ١٩١٩ضد الاحتلال الأجنبي، وكان المسلم مع المسيحي في وحدة واضحة ضد المستعمر، وقام الأب جرجيوس بالوعظ في الأزهر، وقام مشايخ الأزهر بالخطبة في الكنائس. وكان للمسيحيين دوراً سياسياً واضحاً على يد مكرم عبيد سكرتير أكبر حزب في ذلك الوقت حزب الوفد، وفي الجماعة التي ذهبت إلى النفي مع سعد زغلول كان هناك أكثر من شخص مسيحي.

ثالثاً : في عام ١٩٢٦ بدأ حسن البنا في الإسماعيلية حركة الإخوان المسلمين مع ستة أعضاء فقط، وأحد أسباب قيام هذه الحركة كما ذكر هو

خوفه من مدارس الإرساليات وجمعياتها التي انتشرت بقوة في الإسماعيلية في ذلك الوقت، وعندما قُبض على جماعة الإخوان عام ١٩٥٤ بعد حادث محاولة قتل جمال عبد الناصر في المنشية كان عددهم قد وصل إلى مليون فرد، وهو أكبر نمو لأى جماعة في العالم.

رابعاً: وبسبب نمو الحركة الإرسالية ونمو حركة الإخوان المسلمين بدأت في الثلاثينات حركة تحديث داخل الكنيسة الأرثوذكسية على أكثر من مستوى، فقد بدأ الاهتمام بتثقيف رجال الدين بالتوازي مع تثقيف الشعب الأرثوذكسي بصفة عامة، وكان ذلك من خلال إنشاء المدرسة الاكليريكية وحركة مدارس الأحد .

خامساً : قيام ثورة يوليو ١٩٥٢ وهي ثورة جيش التف حولها المسيحيون والمسلمون، إلا أنه لم يكن هناك عضو مسيحي في مجلس قيادة الثورة الذي أصبح بعد يوليو سلطة الحكم العليا في البلاد، والذي قام بحظر نشاط الأحزاب السياسية القديمة وخصوصاً حزب الوفد- الذي كان الأقباط عنصراً بارزاً في نشاطه مما أدى إلى اختفاء عدد كبير من القيادات السياسية المسيحية من ساحة الحياة العامة في مصر [١]

سادساً: في الستينات بدأت كنائس الإصلاح (الكنائس الإنجيلية) في

[١] هيكل - خريف الغضب- شركة المطبوعات للتوزيع والنشر بيروت ص ٣٣٧

الضعف والانقسام الذي نتج عن إدارة الكنيسة من خلال القادة المحليين، وكان ذلك مقابل زيادة النشاط في الكنيسة الأرثوذكسية التي بدأت تتجاوب مع مطالب العصر واستخدمت نفس وسائل كنائس الإصلاح- مع احتفاظها بالتقليد- فجذبت الكثيرين إليها حتى من الإنجيليين، في الوقت الذي اتجهت فيه الكنيسة إلى العمل الاجتماعي. وهكذا حقّقت الكنيسة الأرثوذكسية جماهيرية ضخمة.

سابعاً: في عام ١٩٦٧ وقعت الهزيمة المروعة، وكان أثرها مدمراً على الجميع، وبدأ الالتجاء إلى الميتافيزيقا (الغيبيات) وجلد الذات على أساس أنه لو كنا مبررين أو طاهرين لما وقعت الهزيمة، وهكذا التجأ المسلمون والمسيحيون إلى الدين كنوع من الهروب من الواقع، وظهرت السيدة العذراء في الزيتون، وحدثت معجزات شفاء و تكّونت جماعات إسلامية (التكفير والهجرة، والجهاد-...الخ)

ثامناً: ١٩٧٣ قامت حرب أكتوبر بعدها، وحدث الصدام بين الكنيسة والدولة، وفي إعداد السادات للصلح مع إسرائيل بدأ يتجه نحو الدين وأطلق على مصر : دولة العلم والإيمان، وبدأ في تعديل القوانين لتكون مناسبة للشريعة الإسلامية، وترك العنان للجماعات الإسلامية لكي تقضي على الشيوعيين.

تاسعاً: ١٩٧٩ قامت الثورة الإيرانية بقيادة الخميني، وكان لقيامها الدور

الأعظم في إحياء الأمل الإسلامي لصحوة إسلامية تعيد مجد الإسلام، وقد تجاوب مع هذه الثورة الملايين على امتداد العالم الإسلامي، وسببت تهديداً مباشراً لكل الحكومات المجاورة لها.

عاشراً: في عام ١٩٨١ اغتيل السادات بيد الجماعات الإسلامية، وتولى حسني مبارك الحكم، وبدأ الانفراج تدريجياً، إلا أن جماعات الرفض استمرت

حادي عشر: في التسعينات حدث استقرار عام على كل المستويات واشتدت قبضة الحكومة، وبدأ بعض الانفراج الاقتصادي.

ثاني عشر: في الثلث الأخير من القرن العشرين وضح ضعف الكنيسة الإنجيلية حيث إن زيادة عضوية الكنيسة لم تتناسب مع زيادة السكان، كما أن تطبيق النظام الديمقراطي فيها لم يتم بالشكل المطلوب والصحي، كما زاد نشاط الكنيسة الأرثوذكسية. وضعفت الكنيسة بسبب النظم الديكتاتورية. كل ذلك في الوقت الذي انتقل فيه كثيرون من المسيحية إلى الإسلام وازدادت الخلافات داخل المؤسسات الكنسية.

على كل حال نستطيع أن نضع بعض الملاحظات في هذا الأمر:

الأولى: أنه على طول التاريخ المصري شارك المسيحيون في الأحداث والنشاطات الاقتصادية والسياسية مشاركة إيجابية في معظم الأحوال مما

ينهض دليلاً على أن الكنيسة في مصر جزء من المجتمع المصرى تتأثر بأحداثه الجارية، وتخضع لنفس الظاهرة الاجتماعية والاقتصادية والسياسية التي خضع لها المجتمع ككل، والتي شكّلت ملامح الحياة في مصر. وقد أثّرت الكنيسة بقدر أو بآخر في مجريات الأمور في عادات وتقاليد المجتمع بغض النظر عن بعض الحالات التي تعرّضت فيها الكنيسة لبعض الضغوط، ففي أغلب الحالات مارست الكنيسة حياتها اليومية بشتى جوانبها داخل إطار الحياة العامة للمجتمع المصري ككل.

الثانية: إذا رسمنا خطاً بيانياً عن التأليف اللاهوتي والإبداع الفكرى الشرقي نراه يرتفع إلى قمتّه في القرن الخامس، ويهبط قليلاً بعد المجمع المسكوني، ويصل إلى درجة الصفر في السادس والسابع، ثم يرتفع ابتداء من العاشر إلى الثالث عشر، ليعود إلى درجة الصفر في نهاية الرابع عشر. إلى أن تبعث النهضة العربية الكبرى ومشروع محمد علي في القرن التاسع عشر، وتمتد في القرن العشرين.

الثالثة: إن آباء الكنيسة الشرقية في عصر الإبداع اللاهوتي قرأوا ما يسمى بالتراث الوثني بأكمله من فلسفة إلى موسيقى وطب وجغرافيا وعلوم . واتقنوه وهضموه بل واستوعبوه وأدخلوه في كتاباتهم اللاهوتية، وبالتالي ونحن نقترب من نهاية القرن العشرين نرى أن التحدّي الكبير الذي يواجه الكنيسة إنما هو قراءة التراث الإسلامي واستيعابه استيعاباً تاماً كما فعل آباء الكنيسة الشرقية مع التراث اليوناني، والتفاعل معه في

كتاباتها اللاهوتية.

- بعد كل ما قلناه عن القرن العشرين كمدخل إلى القرن الحادى والعشرين، ولكي نضع أجندة للكنيسة لابد وأن نجيب على *السؤالين التاليين:*

السؤال الأول: ترى ما الذي سنواجهه في القرن الحادي والعشرين؟

السؤال الثاني: ما هي مهمتنا في القرن الحادي والعشرين؟

..السؤال الأول: ترى ما الذي سنواجهه في القرن الحادي والعشرين؟

لكل قرن سماته وعلاماته المميزة، والتي تتضح غالباً في المدخل إليه وفي بداياته. ونحن هنا سنحاول أن نرسم ملامح القرن الحادى والعشرين لكي نعرف ما سيواجهنا هناك سواء على المستوى العالمي أو المحلي.

أولا: على المستوى العالمي:

أ) القرية الكونية:

مع عصر المعلومات وشبكات التليفزيون العالمية، أصبح العالم قرية كونية، وانقسم العالم إلى قسمين شمال وجنوب غني وفقير، ولقد تداخلت الأمور وأصبحت الدول الفقيرة تقلّد الدول الغنية، وانتشرت ثقافة (الماكدونالد والكوكاكولا والجينز) وأصبحت هذه حضارة عالمية. كل هذه الأمور ضربت الحضارات في العمق، وكان نتيجتها محاولة البحث

عن الهوية من خلال التعصّب والانحناء على الذات، والتمسّك بالعقيدة لدرجة التطرّف، وأصبح هروب الشباب إما إلى التطرف أو المخدرات.

ب) التحوّل من المجتمع العلماني إلى مجتمع تعدّد الآلهة:

نتيجة للقرية الكونية وسيطرة التليفزيون تحولّ المجتمع العالمي‌بمن العلمانية إلى عبادة أفراد، فالعالم يعبد أي شخص يقدم لهم متعة معينة، سواء كان تمثيلاً أو غناءاً أو رياضة أو حتى وعظاً، فعالم اليوم هو عالم (مارادونا) في كرة القدم و(جوردون) في كرة السلة و(تايسون) في الملاكمة و(مايكل جاكسون ومادونا) في الأغنية و(توم كروز) في التمثيل و(بللى جراهام) في الوعظ...الخ. إنه عالم آلهة على مستوى العالم كله، وإذا تأملنا ما يحدث في مصر سوف نجد أن الأكثر نجوميةً اليوم هم رجال الدين الذين يظهرون في التليفزيون ويتحدثون، وأن الصحافة لا تخلو من أخبارهم مثل فضيلة الشيخ متولى الشعراوي وقداسة البابا شنودة الثالث، وفي باقى المجالات، نجد عادل إمام وأحمد زكى وحسام حسن وعمرو دياب ...الخ

ج) ظاهرة نسبية الحق:

مع ظاهرة الكونية والتحولّ المجتمعي نتجت ظاهرة نسبية الحق وهذه الظاهرة حق يُراد به باطل، فمعنى القول بأن الحق نسبي بالنسبة لما يعتقد به الإنسان، وأننا علينا ألا ندين الآخرين فيما يعتقدون. إلى هنا

يمكن أن ندرك معنى نسبية الحق، لكن أن نستمر بعد ذلك في القول أنه بما أن الحق نسبي إذن فكل حق صحيح في ذاته حتى لو كان مختلفاً ١٠٠٪ عن الحق الآخر، وأن على كل إنسان عدم إعلان الحق الذي يؤمن به لأنها عملية نسبية. ثم أكثر من ذلك، أن عليّ أن أعتقد أن ما أؤمن به نسبي حتى بالنسبة لي، وهنا الكارثة لأننا إن اعتقدنا في هذا فسوف نفقد قدرتنا على التفكير، فكيف نبني حياة أو أسلوباً على ما نؤمن به إذا كان ما نؤمن به ليس مؤكداً. إن فهم النسبية بهذا الشكل هو محاولة لإغلاق عقولنا عن التفكير، فالنسبية معناها أنه لا يوجد مطلق، وما دام لا يوجد مطلق فما معنى أن نسأل: ما هو الهدف من الحياة؟ لماذا يوجد ألم؟ ما هو معنى الخلاص الذي يبحث عنه كل فرد؟ وعندما نهمل هذه الأسئلة بداعي النسبية نحن نفقد المعنى في الحياة.

أما على المستوى المحلي فنحن نواجه ما يلي:

أولاً التحوّل الاجتماعي نحو التحديث

فمع بدايات القرن الحادي والعشرين سوف تستقر عملية تحديث التعليم في مصر مع التقدم الاقتصادي، وإن كان بطيئاً ولا شك أن ترك الفرصة لجامعات خاصة مع التركيز على أهمية الكومبيوتر في التعليم، والانفتاح على الدول الأخرى، كل هذا يصنع ما يُسمي بالتحوّل نحو التحديث، وإن كان سوف يختلط بالأفكار العالمية الأخرى التي دخلت إلينا مثل نسبية الحق ومجتمع تعدّد الآلهة.

ب) الاستقرار واختفاء العنف بالتدريج:

لا شك أن التحسّن الاقتصادي التدريجي مع تبنّي سياسة إعلامية وتعليمية جيدة سوف يخفف كثيراً من حدةّ العنف الديني في العشرين سنة الأولى من القرن العشرين، وسوف تكون هنالك حريات أكثر وتعميق للديمقراطية مما يمثل تحدياً للكنائس في استخدام هذا الجو في إرساء القيم والتخطيط للمستقبل.

ج) ظهور أشكال جديدة للتعبير عن المسيحية غير المؤسسات الكنيسة والهيئات(para- churches):

فلا شك أن المؤسسات الكنسية سوف تمر بأزمة عنيفة في القرن الحادي والعشرين حيث تزداد الخلافات داخلها، وحيث يمسك بزمام أمورها المدارس المتشدّدة مما يهدّدها بالانقسام، وقد فقدت المؤسسات الكنسية مصداقيتها سواء عند الحكومات أو علد الأجيال الجديدة، وكذلك فشلت الهيئات المساعدة para-churches في إثبات أن تكون بدي[illegible] للكنيسة. لذلك إن لم تقبل المؤسسات الكنسية هذا التحدّي وتغير من ذا[illegible] فمن المتوقّع أن تظهر أشكال جديدة للتعبير عن الفكر المسيحي.

د) صراع لم يحسم بعد بين المتشدّدين الإسلاميين والعلمانيين منهم:

و هذا الصراع سوف يستمر في القرن الحادي والعشرين، وإن كان الإسلاميون سوف تقل حدّتهم مع نقص موارد البترول، لكن المعروف أن هذا الموقف المتشدّد هو موقف فقهي نشأ منذ بدايات

الإسلام. وما تدفُق البترول إلا عامل مساعد لانتشار هذا الفكر، لذلك ليس من السهولة القول أن هذا التيار سيختفي تماماً مع نقص البترول لأن له رجاله ومفكّريه ومنظّريه.

هـ) أزمة الأجيال الجديدة:

لا شك أن رؤساء المؤسسات الكنسية والممسكين بناصية الأمور فيها من النجوم سوف يختفون، ونفس الموقف في المؤسسات الحكومية ولا يوجد بديل حاضر لغياب أي نجم من هذه النجوم، وسوف تواجه المؤسسات والكنائس أزمة عند سقوط هؤلاء النجوم في القرن القادم.

و) تناقص عدد المسيحيين:

تقول المؤشرات أن عدد المسيحيين يتناقص في مصر لعدة أسباب منها شريعة الزوجة الواحدة، وتحريم الطلاق بالإضافة الى الأزمة الاقتصادية وتنظيم النسل، والهجرة بأعداد كبيرة إلى الغرب، والانتقال إلى الإسلام. وإن كان هذا ما يواجهنا، فإننا نأتي إلى السؤال الثاني وهو: *ما هي مهمتنا في القرن الحادي والعشرين؟*

أجندة القرن الـ٢١

بعد أن عرفنا بعضاً مما سنواجهه في القرن الحادى والعشـرين، علينا الآن أن نتساءل مـا هـي مهمتنـا ككنيسـة فـي القـرن القـادم؟ قبـل أن تدخل الكنيسة إلى القرن الـ٢١ عليها أن تجلس معاً وتقيّم رسالتها وأهدافها وما حققته في المائـة عـام المنقضيـة، ثـم تضـع لهـا أهدافـاً محـدّدة للقـرن القادم. وإن كنت متفائلا أكثر مـن الـلازم أقـول أنـه يجـب أن تجلـس كـل الطوائـف المسيحية معـاً، لكـي يقيّمـوا مـا حـدث ويتفقـوا علـى الخطــوط العريضة للعمل المسيحي في بلادنـا ويضعـوا أهدافـاً واسـعة تصلـح لكـل كنيسة علـى حـدة، فمـن المسـتحيل وضـع رؤىً جديـدة لا تؤسَس علـى التاريخ وتجربته وما فيه مـن أخطـاء وأمجـاد، فـرؤى المسـتقبل تنبـع من انصهار القديم والجديد معاً، ولابد أن نعرف جميعنا أن الاختلاف بيـن الكنائس المسيحية في مجتمع أقلية هو ترف نحن لا نستطيع أن نمارسـه، وقد كان مــن نتيجتـه فـي نصـف القـرن الأخـير كـوارث عشـناها جميعـا، ومازلنـا نعـاني منهـا، وإذا كنـا نجلـس معـاً فـي مجلـس كنـائس الشـــرق الأوســـط، وفي مجلس الكنائس العالمى، وذلك لأن هيئة عالميـة تجمعنـا ولأجل أهداف محددة، ألا نسـتـطيع أن نجلس معاً لأجل مسـتقبل كنائسـنا المحلية ومستقبل الوطن الذي نعيش فيه ويعيش فينا على حـد قـول قداسـة البابا شنودة الثالث؟ إنها دعوة يمكن أن يقوم بها قداسته، وسوف يجد كل الطوائـف تسـرع للتجاوب والجلوس معـاً لأجـل كنيسـة القـرن الواحـد والعشرين وخدمتنا الوطنية في مصرنا العزيزة..

و إذا أردنـا أن نضـع أهدافـاً للكنيسـة فـي القـرن الــ ٢١

كموضوعات للمناقشة سوف نجد أن أهداف الكنيسة في كل زمان ومكان وتحت أي ظروف أو أي حكم هي أهداف معروفة وغير متغيرة إلا في أسلوب تحقيقها، ويمكننا أن نجمل هذه الأهداف في قضية تطوير الكنيسة في جميع المجالات لتكون قادرة على تقديم الخلاص، ومن خلال هذه القضية تتفرّع الأهداف وتتشّعب، لذلك ينبغى أن يكون للكنيسة وجوداً مؤثراً ومغّيراً لا وجوداً سطحياً وهامشياً، وعلى هذا فإن هنالك أهدافاً ينبغي أن تستبعدها الكنيسة بل وترفضها، وهناك أخرى يجب أن تسعى إليها وتحققّها، أما الأهداف التي ترفضها الكنيسة إذ هي ليست من صميم رسالتها فهي:

ا) تاسيس دولة مسيحية:

يقول المطران جورج خضر" أن تدين الدولة بدين أمر لا معنى له في الفكر المسيحي، الشخص وحده يكون مسيحياً " [1]

و يذهب كوستي بندلي إلى أن " خيانة المسيحيين التاريخية حدثت منذ تنّصرت الدولة الرومانية بشخص قسطنطين، إنهم إجمالاً، حاولوا أن يبنوا ملكوت الله في الأرض على شاكلة ملكوت قيصر" [2] .
ويقول قداسة البابا شنودة الثالث' "هل من مصلحة الأقباط أن توجد لهم دولة، إن أمن الأقباط وأمانهم يكون في اختلاطهم بإخوانهم المسلمين اختلاطاً كاملاً– أقول صراحة لو عرض علينا الأمر لرفضناه تماماً..

---

[11] جورج خضر. مطران. الكنيسة والدولة ص ٣٨ .

[2] كوستى بندلي. موقف ايماني من الطائفية ص ٧٦.

وليس في مصلحتنا في شيء"[1]

ب) تأسيس حزب مسيحي:

يقول د.ق. صموئيل حبيب رئيس الكنيسة الإنجيلية بمصر" إن الكنيسة لا تشترك رسمياً في حزب سياسى، ولا ترتبط ببرنامج سياسي لزعيم ما، لكنها تدعو الشعب للاشتراك في الحزب الذي يستريح له كل فرد، وبذلك تترفع الكنيسة بنفسها فوق الأحزاب"[2]

و يقول البابا شنودة ° رفضت تكوين حزب مسيحي حتى لا يكون سبباً في انقسام، فإذا وجد حزب مسيحي فمعنى ذلك أنه سيكون حزباً عنصرياً تكون له نتائج سيئة[3]

و بناء على ذلك فليس للكنيسة هدف إمساك الحكم لكن لها آراء سياسية تتحقّق من خلال أعضائها الموجودين في الأحزاب المختلفة، وتتفق مع المباديء العامة بين إرساء للقيم ومحاربة للشرور لتغيير المجتمع إلى الأفضل عن طريق تثبيت قيم العدالة والسلام وتبنّي قضايا مثل حقوق الإنسان والديمقراطية والوقاية من الإيدز والقضاء على الفساد...الخ.

---

١ محمود فوزي، حوار محظور النشر ص ٤٨

٢ صموئيل حبيب د.ق. الكنيسة والدولة ص ٦٤

٣ محمود فوزي، حوار محظور النشر ص ٤٨

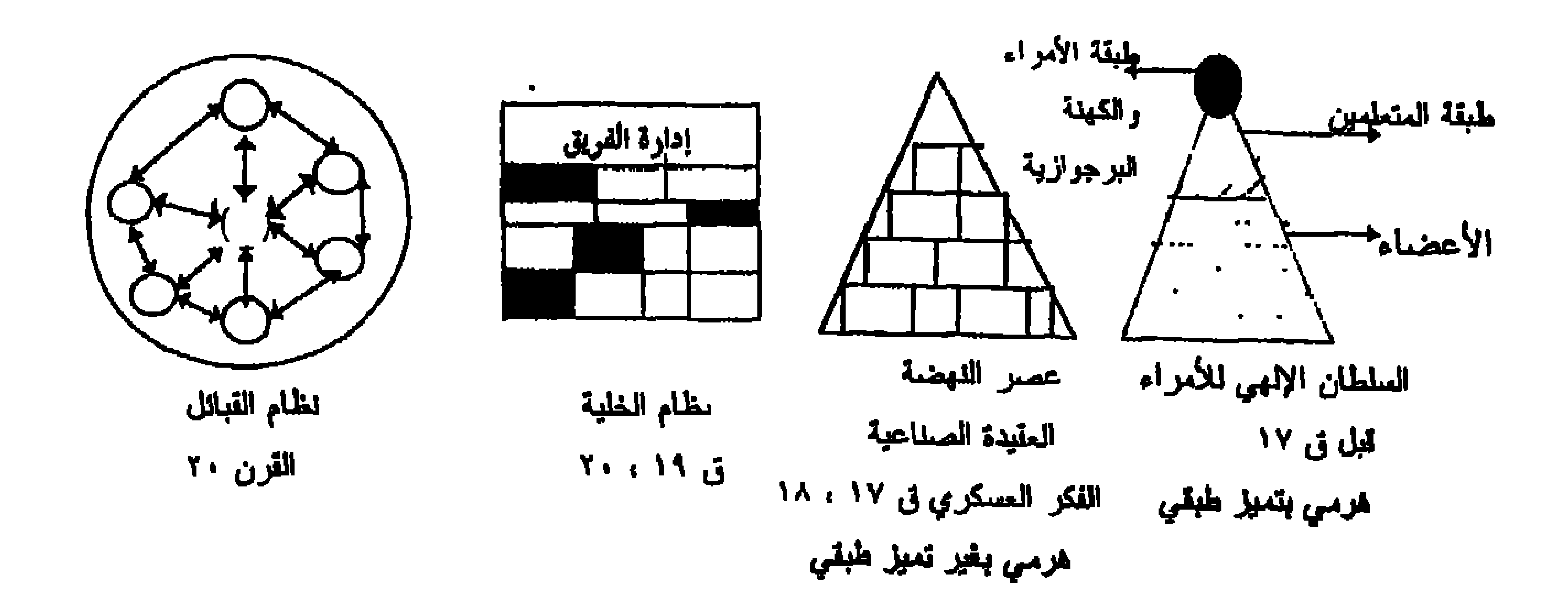
أما الهدف الأعظم للكنيسة، وهو نفسه الألم الأعظم هو هدف:

تطوير الكنيسة

كيف نصل إلى كنيسة متطوّرة في جميع المجالات سواء في إدارتها أو كرازتها أو عبادتها؟

أولاً : في أسلوب إدارتها:

لا شك أن النظام الإداري والمتبّع في معظم الكنائس اليوم أثبت أنه غير قادر على التوافق مع العصر، وعلى تحقيق الهدف منه، فإما أن تكون الإدارة فردية ديكتاتورية تتجمّع فيها كل الخيوط في يد شخص واحد. وهي مركزية تجعل الجسد كله مترهّلاً وغير قادر على العمل بديناميكية صحيحة، أو ديمقراطية بأسلوب خاطيء تحوّلت إلى فوضى ضاربة وظهور مراكز قوى أبعد ما تكون عن الديمقراطية الصحيحة، مما جعل الجسد أيضاً مريضاً متعباً غير قادر على القيام بالأعباء الموضوعة على كتفيه، لذلك فهنالك مشكلات متعددة تصاحب التطبيق العملي للديمقراطية لأسباب كثيرة منها العصبيات القبلية، وعدم النضوج الحضاري، وتغليب النواحي الوجدانية. لذلك يجب أن يعاد النظر في تفاصيل هذه الأنظمة بما يتناسب مع القرن الـ٢١ ويتناسب مع الشعب المصري في تراثه وثقافته، يلائم طبيعة البيئة المصرية. ولقد مّر النظام الإداري الكنسي منذ فجر الكنيسة بأربعة مراحل طبقاً لتطّور المجتمع والحضارة البشرية :



هرمي بتميز طبقي	هرمي بغير تميز طبقي
١ – تقييد حرية اختيار القائد	١ – إطلاق حرية اختيار القائد
٢ – الاتكال الكامل على القمة	٢ – عدم الاتكال الكامل على القمة
٣ – طريق واحد للاتصال بين الله والشعب	٣ – طرق كثيرة للاتصال
٤ – طرق خاصة لاتخاذ القرار	٤ – طرق عامة (جمهورية) لاتخاذ القرار
٥ – التقييم في يد شخص واحد	٥ – التقييم يتم ميكانيكياً داخل الجماعة
٦ – التنسيق للأهداف بمقياس كل خطوة	٦ – التنسيق للأهداف يوزع كل خطوة على مجموعة عمل ليحققوها
٧ – طبيعة البيئة الهدوء والسكينة	٧ – طبيعة البيئة الحركة والعنف

ولقد اختلطت هذه الأنظمة بعضها ببعض في القرن العشرين في مصر، فالكنائس التي تتبنى الديمقراطية اتجهت إلى المركزية وديكتاتورية الرعاة

ولقد اختلطت هذه الأنظمة بعضها ببعض في القرن العشرين في مصر، فالكنائس التي تتبّنى الديمقراطية اتجهت إلى المركزية وديكتاتورية الرعاة في كنائسهم- ربما لأسباب حضارية- وأيضاً اشتدت قبضة رؤساء الكنائس التي تأخذ بالنظام الهرمي. وكان نتيجة ذلك خروج حركات غاضبة كثيرة منها .

والآن ما هو النظام الذي يصلح للكنيسة في مصر القرن الحادي والعشرين؟ نحن في حاجة إلى الاستعانة بخبراء في علم الاجتماع والإدارة، ويمكن أن تكون هنالك ورشة عمل ضخمة خلال المؤتمر المقترح للكنائس الثلاث في السنوات القليلة القادمة لوضع تصورات عملية وواضحة لنظام كنسي كامل يحقق الديمقراطية دون فوضى في القرن الحادي العشرين ،وتطبقّه كل كنيسة على حده .

ثانياً : في أسلوب كرازتها ودعوتها:

لا شك أن مضمون الرسالة واحد في كل زمان ومكان، لكن على الكنيسة في مصر أن يكون لها الأسلوب الخاص بها، فهي تحتاج إلى إعادة النظر في الشكل في ضوء الظروف والبيئة التي تعيش فيها الكنيسة بأن تكون قريبةً إلى البيئة متفاعلةً معها توجّه رسالتها إلى الأمة ككل في توجه اجتماعي أخلاقي، ورؤية واضحة لأسلوب إدارة الصراع داخل المجتمع.. وبناء عليه:

أ) على الكنيسة ألا تخجل من رسالتها:

عندما نقرأ سفر الأعمال والرسائل نلاحظ أن الكنيسة تحمل رسالة تدرك بأنها أعظم رسالة يمكن أن يحملها بشر، وأن إنسانية حامليها لا تتناقض مع كونها رسالة إلهية، ويقول بولس" *لست أستحي بإنجيل المسيح لأنه قوة الله للخلاص لكل من يؤمن لليهودي أولاً ثم لليوناني*" [١]

إن الإعلان الواضح عن حقيقة الخلاص كان هو رسالة الكنيسة الأولى، وعلى الكنيسة اليوم أن تؤكد وتركّز على خطية الإنسان وفساده، وعلى حقيقة التغيير الذي يحدث في حياة البشر بقبولهم يسوع المسيح في حياتهم وأن تركّز على الشرور الاجتماعية والخطايا العامة وعن أهمية الخلاص.

ب) على الكنيسة أن تركّز على حياة الملء بالروح القدس:

لابد للكنيسة أن تدرك احتياجها الدائم لأن يكون أفرادها مملوئين من الروح القدس، علينا أن نركز على الحياة الروحية المرتفعة بين أعضاء الجسد الواحد، وعندما نمتحن أنفسنا كأفراد ومؤسسات سندرك الحاجة إلى التدقيق في سلوكنا وتصرفاتنا، وسنتبيّن أننا بحاجة لمعانٍ جديدة للحب والفهم والتعاطف وقبول الآخر والمختلف، إننا بحاجة إلى نوعية من العلاقات الجديدة معاً من خلالها نكسر الحواجز التي تقف بيننا، إن سيطرة الروح القدس على حياتنا ليس مجرد مجموعة من المواهب التي نمارسها، بقدر ما هو نوعية جديدة من الإيمان، وليس الإيمان فقط بل الغفران والمسامحة والحب بقوى جديدة. إنها حياة التحوّل من السلبية

---

[١] الرسالة إلى رومية ١: ١٦

والاكتفاء بالموقف الوسط إلى الإيجابية والفاعلية، من التأثر إلى التأثير.

ثالثاً: أن يشمل التطوير أيضاً أسلوب العبادة والشركة:

لا شك أن شكل العبادة في الكنائس الأرثوذكسية (من أيقونات وبخور ومذابح..الخ) يقترب في ذهن الإنسان من شكل وطقوس العبادة اليهودية والوثنية، وعلى الطرف الآخر نجد أن العبادة في الكنائس المصلحة (وعظ وترانيم وألحان..الخ) يقترب في ذهن الإنسان غير الكنسي من شكل العبادة الغربية. لذا فإن العبادة أيضاً تحتاج إلى أن تقترب من حيث الشكل والإخراج إلى البيئة الشرقية العربية بكل تراثها وثقافتها، وعلى سبيل المثال فإن ألحان الترانيم يجب أن تكون شرقية ليتذوقّها المستمع ويحبها، ويجب أن تكون هنالك أشكالاً جديدة ومتجدِّدة في العبادة فلا يكون هنالك الأسلوب الواحد المتجمِّد في كل الاجتماعات مما يجعل الحضور يمل لأنه يكِّرر نفس الكلمات ونفس الأسلوب ونفس النهج..نحتاج إلى تغيير شامل في أسلوب العبادة.

و لقد كانت الكنيسة الأولى تهتم اهتماماً غير عادي بالشركة وقد جربوا أشكالاً كثيرة ومتعدِّدة، جربّوا بيع كل شيء وعاشوا حياة مشتركة، ولكن هذا لم يستمر وكانت هناك ضعفات كثيرة لهذا النظام، فقاموا بغسل أرجل بعضهم البعض، ولكن أيضا توقّف هذا النوع من الشركة بسبب الزيادة العددية بصورة ضخمة ثم، أقاموا ولائم محبة ولكنها لم تستمر بسبب تجاوزات أخلاقية، لكنهم في كل هذا لم يقفوا أو ييأسوا، لقد كانوا

دائما خلاّقين في كيف تكون لهم شركة بينهم و بين بعضهم البعض، والكنيسة اليوم في أمسّ الحاجة لأن تكون خلاّقة في الشركة في عصر تباعد فيه الأفراد عن بعضهم البعض، وانعزل الإنسان عن أخيه الإنسان، وعلى الكنيسة أن تناقش بكل وضوح وصراحة كل ظروفها المحيطة، وتخلق نوعاً جديداً من الشركة يناسب العصر الذي تعيش فيه وتتناسب مع طبيعة إنسان القرن الواحد والعشرين.

إن بيننا الكثيرين الذين في حاجة إلى معونة روحية ونفسية ومادية..وعلينا أن نتعلّم كيف نصلّي من أجل هؤلاء، كيف نقبل الآخرين كما هم، ونعيش حياة الشركة. إن الكنيسة لم تفشل في تحقيق الشركة رغم فشل الوسائل الكثيرة، بل كانت دائما تخلق في كل جيل أشكالاً جديدة للشركة. إن التحدّي الذي يقف أمامنا في القرن القادم هو تحقيق شكل جديد للشركة الكنسية يتناسب مع العصر.

رابعاً: أن يشمل التطوير أيضاً لغة الكنيسة:

من الملاحظ أن معظم التعبيرات والألفاظ والمصطلحات التي تتكلم بها الكنيسة غير مفهومة لأي شخص بعيد عن الكنيسة أو خارجها، فالكثير جداً من هذه المصطلحات يحتاج إلى إعادة صياغة من جديد، والكثير أيضاً في حاجة إلى ترجمة جديدة أو تعريب، تعريب يستطيع الدخول إلى الإنسان غير الكنسي، فحتى الإنسان المسيحي الذي لم يتعّود حضور الكنيسة يشعر بغربة شديدة عندما تدعوه الظروف لأن يدخل إلى الكنيسة، إن الكنيسة في المجتمع المصري عليها أن تقوم بأمرين:

أولاً: أن تقدم لاهوتاً عربياً مصرياً، كما أسلفنا القول.

الثاني: أن تغيّر من شكلها ونظامها لتكون أكثر موائمةً مع ذاتها وطبيعتها الشرقية المصرية، ومع المجتمع الذي تعيش فيه. وأن يكون هذان الأمران موضوع ورشة عمل أخرى للكنيسة في الأربع سنوات القادمة.

خامساً: تطوير الدور النبوي للكنيسة في المجتمع:

إن مصادر الالتزام بالدور النبوي للكنيسة في مجتمعها يتلخص فيما يلي:

١- الوعي بإنسانية المسيحيين(هم بشر)

٢- الوعي بواجباتنا الاجتماعية الأخلاقية.

٣- الوعي بمسئولية ممارسة مواطنتنا كتعبير عن القداسة.

إن التاريخ يتحدث إلينا عن الكنيسة التي قدمت الحضارة إلى العالم، فقد علّمت الكنيسة الجاهل، وأقامت المعاهد والمدارس والمستشفيات، فالكنيسة هي التي قامت بعملية التنوير في العالم كله، فمنذ العهد الرسولي، والكنيسة تقوم بدور أساسي وهام في تقديم الاستنارة لكل المجتمعات، لقد أسست الكنيسة فصول محو الأمية في كل أنحاء العالم تقريباً ومستشفياتها ومدارسها تشهد بذلك، ففي أوغندا مثلاً تجد أن كل المستشفيات الأهلية مسيحية، وكذلك كل المدارس ما عدا أربعة بدأتها الحكومة، ليس ذلك فقط بل تطوير الزراعة وتنمية الصناعة في معظم المجتمعات تقوم بها منظمات مسيحية. لقد غيّرت الكنيسة مجتمعات بأكملها اقتصادياً واجتماعياً، إن دور الكنيسة في تحديث المجتمع لا يمكن إنكاره، وفي مصر ومع مشروع محمد على، وفي عهد الخديوي إسماعيل

بالذات أسست أول مدرسة للبنات ومدارس ملحقة بالكنائس ومستشفيات كثيرة ومتعدّدة، وهنا يتضح معنى المسيحية العملية. وفي القرية المصرية تعتبر الكنيسة مركزاً للاشعاع، ويشجع الراعي الكل على التعليم والفهم المتبادل، وفي كل مناسبة يجتمع فيها الناس للاحتفال بالمناسبات القومية في الكنيسة، خاصة إن كان يتبع هذه الكنيسة مدرسة أو عيادة، تكون مناسبة لكل القرية بكل مستوياتها، ويلتقي المسلم مع الأرثوذكسي مع الإنجيلي في وئام وحب، ويعتبر الراعي هو محامي القرية وأستاذها وصانع السلام فيها ويتطلّع الناس إلى الكنيسة لتعليم أولادهم ورفع مستواهم الاقتصادي. وهذا الأمر متكرر في كل العالم الثاني والثالث، فكونك مسيحياً فهذا يعني أنك إنسان متحّضر، والتحضّر و التحديث الذي تقوم به الكنيسة هو التحديث الحقيقي، لأن التحديث العلماني يعتمد فقط على المادة دون الروح أو الأخلاق فقد أسقط من حسابه إنسانية وروح الإنسان، إنه تحديث مزّيف وليس حقيقي واستنارة مزّيفة وليست حقيقية فأين التحديث والحضارة في أنانية الإنسان، وانعزاله بتحديثه عن أخيه الإنسان.

إن على الكنيسة الإنجيلية في مصر أن تدرس ماذا حدث لكنيسة القرية اليوم. لقد كانت كنيسة القرية تجمّعاً للتحديث والتحضّر حتى نهاية الستينات..و ما زال البعض منها حتى اليوم، ما الذي جعل راعي القرية وكنيسته ينكمشان داخل الكنيسة؟! سؤال هام لابد من الإجابة عليه لأجل كنيسة القرن الـ ٢١.

إذن ما الذي يمكن أن تفعله الكنيسة بشكل عملي، وفي شكل خطوات واضحة للمستقبل في القرن الـ٢١ كبرنامج عمل منظم.

أولاً: على الكنيسة أن تُعضِّد، ويكون لها حضور في مجهودات الدولة، والهيئات الأخرى لتطوير نوعية التعليم، والخدمات الصحية، وتنمية المجتمع، والتأمين للمحتاجين، وإعداد أولئك الذين يشاركون في هذه الخدمة إعداداً روحياً ولاهوتياً صحيحاً.

ثانياً: أن تشارك الكنيسة في الصراع والنضال الذي تعانيه الدولة كدولة نامية في العلوم والتكنولوجيا وفي النظام غير العادل، وعدم الاستقرار السياسي، والأزمة الاقتصادية، والفراغ الروحي، وألا تنعزل بذاتها.

ثالثاً: أن تلتزم الكنيسة وتنتمي إلى رؤيا جديدة للتنمية والتحديث بالحضور الفعّال لأجل تحرير الإنسان كاملاً وإعطائه حقوقه وكرامته.

رابعاً: تعضيد القوانين التي تنادي بالمساواة بالحق والعدل، وأن تأخذ دورها النبوي في محاربة الشرّ الاجتماعي المستفحل، والفساد العام.

خامساً: أن تلتزم وتعمل على دراسة وتقوية وتنمية القيم الأخلاقية الحضارية الإيجابية العامة، والتي تسود المجتمع حتى لو لم تتسم بالسمة

المسيحية، لتكون هذه الفضائل العامة أساس التنمية في المجتمع ككل.

سادساً: التأكيد على حقوق المرأة والطفل والشاب، لكي يكون لهم حضور على جميع المستويات التعليمية، وفي كل المنظمات الحكومية والأهلية، وبالأولى الكنيسة لكي يأخذوا مسئولياتهم، ويساهموا بطريقة فعّالة، وحرية كاملة.

سابعاً: تعضيد كل جهد لحماية البيئة العامة المحيطة.

ثامناً: العمل بقوة وجهد غير عاديين لتحقيق الوحدة والمشاركة الفعّالة لجميع البشر في القطر كله مهما اختلفت الديانات أو الأجناس أو التوجهات الحزبية.

تاسعاً: العمل على أن تكون مصر دولة محايدة دينياً، وليست علمانية. وذلك لأن معنى العلمانية هو رفض الدين، أما المحايدة فهي التي تقبل جميع الأديان في ظلّها، وتتعامل بأخلاقيات عامة تشمل الجميع ولا تنحاز لدين معين.

عاشراً: تطوير وتعضيد كل الأنشطة الروحية والتعليمية، إنجيلية كانت أم غير إنجيلية، مسيحية كانت أم غير مسيحية، ولا شك أن تنفيذ هذا البرنامج يحتاج إلى توحّد وجهد وقدرة على العطاء، فعلى الكنيسة أن تجلس معاً، وتفكّر بطريقة موضوعية علمية، وتقوم بدراسة كل بند

على حدة وتوزع هـذه الأدوار على مجالســها ومجامعها وأسقفياتها – إن حدث التوحد الذي نتطلّع إليه– أما إذا لم يحدث فلتقم كـل كنيسـة على حدة بتنفيذ برنامجها على أن تكون هنالك جدولة وتوقيتـات، وخلـق جهـاز متكـامل يقـوم بالتنسـيق، والتنفيذ علـى خطـوات حتـى تسـتطيع أن نواجـه تحدّيات المستقبل.

خاتمة :

في النهاية أستطيع القول بأن الكنيسة في مصر تحتاج إلى ثورة داخلية، مـن خلالهـا تتغير اللغـة والأسلوب والإدارة والفلسفة، وبهـا تصبـح الكنيسـة جـزءاً مـن مجتمعهـا تعيش قضايـاه وتتفـاعل مـع مشــــاكله، ويومهـا لـن تخشـى الكنيسـة مـن تطـرف دينـي أو اضطهـاد مدنـي، فلقد أصبحت جزءاً لا يتجزأ من المجتمع ترتفع بارتفاعه، وتهـوى بهبوطه، ولن يكون ألمها سوى ألم الرائد الذي يريد أن يحقق حلمه بتغيير مجتمعـه إلـى الأفضـل روحيـاً و اجتماعياً وسياسـياً، فعندمـا تعيـش الكنيسة واقعها بعمق وتفّهم، وعندما تستلهم الكنيسة من ماضيها ما يثري وجودها ويغنيه، فسـوف تشـارك فـي صنـع مسـتقبل مصـر، ولـن يعوقهـا عائق.

....إن المهمة ثقيلة وليست بالسـهولة المكتوبـة بهـا، خاصـة فـي هذا الوقت بالذات، ونحن نخشى أن نعزف اللحـن الخطـأ، أو نبدأ بمفتـاح موسيقي خاطـيء...أما إذا كنا ككنيسـة نؤمـن ونريـد أن نسـاهم بشـيء لـه

معنى في وطننا العزيز الذي يعيش عصر التحولات، فيجب أن يجعلنا إيماننا هذا وإرادتنا هذه على استعداد دائم للمغامرة...

الفصـــل الرابع

لاهوت مصرى عربى معاصر

في عـام ١٩٨٠ قـدم د.ق. عبـد المسـيح اسـطفانوس خطـاب حفـل كليـة اللاهوت بعنوان: نحو لاهـوت مصـرى عربـى معـاصر، ولقـد كـان لهـذا الخطاب الصدى الواسع فى الكنيسة حتى أن سنودس النيل الإنجيلي قـرر تشـكيل لجنـة مـن اللاهوتييـن فـى تنفيـذ هـذه الفكـرة و إخـراج اللاهـوت المصـرى العربى المعاصر الـى النـور، إلا أن اللجنـة لسـبب أو لآخـر لـم تستطع أن تجتمع أو تعمل شيئاً، فأعاد السنودس تشكيل اللجنة مرة أخـرى بأشخاص مختلفين إلا أنه تكرر نفس الشيء ربما الخوف من الاجتهاد، أو لاعتبار أنه ليس فى الإمكان أبدع مما كان أو لأسباب أخرى غير معروفة لديّ، ولأنه عادة أن من يكتب تقرير اللجنة فرد واحد لذلك فسوف أعطـى لنفسى الحق فى كتابة تقرير هذه اللجنة التى لم تجتمع منذ ستة عشـرعاماً رغم أنى لست عضواً فى أى من اللجنتين، و كونـى سأحاول كتابة تقريـر اللجنة لا يعنى ادعائى بأني لاهوتى، فهذا ليس شـرطاً لعضويـة اللجنـة، ولكن هى محاولة قابلة للمناقشة.

ولاشـك أنـه لـم يسـبق فـى العصـر الحديـث أن كـانت هنـاك محاولات لاجتهادات لاهوتية بطريقة منظمة فى مجتمع له ثقافة إسـلامية،

والسبب الأول لهذا الأمر هو أن الكنيستين الأرثوذكسية والكاثوليكية قد انتهى الآباء من وضع اللاهوتيات الخاصة بهما قبل ظهور الإسلام سواء كان كتابة أم شفاهة، و لقد نجحت الكنيسة الأرثوذكسية فى مصر فى الوصول الى العالم المصرى القديم عندما تبنّت حضارته وتحوّل مفتاح الحياة إلى صليب، وتحولت الحركة المسيحية فى القرن الأول إلى مؤسسة لها هياكلها و كهنتها وأديرتها...الخ. وقد كان هذا الشكل واللاهوت مقبولا جدا سواء من اليهود الذين هاجروا إلى مصر بعد خراب أورشليم أو من الحضارة المصرية القديمة، لكن الكنيسة المرسلة واجهت إرسالية دخول الإسلام إلى مصر، والعرب الذين جاءوا بالإسلام كانت لهم حضارتهم المختلفة تماماً عن حضارة المصريين حضارة المعابد والهياكل، فقد كانت حضارتهم أبسط من ذلك بكثير حضارة الصحراء والخيمة، حضارة السيف والحصان، لذلك كان على الكنيسة أن تحاول استيعاب الحضارة القادمة وأن تقيم معها حواراً أو أن تقدم لها اللاهوت المسيحى بصورة مفهومة لهم بدلاً من المسيحية ذات الخلفية الفلسفية اليونانية واللاهوتية اليهودية، إلا أن المؤسسة فى ذلك الوقت لم يكن لديها اللاهوتيون القادرون على القيام بذلك فضلاً عن ضعف الكنيسة وخلافها مع الكنيسة البيزنطية مما سهل دخول الإسلام والترحيب به دون محاولة منهم لإعادة صياغة الرسالة المسيحية لتكون مقبولة ومفهومة للوافدين الجدد، وإن كان قد حدث نوع من الحوار

الإسلامي المسيحى وصل إلى قمته فى القرن الحادى عشر على يد اللاهوتى العظيم أبو الفرج الطيب[1] وغيره من اللاهوتيين العرب. لكن من ذلك الوقت وإلى اليوم لم تحدث أية اجتهادات من أى نوع. أما السبب

---

[1] أبو الفرج الطيب من اللاهوتيين البارزين الذين اهتموا بالحوار الإسلامي المسيحي وهو من علماء الكنيسة النسطورية، وقد أنكر أبو الفرج هذا فى دفاع له باللغه العربية قال فيه ان نسطور شخص يونانى ونحن سريان لا نعرف اليونانية و لا علاقة لنا بنسطور، ثم يؤكد ان الكنيسة تؤمن بأن المسيح اله متجسد و انه الكلمة المتجسد اذن هو مسيحى شرقى لا علاقه له بالهرطقة النسطورية، وقد وصل أبو الفرج إلى قمة التنظير فى رده على سؤال حول النبوات بأن المسيحية لا تناقش نبوات لكنها تناقش تدخل الله بذاته لخلاص الانسان، فالمسيحية هى تجاوز للنبوات فى العهد القديم إلى تجسد الله فى الجديد ولذلك فالسؤال واجابته بالنفى أو الايجاب لاعلاقة له باللاهوت المسيحى. فاللاهوت المسيحى فى عمومه لا يرفض تعامل الله مع الشعوب بطرق مختلفة ومتنوعة لكن هذه الطرق لا تتعارض مع الخط الرئيسى و هو تعامل الله مباشرة مع الانسان متجاوزا مرحلة الوسيط (د.بباوى – محاضرة ١٩٨٤)، و هو نفس ما عبر عنه البابا يوحنا بولس فى زيارته الاولى لبولندا مسقط رأسه فى ٢ يونيو عام ١٩٧٩.

و كانت بولندا فى ذلك الوقت تحت الحكم الشيوعى و قد استقبله أربعمائة ألف بولندى. وفى صلاته معهم" قال: " لا يمكن استبعاد المسيح من التاريخ الإنسانى فى أى مكان من العالم...من أى خط عرض أو طول على هذه الارض..ان استبعاد المسيح من التاريخ الانسانى هو خطيئة ضد الإنسانية (جريدة الاهرام ٨ ديسمبر ١٩٩٦ فى عرض كتاب قداسة البابا تأليف كارل برنستون و ماركوبولى). و قد اعتبر الكثيرون هذه الكلمات هى بداية الثورة على الشيوعية فى بولندا و فى كل العالم الشرقى بعد ذلك.

الثانى لعدم وجود مثل هذا اللاهوت فهو أن اللاهوتيين الغربيين والمصلحين منهم مثل مارتن لوثر وجون كالفن أو الذين سبقوهم أو تبعوهم كتبوا لاهوتهم بعيداً جداً عن الثقافة الإسلامية، فلا شك أن كالفن وهو يكتب تعاليمه لم يكن الإسلام فى وعيه أو فى خلفيته، ولذلك جاء اللاهوت الغربى لنا مع المرسلين دون أن يكون فيه أى نوع من الحوار أو التفاعل مع الحضارة الإسلامية. ولأجل هذين السببين لا يوجد لدينا لاهوت مسيحى فى الحضارة العربية الإسلامية المعاصرة. ولذلك فإن وضع تصور لكنيسة مسيحية فى مجتمع إسلامي يبدو تصوراً ملحاً خاصة فى بلد كمصر تعيش ظروفاً اقتصادية واجتماعية خاصة مع صحوة إسلامية، هذا فضلاً عن الحيرة التى تعيشها كنيسة اليوم فى توجهها إلى العالم والمجتمع بين التورط والانطواء، بين التطور والجمود، بين الإيجابية والسلبية، بين التكيف والاغتراب، بين التأثير والتأثر، بين المواجهة والرفض... وبين هذين الموقفين تتأرجح الكنيسة وتتردد وهى تبدو لكثيرين وكأنها تعيش على هامش الحياة" مزروعة فى إناء"[1] ولذلك لكى تكون هنالك كنيسة تعيش وتنمو فى المجتمع الإسلامي لابد وأن يكون لها لاهوتها الخاص بها والمختلف عن لاهوت أى كنسية أخرى لا تعيش فى حضارة عربية إسلامية، وعلى الكنيسة هنا أن تدرك

---

[1] الكاردينال جان دانيالوا – مستقبل الديانة ص ١١٠ من بحث بكالوريوس ليوسف ناثان عن تصور لكنيسة في مجتمع اسلامي .

واقعها وأن تعاصر مجتمعها وأن يكون لها الهوية الخاصة بها والأهداف الواضحة.

أولا: كنيسة لها لاهوت وفكر خاص

ولاهوت الكنيسة التى تعيش فى عالم إسلامي يجب أن يحتوى على ما يأتى:

١) أنها كنيسة تنتمى إلى عالم ممتد:

فالكنيسة تنتمى إلى عالمين : العالم الحاضر(الأرض) والعالم الآتى(السماء). والكنيسة فى صلاتها لتكن مشيئتك كما فى السماء كذلك على الأرض تجعل من العالم الحاضر(الأرض) بداية عالم المستقبل(السماء). لذلك فان كبت هذه الروح نوع من وأد الروح الإنسانية، ومحاولة توجيه الإنسان نحو وطنه السماوي على حساب احتقاره للعالم الأرضي قصور فى فهم النفس البشرية وإضرار بنموها، والأجود أن ننمى فى الإنسان توقير الاثنين على أساس أنهما عالم ممتد. والكنيسة فى مصر تحتاج أن تتعوّد على أن تنظر إلى العالم المحيط وإلى الثقافة الإسلامية نظرة تتسم بالإيجابية والجمال معلنة انتمائها إليه ومسئوليتها عنه، فهو مجال عملها ورسالتها الحقيقى والوحيد.

---

[1] المصدر السابق

٢) أنها لافتة (Sign) :

فى المجمع الفاتيكانى الثانى تم تعريف الكنيسة على أنها إشارة أو لافتة sign بدلا من التعريف القديم باعتبارها ملجأ أو ملاذ، و فى نفس هذا المجمع أخذت الكنيسة اتجاها أكثر انفتاحا على العالم، و قد أقر المجمع على أن الروح القدس يقيم فى أى مكان فى العالم، وهو مجال عمل له حتى لو كان هذا المكان غير مسيحى. وبالتالى فليست هناك فرصة أكبر من غيره للخلاص، فالروح هو الذى يعمل فى كل البشر بطرق مختلفة، وقد اعتمد هذا المفهوم على كلمات بولس" لأننا لهذا نتعب ونعيَّر لأننا قد ألقينا رجاءنا على الله الحى الذى هو مخلص جميع الناس ولا سيما المؤمنين "[1]

و لتوضيح الصورة نضع مقارنة بين التعريف الجديد للكنيسة(كإشارة) والتعريف القديم (كملاذ) :

الكنيسة كملاذ أو ملجأ	الكنيسة كإشارة أو لافتة
١- مكان فى بيئة مغايرة ، يبرر وجوده بإحضار أناس و حمايتهم.	- نقطة تشير إلى ما هو أبعد منها.
٢-وعاء مقدس لا خلاص	- انعكاساتها خارج نفسها.

[1] رسالة تيموثاوس الاولي ٤ : ١٠

خارج دائرته المرئية ٣- مكان مغلق على نفسه (مبنى ، مؤسسة). ٤- الانضمام يعنى الاحتواء . Containing ٥- دور الكنيسة إلحاق وضم. ٦- تعريفها: تعبير فيه انعزال و كبرياء.	- مكان مفتوح بلا عوائق أو عوازل. - الانضمام يعنى الاتصال Communication - دور الكنيسة توضيح وشرح. - تعريفها: تعبير فيه تواضع وخدمة البشر.

و ما زالت الكنيسة فى مصر متمسكة بالتعريف القديم باعتبارها ملاذ أو ملجأ، هدفها الأول الذى تسعى إليه هو أن تأتى بأناس من الخارج (العالم) إلى داخلها ليتقوقعوا ولا يخرجون ثانية إلى العالم إلا ليأتوا بآخرين إلى الداخل، و دور الكنيسة الأول هو الحفاظ على حياة أعضائها من خطر الاختلاط والتعامل مع العالم، لهذا فهى دائما -وأعضاوها- منعزلة عن واقع المجتمع الذى تعيش فيه، غير قادرة على الاتصال به، و عاجزة عن التأثير فيه بأى أسلوب.

و فى هذا الصدد يكتب" خوان ارياس" عن الكنيسة التى أحبها فيقول: [1]

[1] خوان أرياس . لا أؤمن بهذا الإله . ص ٨٤ - ٩١ .

- تلك التى تثق بأن المسيح هو الميناء، و بأنها ليست إلا (المنارة) وتقيم البرهان على ذلك.
- تلك التي تقبل مسرورة أن يزرع الله فى حقول (غير) حقولها ويحصد هناك ما قد يفوق الحصاد عندها.
- تلك التى جل همها أن تسعى إلى الأصالة لا العدد، وأن تكون للجميع لا أن تكون جامدة منعزلة.

٣) لها مفهوم صحيح عن الخلاص فى مضمونه و تاريخيته:

تبسط الكنيسة فى مصر طبيعة الخلاص، و تقدمه كما لو أنه لا يعنى أكثر من إصلاح ذاتى، أو اختبار شخصى، أو غفران فردى للخطايا الفردية، أو جواز سفر شخصى إلى الحياة الأبدية، أو خبرة غامضة خاصة ليس لها علاقة بأحداث التاريخ. وأنه لأمر مُلِح أن نفهم هذه العقيدة بصورة جادة وبمعناها الكتابى الكامل. والفهم الصحيح والكامل لفكرة الخلاص يبدأ بالفهم الصحيح لمعنى الخطية، فالخلاص هو من الخطية، والعالم وضع فى الشرير، العالم فى إجماله سواء على المستوى الفردى أو الجماعى، لذا فلا ينبغى أن ننظر للخطية نظرة ضيقة فنفهمها فى معناها الفردى فقط باعتبار أنها الكذب والشتم والسرقة، وهى الخطايا التى يرتكبها الفرد، بل يجب أن نفهم معنى الخطية- بالتالى معنى الخلاص - فى حقيقتها التاريخية، فهذه هى الخطية فعلاً[١]

---

[١] د.ق. فايز فارس:اتجاهات متصارعة في الفكر المسيحي المعاصر -محاضرة

و على ذلك فإن صراع الكنيسة ضد الشر والخطية فى هذا الوجود على مستويات ثلاثة هى:

١- المستوى الأول: الشر الموجود فى قلب الكنيسة مثل التواكل والذاتية، ضحالة الرؤيا وسطحيتها وغيرها من خطايا تختص بالحياة الكنسية وتقتلها فى مهدها.

٢- المستوى الثانى: الشرور الاجتماعية التى توجد فى المجتمع الذى نعيش فيه مثل الفقر و الجهل و المرض، وعدم تكافؤ الفرص وغيرها من شرور بدق أبواب مجتمعاتنا.

٣- المستوى الثالث : شرور العالم فى دائرته ، مثل الكراهية والعنف والحروب والاستعمار والمظالم ، والجشع وهذه وغيرها بعض السحب التى تخيم فى سمائنا على عالمنا ولا مفر من مجابهتها، وقبل وبعد كل هذا نحتاج الى إعادة تفسير مفهوم الخطية الأصلية فى المجتمع الإسلامي، فهم يتساءلون عن ذنب الإنسانية التى ورثت خطية آدم . و لقد استخدمت فى حوارى مع المثقفين المسلمين النموذج التالى و كان يقرب لهم المعنى" إننا لو تصورنا عالم نبات أراد أن ينقل زهرة نادرة مثل زهرة الاوركيد السوداء و هى زهرة رائعة الجمال لونها أسود و تنمو فى الأجواء الباردة، لو حاول هذا العالم أن ينقلها إلى مصر ولكنه بعد زراعتها اكتشف أنها ماتت، هنا سوف يحاول أن يحضر تربتها الخاصة والتى تعودت أن تنمو فيها ويضعها فى (صوبة) مكان منعزل بارد جداً ليوفر لها الجو المناسب، ثم يغذيها بالأسلوب التى تتغذى به فى بلادها و كأنه نقل تلك البلاد إلى مصر و بعد عدة تجارب على أعلى

مستوى علمى زراعى فى العالم ماتت الزهرة ، مـاذا سيكون الحكـم؟ إن النتيجة العلمية التى تأتى فى شكل حكـم إن أى مـن نسـل هـذه الزهـرة أو نوعيتها لن ينمو فى مصر لماذا؟ لأن الزهرة الأم قد توافـرت لهـا أفضـل الظروف و لن تتوافر مثل هذه الظروف لأى من نسلها لذلك فقد حكم أنهم لن يستطيعوا النمو.

إذا كان الله وضع آدم فى الجنة فى أفضـل ظـروف لا يمكـن أن تتكرر لبشر ومع ذلك أخطأ، لذلك جاء الحكم من الله حكماً منطقياً نتيجـة تجربة عملية على الإنسـان، فوراثـة الخطيـة هنـا لا تعنـى انتقالهـا للنسـل البشرى بدون سبب منطقى، لكن تعنى أن كل الجنس البشـرى حُكـم عليـه بالنقص لأنه ثبت بالتجربة عدم قدرته على الكمال. أما التعبير أننـا ورثنـا هذا فهو تعبير حقيقى لأننا نتوارث كل شىء بالولادة من آبائنـا ونورثهـا لأبنائنا. لكن لا يعنى هذا أنه مرض وراثى يمكن علاجـه، لكنـه خلـل فـى الطبيعة الإنسانية ككل نتج من عـدم القـدرة علـى الاحتفـاظ بالكمـال أمـام الخطية.

فى ضوء فهمنا الصحيح لمعنى الخطية هكذا يمكننا فهم مضمون الخلاص فى كماله، وعليه فإننا لا نستطيع أن نفصل الخلاص عن حركـة التاريخ وأحداثه ، ولا ينبغي أن نفصـل الخـلاص عـن ملكـوت اللـه، وقد علم المسيح به تلاميذه وإذا ما تم هذا الدمـج اتخـذ الخـلاص مظهـراً أوسع.[1]

---

[1] جون ستوت . المسيحية و القضايا المعاصرة .

بناء على ذلك فان الكنيسة مدعوة لا لتتخذ موقف المتفرج أو الحكم على أحداث التاريخ، بل هى مدعوة إلى موقف المشاركة والتأثير فى هذه الأحداث، إن معنى الخلاص معنى عظيم ولسنا أحراراً فى التقليل منه، إننا مدعوون للمشاركة بفاعلية و إيجابية لمحاربة الشرور التى من حولنا. لقد وُجدت الكنيسة لا لتتخذ موقف التجمد واللامبالاة لما يحدث من حولها، ولا موقف التأمل و التعبد الانطوائى، ولا حتى موقف البحث والاستقصاء الأكاديمي، بل اتخاذ موقف القوى العملية العاملة. إن الكنيسة يجب أن تعمل وتشترك فى الصراع من أجل الحق والعدالة والقداسة والسلام، وكل القيم السرمدية العظيمة، المتضمنة فى بشارة الإنجيل وفى رسالة الخلاص، فالكنيسة مطالبة بأن تتخذ موقفاً، فعلى طول الكتاب نجد الله يتخذ موقفاً فهو مع المظلوم ضد الظالم ومع الضعيف ضد القوى..الخ. وعلى الكنيسة أن تتخذ موقفاً واضحاً من كل الأحداث التى تدور من حولها، وأن يكون موقفها هو موقف الله كما تفهمه.

ثانياً: كنيسة مدركة لواقعها:

١- إن الكنيسة جزء لا يتجزأ من المجتمع:

عاشت الكنيسة فى مصر منفصلة عن المجتمع المحيط، فكل منهما نظام مستقل عن الآخر تماماً، ولكل منهما مجاله واهتماماته الخاصة به، فالكنيسة تؤمن بأن كل الأمور الدنيوية المتصلة بالمادة

والجسد تدخل تحت دائرة مظلة العالم (المجتمع)، وكل الأمور الروحية المتصلة بالله والأخلاق والدين تقع في دائرة الكنيسة، وأن العلاقة بين النظامين هى علاقة توازى على طول الخط. لا يلتقيان أبداً، وعلاقة التوازى هى في واقعها علاقة بين من ليس بينهما علاقة. ولذلك نجد أن أعضاء الكنيسة أميل إلى الانسحاب عن العالم والانفصال عن المجتمع، وعدم المشاركة فى أى من نشاطات المجتمع، بل وأميل إلى التواجد معاً حتى خارج جدران الكنيسة.

ولا شك أن هذا الفكر ضد التعليم الكتابى عن الكنيسة وطبيعتها ورسالتها، فإننا عندما نحوّل الكنيسة إلى نظام مخالف لنظام آخر (العالم) ، وتكون رسالتنا للناس هى ترك نظام واستبداله بآخر، أو الانفصال عن نظام والانضمام لآخر، نكون قد أجهضنا رسالة الكنيسة، فالكنيسة ليست مؤسسة أو مكاناً للتكتل، وليست تنظيماً ثابتاً. فكل هذا ضد طبيعة الكنيسة، فالكنيسة هى نور العالم وملح الأرض، ومن صفات النور التغلغل والانتشار، ومن صفات الملح الذوبان والنفاذ، إن التكتل وعدم الانتشار هو أكبر عائق أمام رسالة الكنيسة وانتشارها. إن الكنيسة لا ينبغى أن تكون امتداداً موازياً للعالم أو منفصلاً عن المجتمع، بل مكان الكنيسة الوحيد هو فى قلب بؤرة العالم، فالعالم هو المجال الوحيد لرسالتها وعملها ومجتمعها. فإن الكنيسة هى جزء من نسيج المجتمع، ولذلك فأى حدث سياسى أو اجتماعى أو اقتصادى يؤثر بشدة فى هذا النسيج بالسلب أو الإيجاب.

يقول الأب متى المسكين" الطائفية كتكتل بشرى امتدادهـا الوحيد بعد الأسرة ليس مكانه الكنيسة بل الوطن، الوطن وحده يمتص الطائفيـة، أما الكنيسة فلتبـق إلـى الأبـد مكـان انطـلاق الـى العـالم، إننـا فـى الكنيسـة نتعاهد على أن نموت معاً ومع المسيح المصلوب عن كل إنسان فى العالم مهما كان ذلك الإنسان، أما كنيستى فقد أخفت المسيح " نـور العـالم" عـن العـالم بجعلـه مسيح أقليـة، مسيحاً منسـحباً خائفـاً منكمشـاً يتقـى النـاس، ويتحاشى المظالم، ويهرب من صليبه.[1]

٢- *أقلية يمكن أن تكون مؤثرة:*

وسوف نطرح هذا الفكر من ثلاثة أبعاد كل منها متصل ومؤثـر فى الآخر إلى مدى بعيد، وهى نظرة الكنيسة كأقلية إلى نفسها، ثـم نظـرة الأغلبية إلى الأقلية، وأخيراً كيف ترى الكنيسة دورها كأقلية.

أ) نظرة الكنيسة كأقلية إلى نفسها[2]

تنظر الكنيسة فى مصر إلى نفسها على أساس أنها أقلية صغـيرة(جـداً) ، لذا تتجاذبها عوامل متباينة، كلها فى إجمالها تتسم بالسلبية، وتحـس عـادة بالنقص وصغر النفس، وفى نقاط محـددة للغايـة تقيِّم نظـرة الكنيسـة إلـى نفسها بأنها:-

١- تحس أنها محرومة من بعض حقوقها.

٢- تحس بأن دورها ضئيل جدا وغير مجد أو مؤثر.

---

[1] متي المسكين : مقالات بين السياسة والدين ١٠٢، ١٠٣

[2] يوسف ناثان : بحث لم ينشر ، عن الكنيسة في المجتمع المصري.

٣- تحس بأنها مغتربة على أرضها.

٤- الإحساس بعقدة الاضطهاد، غير مدركة تماما لأبعاد الاضطهاد الحقيقى، كيف أنه فى صميم المنهج المسيحى.

٥- الإحساس بعقدة النقص.

وكل هذه العوامل وغيرها جاءت نتيجة ترسّبات تاريخية كثيرة، أدت إلى انطواء الكنيسة على ذاتها وانسحابها وسلبيتها أمام نشاطات المجتمع المختلفة، بل وأدت فى بعض الأحيان إلى عداء المجتمع المحيط.

ب) نظرة الأغلبية إلى الأقلية:

والسؤال هنا هل المواطنة لغير المسلمين كاملة ومطلقة دون التباس بكل ما فى المواطنة من حقوق وواجبات؟ رداً على هذا السؤال نورد إجابات لثلاثة من المفكرين الإسلاميين:

١- د. محمد سليم العوا : فى كتابه " الأقباط و الإسلام " و تحت عنوان "الذمة عقد لا وضع يقرر حرفياً يقول: إن فكرة عقد الذمة ليست فكرة إسلامية مبتدأة ... ومن هنا نقول أن غير المسلمين من المواطنين الذين يؤدون واجب الجندية، و يسهمون فى حماية دار الإسلام لا تجب الجزية عليهم ، يتساوى الجميع فى المواطنة فى ظل القانون الإسلامي.[1]

---

[1] محمد سليم العوا : الأقباط والاسلام ص ٧٢ و ٧٣

٢- الأستاذ فهمى هويدى[1] : " إن عقد الذمة لم يعد قضية مطروحة ليس فقط فى زماننا بل منذ زمن بعيد .. تعبير أهل الذمة، لا نرى وجها للالتزام به.. إن غير المسلمين صاروا شركاء أصليين فى أوطان المسلمين. إن اعتبار غير المسلمين فى المجتمع الإسلامي" مواطنين" من الدرجة الأولى لن يضيف.

- المستشار طارق البشرى[2]: فى " إن عصمة الأموال والأرواح وحرية العقيدة واحترامها وممارستها لا يكاد يكون محلاً لخلاف، والإسلام يلقى على هذه الحقوق قداسة لا توفرها القوانين المدنية، وإن كل مسلم يعتقد بكرامة الإنسان أيا كان دينه.. نحن نقول المصرية بمعنى وحدة عناصر الامة.. ونقول الوطن بمعنى الأخوّة بين المواطنين بمعيار المساواة والمشاركة.

كيف يكون لنا ما يسمى بلاهوت الأقلّية: ؟

والمقصود بلاهوت الأقلية هو البحث عن المنطلق الحياتي للأقليّات من خلال الكتاب المقدس، ومن هنا سوف ندرك أن الأكثرية لا تعنى دائما الحق. فالتلاميذ كانوا أقلية وبولس كان واحداً فى روما وأثناسيوس قالوا له "العالم ضدك يا أثناسيوس" و قد كان يدافع عن لاهوت التثليث ضد الاريوسية قال" وأنا ضد العالم"، ثم علينا أن ندرك أن

---

[1] فهمي هويدي : مواطنون لا ذميون ص١٢٥و ١٢٦

[2] طارق البشري : مسلمون وأقباط في إطار الجماعة الوطنية ص ٧١٣

الأكثرية لا تعني دائما النجاح أو السعادة، فهي يمكن أن تعني القوة والسيطرة، لكن النجاح الحقيقي هو أن أحقق ذاتي، أن أدرك هويتي وسعادتي الحقيقية، هي أن أقف مع الحق ولو كنت وحيداً.

وإن كانت الأكثرية تسير كالفيل الضخم الذي يدوس على الكائنات الصغيرة فهو لا يقبل النقاش لأن قوته أكبر كثيراً من أن يقبل مناقشة فكذلك لابد وأن ندرك هذا وأن ندرك أن الفكر التحليلي والنقدي ترف حضاري وثقافي يأتي في زمن متأخر، لذلك ليس علينا اليوم أن نطالب بحقوقنا السياسية لتكون لنا كهبة أو مطلب للحوار والمناقشة. ذلك لأن غذاء المجتمع في نهاية القرن العشرين هو الديمقراطية وهذا هو المطلوب الآن و ليس الترف الفكري الذي وصلت إليه أوروبا، إن عالمنا العربي لم يستقر بعد، ولا يجوز أن يكون لاهوتنا نظرياً. وبناء على ذلك علينا أولاً أن نطالب مع إخوتنا المسلمين بتحقيق الديمقراطية وحقوق الإنسان. ثم علينا ثانية أن نبدأ في وضع مناهج لمدارس الأحد تتحدث عن دور الأقليّات في مجتمعاتهم وكيف أنهم من نسيج المجتمع، وأن إبراهيم كان أقليّة وأيضاً يوسف ...الخ، بدلاً من ترجمة برامج غربية لمدارس الأحد تزيد من غربة الطفل، وكذلك العظات ودرس الكتاب وكلها مترجمة من مفسرين غربيين لم يكن الإسلام في وعيهم عند كتابة تفاسيرهم، إن لاهوت الأقلية يعني الثقة بالنفس، الثقة بالله، تجديد للهوية، رسم طريق حياة كاملة لكيفية تفاعل الأقلية مع الأكثرية دون عقد، بل كمواطنين معاً لنا نفس الحقوق وعلينا نفس الواجبات.

لابد للكنيسة أن تكون مجموعة حيّة مسئولة، فالسلبية أسلوب غير ناضج، كما أن العداء للمجتمع المحيط ليس أسلوباً مسيحياً، إن الحقد بسبب الحرمان تربية غير واعية والبحث عن الاستشهاد أسلوب غير صحيح، فالاستشهاد الحقيقى يُرغم الإنسان عليه، لكن لابد للكنيسة أن تدرك أنها ملتزمة بدورها أمام الله، ولا يجوز لها أن تحتقر الدور الذى تقوم به، فإن دورها -مهما كان صغيراً- فله فاعلية، وعليها أن تكون إيجابية ومشاركة ، فتحقّق ذاتها ورسالتها وبذلك تشفى الكنيسة من إحساسها بالاغتراب[1] ولكى لا تفقد الأقلية فاعليتها ودورها، على الكنيسة أن تحافظ على أن تكون ملحاً ونوراً لهذا العالم، وعليه فإنها يجب أن تحتفظ لنفسها- وهى الأمور التى سنتعرَّض لها بشيء من التفصيل فيما بعد -بالاختلاف والتميز وبالتأكيد والتغلغل وبالانتشار، والريادة.

٣- *مميزة لعلامات الأزمنة :*

لا شك أننا لا يجوز ولن نستطيع أن نفصل بين الكتاب المقدس وبين واقع حياتنا والأحداث من حولنا، والمقصود بعلامات الأزمنة هو قراءة أحداث التاريخ، أى ملاحظة حركة وعمل الله فى تاريخ العالم، وما يجرى فيه من أحداث على اعتبار أن الله هو سيد التاريخ، ويصف د.ق. فايز فارس حال الكنيسة فى مصر وموقفها من علامات الأزمنة بالقول" إن الكنيسة تنظر الى أحداث التاريخ باعتبارها أمر خارجى وبعيد عنها

---

[1] د.ق. صموئيل حبيب - الكنيسة والدولة ص ٦٦ و ٦٧

تماماً، ومنفصل عن حياة الكنيسة الروحية، فلو حدث حرب أو سلم لا فرق، ولو حدثت- على سبيل المثال - اتفاقية سلام ككامب ديفيد أو لم تحدث فهذه الاتفاقية وغيرها ليس لها علاقة أو تأثير على حياة الكنيسة، ولو حدثت ثورة أو اضطرابات أو انقلاب، ولو أصبحت الدولة دينية أو شيوعية أو رأسمالية ، فهذه أمور بعيدة عن اختصاص واهتمام الكنيسة.

لقد عزلت الكنيسة نفسها عن أحداث التاريخ وعزلت إلهها لا " الله ". لقد عزلت " تصوراتها " عن أحداث التاريخ وصارت غير قادرة على تمييز علامات الأزمنة، غير قادرة على قراءة وتفسير علامات الأزمنة. والكنيسة فى مصر تحتاج ألا تكون أبطأ من غيرها فى إدراك حركة الله فى التاريخ، إن صوت المسيح يأتى لنا مدوياً " لأن أبناء هذا الدهر أحكم من أبناء النور فى جيلهم"[١]

ثالثاً: كنيسة مدركة لمجتمعها:

١- أنه عربى:

يقول الأستاذ انطوان مقدس فى كتابه الكنيسة فى العالم ص ٥٣-٥٧ : كنيستنا، شرقية أسمّيناها أم بيزنطية، سريانية أم مارونية، هى كنيسة عربية، فتستمد كنيتها من هذه الخصوصية، كما تستمد صفتها الجامعة من ترسّخها فى هذه البيئة الحضارية، تزداد كل منهما بنسبة

---

[١] انجيل لوقا ١٦ : ٨

ازدياد الأخرى. فالعروبة ليست أمراً مضافاً إلى وجود قائم، بل هي هذا الوجود وقد تركز فيها. ذلك أن اللغة ليست مجموعة اصطلاحات أو مجموعة أُطر فارغة يأتي المعنى إليها من خارجها، بل أنها تتضمن معناها بتفاعل الأحداث . كما أنها ليست وسيلة حيادية، فنستخدمها على غرار الأشياء والآلات الصناعية، بل هي نمط من أنماط التعبير عن الوجود في كل مستوياته، حتى لقد رأى فيها بعضهم نظرة الى الوجود- أي فلسفة، إذا صح وكانت الفلسفة نظرة للوجود تصبح كلية بالتلاقي والحوار ببقية اللغات. فهي لهذا، تفرض نوعا من التفكير، أو نمطا من أنماط استقطاب المعنى الكلي تحقيقه على الصعيد الاجتماعي بوصفه ثقافته. إن اللغة هي الوجود الإنساني بما هو إنساني. فالعروبة ثقافة واللغة هي العقبة الأولى التي تواجهها منذ قرون الكنيسة الشرقية، والتي لم تتوافق حتى الآن في تذليلها لأنها لم تقف منها موقفاً صحيحاً أو إيجابياً. و ها هي اليوم نواجهها في كل الأقطار العربية، وفي ظرف اختياري حاسم، فإما أن يشارك المسيحي العربي اخوته في مصيرهم، وإما أن يعرض عنهم فيصبح غريباً عنهم.

لقد تعربت البيئة الاجتماعية كلها، و مع ذلك فالكنيسة وحدها متردّدة، تقدم رجلاً وتؤخر أخرى، تمضي قدماً في التعريب، ثم تعود الى مواقفها القديمة خائفة، تنطق بلغة هجينة، مفرداتها عربية وأطرها العقلية ومعانيها أجنبية، تتأرجح بين عدة لغات. وإذ كنت قد وصفت لغتنا الدينية بالهجانة، فلأنها لم تتمكّن حتى الآن من استخدام اللغة العربية بشكل يمكّن

هذه اللغة من التعبير عن قول يسوع وعن قول تلاميذه، فالكلمة العربية ذات بنية خاصة تختلف جذرياً عن بنية الكلمة الغربية، والكنيسة حتى يومنا هذا لم تتمكّن من إنشاء لاهوت عربى تنمو داخله.

فمثلاً تعبير الأب والابن هذه كلها مأخوذة من التراث اليونانى، ونعلم أن علاقة الله الآب بالله الابن ليست علاقة نسل، حاشا، و لكى نترجم هذه الكلمات إلى العربية تعتبر إهانة لله، فالله لا ينجب. لذلك لماذا لا نستبدل كلمة الآب بالله وكلمة الابن بالكلمة، وهنا يمكن أن تكون لغتنا مفهومة إلى حد كبير خاصة وأن المسلمين يؤمنون بالكلمة، وإيمانهم فى القرآن قريب جداً من الإيمان المسيحى فى شخص يسوع. فهم يؤمنون أن القرآن معصوم ومنزل من السماء وغير مخلوق ولا يمكن فصله عن الله فى الوقت الذى فيه منفصل عنه، وهذا التعبير الأخير هو مفهوم الأقنوم فى المسيحية، فلماذا نستخدم تعبيرات يونانية غربية ولا نحاول التعريب لكى نكون أكثر استيعاباً من الآخرين، والسؤال المُلِح هو: إلى أى عالم تنتمى الكنيسة فى مصر؟ إلى العالم العربى أم الغربى؟ وإلى من تتوجّه بخطابها وتتحدث إليه؟ وأى لغة تتحدث؟

٢- *أنه شرقى:*

من الملاحظ أن الكنيسة فى مصر تعيش اغتراباً بشكل أو بآخر ، فبينما نجد الكنيسة القبطية الأرثوذكسية تعيش اغتراباً فى الزمان، نجد الكنيسة الإنجيلية تعيش اغتراباً فى " المكان"، وبينما نلاحظ أن الكنيسة القبطية

غير مدركة لمجتمعها من حيث هو عربى' كلغة' نلاحظ أن الكنيسة الإنجيلية غير مدركة لمجتمعها من حيث أنه شرقي" كعادات وتقاليد".

إن مأساة الكنيسة فى مصر أنها أفرغت للمجتمع مواطناً مسيحياً حائراً عاجزاً عن تحديد هويته: أشرقى هو أم غربى؟ إن المقصود بإدراك الكنيسة لشرقيتها هو إدراكها لعادات و تقاليد المجتمع، والمقصود بالتقاليد هنا ليس مجرد "التقليد" ولكن التراّث، فتراث المجتمع الشرقى يختلف عن نظيره الغربى. فالكنيسة الإنجيلية أخذت فكر الإصلاح من الغرب لكنها لم تستمد تاريخها وتراثها من هناك، فالتاريخ والتراث هنا فى مصر وفى الكنيسة الشرقية العربية، ويوضح د. زكى نجيب محمود مفهوم التراث بالقول" تراثنا هو مجموعة تقاليدنا، ولكن بعد أن نطرح من معنى كلمة تقاليد جانب التقليد، و بعد طرحنا لجانب التقليد من معنى التقاليد يكون باقي الطرح هو بالضبط ما نعيه بالتراث الذى نريد أن يندمج دمجاً عضوياً مع مقتضيات العصر ليتكوّن من عملية الدمج مواطن عربى معاصر"[1] ، وعلى ذلك فإن الكنيسة يجب أن تكون واعية وحريصة على تقاليد المجتمع الذى تعيش فيه فهي جزء لا يتجزأ منه لا ينبغى أن تنفصل عنه أو تتغرّب عنه، فالمجتمع مجتمعها، والوطن وطنها، والبيئة بيئتها، فهناك مكانها وهناك رسالتها وهناك انتماؤها. لا يجب أن تكون كالورم السرطانى الغريب على الجسم- وإلا فستحكم على نفسها بالاقتلاع، بل هى جزء من نسيج الوطن بطبيعتها.

---

[1] أ. د. زكي نجيب محمود – رؤية اسلامية ص ٢٢٢

٣- *أنه إسلامي:*

تتسم هذه الخاصية بحساسية وأهمية، ذلك لأنها من جهة متعلقة تعلقاً مباشراً بموضوع بحثنا، ومن وجهة أخرى لأنه إن كان كل المجتمع يتصف بأنه عربى شرقى إلا أن كل المجتمع لا يتصف بأنه إسلامي، لكن الإسلام يمثّل الغالبية العظمى من المجتمع، والإسلام فى مجتمع كمجتمعنا لا ينبغى النظر إليه باعتباره ديناً فقط بل باعتباره عقيدة وشريعة وحضارة، دين و دولة. وعلى هذا فان على غير المسلمين فى مجتمع كهذا أن يكونوا على وعى و إدراك شديدين من أن الثقافة التى تربّوا فيها ويستقونها كل يوم إنما هى ثقافة إسلامية، وبذلك على المسيحيين أن يدركوا معنى الدولة الإسلامية وهم يباشرون مسئولياتهم، وأن تتصرف الكنيسة ليس فقط بصورة تعزز الثقة فيها لكن أيضاً بروح الشريك. ويقول طارق البشرى "إن من واجبات غير المسلمين الالتزام بأحكام القانون الإسلامي فيما لا يمس عقائدهم و حريتهم الدينية واحترام شعائر المسلمين وعقائدهم ومشاعرهم "[١]

ويقول الأستاذ أنطون مقدسي فى محاضرة له بعنوان تأملات فى مسألتيّ الهوية والحضور: لو طرحنا السؤال على مسلم: هل هويتك إسلامية؟ أظن أن أغلبية المسلمين اليوم يجيبون، نعم. والسبب هو أن العالم الإسلامي برّمته يبحث عن ذاته. ومع ذلك نشأت فى البلاد العربية

---

[١] طارق البشري . بين الإسلام و العروبة – ص ٤٤،٤٩

نزعات أخرى منهـا تلك الآخذة بمفهوم" القومية العربيـة" فالمسألة بين الأخـذ والرد، بين الهوية العربية والهوية الإسلامية تارة ترجّح هذه الكفّة وطوراً ترجّح تلك حسب الزمان والمكان. فهناك مثلاً بون شاسع بين بلد مثل سوريا حيث العروبة هي الشعار السائد، وبين المملكة العربية السعودية. و لحل هذه المشكلة بدأوا يتخذون تعبير(العربى الإسلامي). حتى فى الراديو السعودى يستعملون كلمة الأمة العربية الإسلامية. طرح المشكلة إذن ما هو إلا دليل على تفتيش الإسلام والشعوب الإسلامية عن كيانها الاجتماعي، بحيث تصبح مستقلة. أما المسيحى لا يجوز له ولو بشكل من الأشكال أن يتكلم عن الهوية المسيحية، إلا إذا أخذها بالمعنى الروحانى المطلق. لأنه إذا استعمل مثل هذه الكلمة، والكلمات لها وقع شديد فى هذا المجال، فهو يضع مقابلاً له وهو المسلم.

وإني أتساءل فى هذا المجال إذا كان هناك إسلام واحد وموحّد فى كل زمان، فالبون شاسع ليس فقط بين العالم الإيراني والعالم العربى، ولكن بين بلد مثل سوريا أو العراق والجزيرة العربية مثلاً. والمسلم ككل إنسان آخر ليس واحداً وموحداً ولكن فيه جملة أبعاد، وقد يغلب هذا البُعد على ذاك تبعاً للظروف، يبدو الوجه الإسلامي حيناً والوجه السياسى حيناً آخر. لا يوجد إذن مسلم أو إسلام واحد موحد، حتى أقول: أنا مسيحى فى المقابل. إن حضور المسيحى فى العالم الإسلامي العربى، مشكلة تحتاج إلى قليل من الجهد لكى تُحل. المشكلة على الصعيد الاجتماعي بالنسبة للعالم العربى والعالم الإسلامي هى مشكلة وجود أو لا وجود وليس

مشكلة هوية. أنا موجود مع زميلي المسلم في الدائرة التي أعيش فيها وأعمل فيها، وهذا الوجود هو الذي يجب عليّ أن أفكر فيه دائماً وهو قابل للحل. هل المسيحي موجود حقاً في العالم الإسلامي، وما هو نوع هذا الوجود؟ المسيحيون موجودون في التجارة، في الاقتصاد والمصارف: أغلب موظفي المصارف مثلاً في سوريا من المسيحيين، وكذلك في المهن الحرة مثل المحاماة والطب أو في المهن الحرفية وما الى ذلك... و المسيحيون موجودون أيضاً في السياسة والإعلام و لكن وجودهم هامشي، تلك هي المشكلة. لا بل هناك حواجز نفسية مثل الخوف والقلق، رواسب من التاريخ القديم تؤثر كثيراً فيجب أن أزيل رواسب الماضي وثقل التاريخ وأعيش حراً. إن أحد أسباب الحرب الأهلية اللبنانية في بدايتها و نهايتها هو ثقل التاريخ ويصعب على الإنسان أن يتخلص من مثل هذه الرواسب بسهولة. فالمسيحي يعبر عن رواسب الاستعمار، والاستعمار موجود. فإذا استطعنا إزالة عقدة الخوف المتبادل سوف نصل، عندما أتحرر من الخوف الداخلي يتم الانفتاح.

نحن لم نصل بعد الى درجة الوطن والمواطنية، فعلياً مجتمعنا هو بالدرجة الأولى مجتمع قبْلي أي ما قبل الطائفية. هذا هو الواقع، فيجب أن ننتقل أنا والمسلم من هذا المجتمع القبلي التجاري وبشكل مُلِح إلى بداية القرن الـ٢١ ، ومعظم القادة السياسيين في العالم العربي يحاولون أن يتخطوا هذا الواقع. هذه هي المشكلة المطروحة: أن أعامل الآخر كمواطن، أن أضع يدي بيديه وأن نعمل معاً. يقولون إن القرآن لا يميز بين الدين والدنيا. الحل العلماني جيد ولكن العلمنة بدأت في القرن

الثامن عشر، رغم إرادة الكنيسة. فالعلمنة ليست قضية إسلام أو مسيحية، هي قضية نضج الأفكار، عندما تتوافر الشروط الموضوعية ويصبح الإنسان مهيأً، عندئذ تفرز نخبة المثقفين وتبدأ العلمنة. ونحن اليوم لا نحتاج إلى المجتمع العلماني بقدر ما نحتاج إلى المجتمع المتعدّد الأديان، لأنه إذا كانت العلمانية نفى للدين فالتعدّدية استيعاب لكل التيارات . يجب إذن أن أضع يدى بيد جارى ولا أسأل إن كان مسيحياً أو مسلماً أو ملحداً، وأتكاتف معه على حل المشاكل اليومية الصغيرة وليس على إدخال الحلول الفضفاضة الآتية من أوروبا. عندئذ أعامله كمواطن ويعاملني كمواطن، ولا يمكن أن يرفضنى إذا أتيت إليه بهذا العقل. أبادله العواطف وأساعده بما أستطيع، عندئذ أكتشف القريب وأراه بالطرق المباشرة. يسوع وضع الحد الأدنى: أحبوا بعضكم بعضاً . طريق المسيحية هو الطريق البسيط جداً، والمباشر جداً. يسوع لم يضع نظريات، إنما برهن بأعمال، بحوادث بسيطة صغيرة. فالحضور المسيحى إذن هو الحضور المباشر الى القريب.

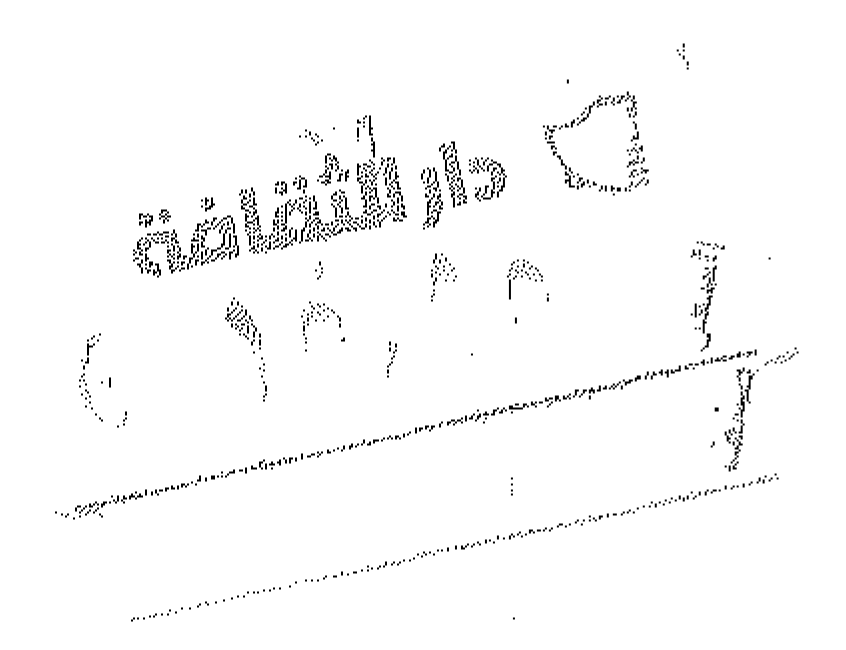
دكتور القس إكرام لمعي

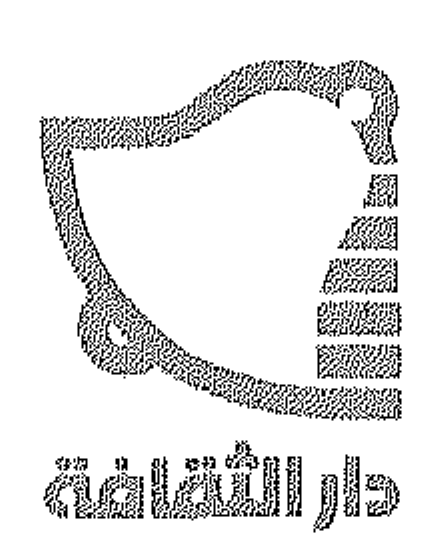


- ولد في مدينة ملوى سنة ١٩٤٨
- تخرج من كلية اللاهوت سنة ١٩٧١
- حصل على ليسانس الحقوق سنة ١٩٧٨
- حصل على الدكتوراه من كلية لاهوت سان فرانسيسكو سنة ١٩٩٣
- عين مديرا لكلية اللاهوت الإنجيلية بالقاهرة سنة ١٩٩١

من مؤلفاته :

* الوجه الأخر لتعاليم المسيح (دار الثقافة)
* من يحكم التاريخ؟ (دار الثقافة)
* هل من علاقة بين عودة اليهود ومجيء المسيح الثاني؟ (دار الثقافة)
* شارك في كتابة موسوعة الشروق (دار الشروق)
* شارك في كتابة الحالة الدينية في مصر (الأهرام)





١٠١٠٠٢٣٣